

الفرق بين
حسنة

تفسير القرآن

بالقرآن والسنة

تأليف

محمد الصاوي

انتشارات فرهنگ اسلامي



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفهرست

۱۷-۱۸



مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامي

الكتاب	الفرقان في تفسير القرآن
المؤلف	الشيخ الدكتور محمد الصادق
الجزء	السابع عشر والثامن عشر
الطبعة	سورة الحج - المؤمنون الثانية
المطبعة	مطبعة اسماعيليان - قم
الناشر	انتشارات فرهنگ اسلامي - قم
	تلفن ۳۴۳۰۵

سنة الطبع ۱۳۶۵ ش

عدد المطبوع ۳۰۰۰

سماعة الشيخ
الدكتور محمد الصادقي

الفوق على في تفسير القرآن بالقرآن والسنة

سورة الحج سورة المؤمنون

دار الفوائد الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع
بجدة - لبنان

مَكَاوِدُ الْمُتَّقُونَ ٢ مَحْمُودَةُ وَمُجَنَّدَةُ
الطَّبَعَةُ الْأُولَى

١٩٨٥ - ١٤٠٥ هـ
مركز تحقيق كتاب في علوم إسلامي

(۲۲) سُوْرَةُ الْحَاجِّ مَلَانِيْدَا
وَأَرْجَا أَنَّهُمَا بَارٌّ وَسَيَكُونُ



مرکز تحقیقات کاپیویر علوم اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ۖ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَتَاهُ بِضُلُلٍ ۚ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن

مُضَغَّةٌ مُخَلَّقَةٌ وَغَيْرُ مُخَلَّقَةٍ لِنُسَيْنٍ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ
 مَا نَسَاءٌ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا
 أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ
 الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ
 هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ
 مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ
 يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ
 آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾
 وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى
 وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ
 اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ
 الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ
 بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ
 فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ

عَلَىٰ وَجْهِهِ ۖ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ
 الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ
 ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ
 مِن نَّفْعِهِ ۚ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلِبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ
 يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ
 أَن لَّن يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى
 السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾
 وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن
 يُرِيدُ ﴿١٦﴾

سورة تسمى باسم افضل فريضة من فرائض الله واشملها تحليفاً على
 كل شرعة الله ، حيث تضم كل مرادات الله من الامة المرحومة في سبيلها
 الى الله ، فكانها هي القرآن كله ، وكما فضلت سورتها - فيما فضلت - على
 سائر القرآن بسجدين اثنتين ، وقد يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله

وسلم) « فمن لم يسجدهما فلا يقرءهما »^(١) والثانية اوجب وأحرى بها لمكان الأمر بها .

ومدنية السورة لاثحة من أي الهجرة ، والإذن للقتال ، وناصية القوة في العدة والعدة للمسلمين ، المعدة للنضال ، وقد يلوح الإذن للقتال مع بعض السياق من آياتها ، انها من المدينيات الاوائل حيث أسست دولة الإسلام جديدة قائمة على ساق ، محضرة نفسها لغزوات ، وكما الظلال المحلقة على جو السورة هي ظلال القوة والهيبة والهيمنة والتحذير والترهيب واستجاشة مشاعر التقوى على الطغوى .

فانها تبدأ بمشهد القيامة مزلزلاً مزججراً ، ثم عذاب الذين كفروا « قطعت لهم ثياب من نار » ومثل الشرك بالله « فكأنما خر من السماء » ومن يأس من نصر الله « فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع » ثم مشهد القرى الكافرة « فكأن من قرية امليت لها » والى الاذن في القتال : « اذن للذين يقاتلون ... » .

ذلك كله جو القوة مهما لمحت شذر من أيها كأنها مكيات ام نازلة بين مكة والمدنية ، فان جو السورة جو مدني إلا ما لمحت من هذه او تلك ، مهما شابهت بعض الشيء الجو المكي لأنها في بداية الهجرة ، فليكن جواً هو عوان بين العهدين إلا في امثال آيات القتال ، والعقاب بالمثل ، وقد يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين بايعه المدنيون وعرضوا

(١) هما الآية (١٨) و (٧٧) وفي الدر المنثور ٤ : ٣٤٢ - اخرج احمد وابوداود والترمذي والحاكم والبيهقي في سننه وابن مردويه عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله افضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجديتين ؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) نعم فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما وفيه عن خالد بن معدان ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : فضلت سورة الحج على القرآن بسجديتين واخرج ابن ابي شيبة عن علي وابي الدرداء أنها سجدا في الحج سجديتين .

عليه ان يميلوا على اهل منى من الكفار فيقتلوه ، قوله: « اي لم أوامر بهذا » حتى تمكنت دولة الاسلام فيها ، فعندئذ « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم . . . »

تبدء السورة بزلزال الساعة وتختتم بالجهاد حق جهاده « وجاهدوا في الله حق جهاده . . . » جهاداً في الله بكل الجنبات ، وبينهما متوسطات من توجيهات صادرة من مصدر القوة والشوكة الخالقة البالغة :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (١)

خطاب هام عام يشمل كل الناس ، استجاشة لتقوى الله بدرجاتها ، تهويلاً مجملًا في تجهيل : « ان زلزلة الساعة شيء عظيم » يستحث عظيم التقوى العميم ، اتقاءً عن عذاب يوم عظيم .

زلزلة الساعة وما ادراك ما زلزلة الساعة ؟ انها تعم الكائنات كلها ، سماوية وارضية اما هي بما تُزلزل السماء بأنجمها وطبقاتها ، وتزلزل الكائنات برُمُتها إلا من شاء الله : « ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض الا من شاء الله » (٦٨: ٣٩) .

اجل - اذا نفخ في الصور ونقر في الناقور ، ترى النقرة النافخة والنفخة الناقرة تزلزل كل شيء عن كيانه وحيويته ، فلا يبقى ساكن إلا ويسر ، ولا متحرك ساكن الا ويرجف فيدمر ، وتلك هي قيامة الإماتة والتدمير ، ومن ثم الإحياء والتعمير « ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون » .

وقد تكون هذه الزلزالات من أشرط الساعة ، فهي - اذاً - قبل النفخة النقرة ، إلا ان الزلزلة الثانية المحيية-كما تعنيها آيات الزلزال-قد تلمح ان الأولى هي المميتة ، المتدرجة من اشرطها الثلاثة الى تلك الصعقة

الشاملة : (١) وكما آية الراجفة تقرر رجفتين وهما صيغة أخرى عن الزلزلتين : « يوم ترجف الراجفة . تتبعها الرادفة » (٧٩ : ٧) .

رجفة الإحياء الرادفة لرجفة الإماتة ، ثم لا رجفة قبلهما تعتبر زلزلاً هي من اشراط الساعة ، وفي هذه الزلزلة الهائلة رَجَفَانِ في القلوب من خوف ، وزلات الأقدام من روعة الموقف .

﴿ يَوْمَ تَرُوتُّهَا تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢٠﴾ .

« يوم ترونها » : زلزلة الساعة ، ورؤيتها هي لمسها بواقعها ، وقضية الجمع في « ترونها » هي جمعية تلك الرؤية لاهل الجمع كلهم .

والذهول هو الذهاب والانصراف عن شيء بدهشة، و«كل مرضعة» دون «مرضع» عليها للإشارة إلى حالة الإرضاع، فتاءها - إذا - للمبالغة فقد تكون مرضعاً في غير حالته، فذهولها - إذا - ليس لمذهل لأنها في غير حالته، وأما ذهولها حالة الإرضاع « عما ارضعت » ، من رضيع ورضعة ، فقد يكون اقوى من ذهولها عن نفسها ، حيث المرضعة يهملها ما ارضعت اكثر من نفسها ، فهي إذا خالية عن نفسها، خاوية عن كل ما يهملها ، من هول الموقف المزلزل كل شيء .

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٣ : ٢ روى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حديث الصور إنه قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعقة ونفخة القيام لرب العالمين ، وإن عند نفخة الفزع يسير الجبال وترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة وتكون الأرض كالسفينة تضربها الامواج او كالقنديل المعلق ترجرجه الرياح .

ثم « وتضع كل ذات حمل حملها » لوقته ام قبله لوقعة الزلزال وانقلاب الحال ، وقد تكفي هاتان الحالتان الهائلتان عرضاً عن حالات الآخرين ، الواصلة لحد يدل « ترونها » بـ « ترى » حيث لا يتأثر بالزلزال ، لأنه من شاء الله :

« وترى الناس سكارى » كأنهم سكارى الشرب « وما هم بسكارى » الشرب « ولكن عذاب الله شديد » فهم كما السكارى يتموجون في قالاتهم وحركاتهم كالمجانين خوفاً من عذاب الله الذي يرصدهم ، وتأثراً من زلزلة الساعة التي تحشرهم .

وكما ان شديد السكر والذهول قد يغشي ويغمي ثم يميت ، كذلك تكون هذه الزلزلة المذهلة المسكرة : « فصعق من في السماوات ومن في الأرض الا من شاء الله » ومنهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث يرى الناس سكارى وليس هو منهم .

ذلك « يوم يجعل الولدان شيباً » السماء منقطر به كان وعداً مفعولاً ، (٧٣ : ١٨) .

وترى الناس كل الناس إلا من شاء الله « ذاهبة عقولهم من الحزن والفزع متحيرين »^(١) .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ

(١) تفسير القمي قال قال (عليه السلام) في الآية : . . . وفي كتاب طب الأئمة (عليهم السلام) باسناده الى سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : اني لاعرف آيتين من كتاب الله المنزل تكتبان للمرأة اذا عسر عليها تكتبان في ورق ظبي وتعلقه عليها في حقوبها : بسم الله وبالله ان مع العسر يسراً - مبع مرات - يا ايها الناس اتقوا ربكم - الى - شديد .

مريد

« ومن الناس » المخاطبين بواجب التقوى ، المكلفين بالتجنب عن الطغوى ، مَنْ هُمْ في الحق نسناس : « من يجادل في الله بغير علم » فالمجادلة في الله بعلم فطري ام عقلي ام تجريبي ، بصورة مجردة غير دخيلة بالهوى ، توصل صاحبها الى حق في الله كوناً وكياناً وتوحيداً ، حيث الكون بكافة ما فيه ، من ظاهره وخافيه ، مستخدم في الحق للحصول على معرفة بالله قدر المحاولات اللاتقة اللاحقة في هذه السبيل .

ذلك وان كان الله لا يجادل فيه ، ولكن الشك القاصر شك مقدس ، لا بد من إزالته بمجادلة قدسية هادفة لتخطي الشك الى اليقين وهذه من المجادلة في الله بعلم حيث تنتهي الى علم اذ تهدف العلم ، واما المجادلة المشككة المقصورة فهي على أية حال لا تملك اي برهان اياً كان وايمان ، فهي - اذا - مجادلة في الله بغير علم ، لا يتبع صاحبها علماً ، وانما « يتبع كل شيطان مريد » من شياطين الجن والانس ، المجادلين في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

والمجادلة المشككة في الله تعم اصول الدين وفروعه ، مبدء ومعاداً وما بينهما من وحي ومواده ، حيث الكل لله ومن الله لا سواه ، والمتحري عن الحق لا يتطرق طريق الجدال في الله لانها محاصمة لا تعني إلا إبطال الحق في الله و « ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا » (٤٠ : ٤) ولا مصير لهم في ذلك المسير إلا أن ياخذهم الله « وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب » (٤٠ : ٥) .

وهذا الذي « يتبع كل شيطان مريد » : المرتفع الأملس ، المتمرد على علم ، هو لا سواه يعيش حياته الشيطانات والفضلالات والتضليلات عاندة عامدة ، جامعة كل ضرورها من شتات اصحابها ، حيث الشيطانات

درجات ، كما الهدايات درجات ، ولكن : « ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلاً وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين » (٧ : ١٤٦) .

اصرفهم عن آياتي ختياً على قلوبهم فهم لا يعقلونها جزاء بما كانوا يعملون ، وصدأ لهم عن الوقعة فيها وصرف المؤمنين عنها .

وكضابطة ادبية - في الحوار عامة - إن الجدال بالباطل ممنوع ، سواء أكان لدحض الحق ام اثباته ، فان واجب الجدال على اية حال ان تكون بالتي هي احسن « وجادلهم بالتي هي احسن » (١٦ : ١٢٥) والجدال بغير علم باطل على أية حال ، واذا كان الجدال بعلم بغير الاحسن - كالحسن - ممنوعاً ، فباحرى الجدال بغير علم فانه سيء ام أسوء :

وما ليت الذين يجادلون في الله جادلوا بعلم ، لا بغير علم ، تطاولاً اجرد عن كل علم ، ناشئاً من اتباع كل شيطان مريد ، فهو ركام من الجهالات والضلالات دون اية بأركة من حق ، فلذلك :

﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ .

« كتب عليه » : كل شيطان مريد « انه من تولاه » اتباعاً له في ضلاله واضلاله ، كما « كتب عليه » : « من يجادل في الله بغير علم » « انه من تولاه »^(١) فرأس الضلالة مكتوب عليه ، سواء اكان كل شيطان مريد ،

(١) في الوجه الاول « كتب عليه .. » مواصفة لكل شيطان مريد ، وفي الثاني خبر بعد خبر له « من يجادل .. » والوجهان معنيان لانها معنيان صالحان ، ولو كان مخصوصاً بالاحتمال الاول لوجب جمع الضمير « عليهم » اعتبار بكل شيطان مريد ، كما ولا يصلح اختصاصه بالثاني لان الاول احرى معنوياً لانه اصل الاضلال ، اذا فـ « عليه » راجع الى كل واحد منهما على البدل ، جمعاً بين المعنيين .

امن يتبعه في خطواته « انه من تولاه فإنه يضلّه » دون شك ولا ريبه ، لأن الضلال والاضلال كيانه ، وهو شغله الشاغل في حياته ، فلا يهديه الى حق ابداً ، بل « ويهديه الى عذاب السعير » هدى الى غاية الضلال ومصيره ، وهذا تهكم في التعبير اذ يسمي قيادته الى عذاب السعير هداية ، انه لا تتأتى منه هداية الا الى عذاب السعير ، وما الطفله جمعاً بين الاضلال والهداية عناية لمعنى واحد هو الضلالة !

وهذه الكتابة هي القضاء الرباني على الولي والمتولي ، حيث ان كيان الضلال لا يصدر منه الا ضلال ، وليس الله بمنج من يضل بغير علم ، امن يتولاه على علم بضلاله ، ام غير علم بهداه ، اللهم إلا القاصر في تحريره عن الحق فعسى الله ان يهديه سواء السبيل .

فلا تعني « كتب عليه » ان الله فرض ضلال من ضل باضلال من أضل تسييراً دون تخيير الى ضلال ، وانما هو بيان للواقع حسب الاسباب والمقتضيات ، ان المتحري عن باطل ليتبعه ليس بحري الا ان يحقق به الباطل الذي تحرى عنه وتمناه ، معاكسة للمتحري عن الحق « وان ليس للانسان إلا ما سعى » .

ومن المجادلة في الله هي المجادلة بغير علم في يوم الله ، إحالة له بمحاولات جاهلة قاحلة ، والله يبرهن لحقه وواقعه هنا بواقع الحياة الاولى ، وهم مصدقوها ، دون إبداء مادة للبرهان بعيدة عنهم ، بل هي ما يعيشونها طول حياتهم :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن نُّرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ

شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُتْبِتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝

« يا ايها الناس » ملحددين ومشركين او موحددين مرتابين في البعث ، حيث البرهان الحاضر ليس حاصرا فيمن يعتقد في وجود الله ، فان خلق الانسان من تراب ثم . . ليس ينكره احد ، طالما المادي يزعم ان الخالق هو المادة ، ويرى المشرك أنه الله ، والموحد لا يشرك في خلق وسواه ، فالقدرة الخالقة للانسان من تراب هي هي الخالقة له في المعاد ، فالخلق أول مرة دليل امكانيته مرة ثانية بل « هو أهون عليه » ١ .

« ان كنتم في ريب من البعث » بعد الموت ، والريب هو شك مسنود الى برهان ام زعم البرهان ، فلئن صدقناكم في ريبكم ، فواقع خلقكم اول مرة يزيل واقع ريبكم ، حيث الريب لا يصارع واقع البرهان اياً كان .

« فانا خلقناكم » وجمعية التصميم فيها تعني جمعية الصفات في خلقنا ، علماً وقدرة وحكمة وتصميماً وارادة اما هيه من صفات ربوبية متطلبة في ذلك الخلق المنضد المتدرج العظيم ، لأجنة مختلفة في الصور والسير ، مقررّة في الارحام او ملفوظة ساقطة ، ثم الطفل الخارجون عن الارحام بين بالغ أشده او متوفى قبله ، او مؤخر الى اذل العمر ، فصورة الخلق وسيرته تدلنا على ارادة وتصميم باختيار ، دونما صدقة فوضى جزاف !

« خلقناكم من تراب » خلق الانسان الاول من تراب قفزة دونما تطور معوّد في خلق سائر الانسان ، ثم وخلق أنساله متدرجاً حيث البداية هي التراب ، من نطفة هي من دم هو من غذاء هو من نبات وحيوان هما من تراب .

فخلق الانسان من تراب ضابطة صارمة تعم الانسان الاول وأنساله ،

من ابوين كسائر الانسان ، ام دون اب كاليسوع (عليه السلام) وقد تلمح « كم » في خلقناكم ، ان الانسان بجزئيه مخلوق من تراب ، فطالما اختلفا في حاضرة الصورة والسيرة ، الا ان اصلهما كليهما هو التراب ، « ثم من نقطة » تراخياً عن الخلق الاول بأنساله ، وفي سائر الخلق بإنساله ، فاين النطفة والتراب ، والمسافة بينه وبين النطفة المؤلفة من الخلايا المنوية الحية مسافة هائلة !

والنطفة هي الدودة العلقية المتحولة بعد مراحل الى جنين ، وهي واحدة من ملايين العلقات في البحر المنوي وهو قطرة ام قطرات ! فنقطة واحدة من تلك الملايين هي الدودة التي تلقح البويضة من ماء المرأة في الرحم وتتحد به فتعلق في جدار الرحم فتصبح علقة :

« ثم من علقة » متحولة عن نطفة ، الكامنة فيها كل خصائص الانسان المقبل .

« ثم من مضغة » وهي اللحمة الصغيرة المتحولة من العلقة ، قدر ما يمضغ « مخلقة وغير مخلقة » فما هي المخلقة وما هي غير المخلقة ؟

التخليق هو التحليق في الخلق ، فهو كمال الخلق الصالح لتحوله الى جنين صالح ، وغيره هو غير الصالح ، سواء سقط^(١) ام اصبحت جنيناً ناقصاً في عضوا او اعضاء .

ومن تخليق المضغة خلقها عظاماً ، ثم كسوتها لحماً ثم انشاءها خلقاً

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٧١ عن تفسير النعمي قال قال : المخلقة اذا صارت تامة وغير مخلقة قال : السقط .

اقول وهذا تفسير باحد المصدقين لغير المخلقة ، فلا بد له مصداق آخر وهو . يولد ناقصاً قضية العموم في « انا خلقناكم » .

آخر وهو كمال الجنين مهما كان ناقص الخلقة : « ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين » (٢٣ : ١٤) .

ذلك « لنبين لكم » وهنا محطة للتبيين بين التراب والمضغة ، وبين الطفل ، تبييناً للقدرة القاصدة المصممة في خلقكم ، وانها هي الخالقة لكم في بعثكم مرة اخرى .

فقد توقف فتسقط المضغة مخلقة وغير مخلقة ، واخرى « نقر في الارحام ما نشاء » من مضغة مخلقة او غير مخلقة ولكنها صالحة لتحولها جنيناً مهما كانت ناقصة الخلقة ، فقد تقرر غير المخلقة وتسقط المخلقة ، واخرى المعاكسة مهما كانت هي الاكثرية المطلقة الثلثة ، وتلك هي القلة .

فليس إقرارها في الارحام لازماً لكونها مخلقة رغم انه طبيعة الحال فيها ، ولا اسقاطها عنها لازماً لكونها غير مخلقة ، رغم انها خلاف طبيعة الحال « لنبين لكم » ان هناك القدرة القاصدة عاملة ، دون خلقة اوتوماتيكية فوضى جزاف .

« ونقر في الارحام ما نشاء » من مخلقة وغير مخلقة ، و« ما نشاء » من تشكيلات وحالات « الى اجل مسمى » في الذكر الحكيم المقرر عندنا ، المقدر بإرادة عالية حكيمة وتصميم ، من ستة اشهر الى تسعة ، بزيادة طفيفة ام نقيصة .

« ثم » بعد قضاء مسمى الأجل « نخرجكم طفلاً » والطفل هنا جمع لا ينافيه « وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم » (٢٤ : ٥٩) مفرداً مجموعاً ، لأنه مفرد وجمع ، ومن جمعه « هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم نخرجكم طفلاً » (٤٠ : ٦٧) « او الطفل الذين لم يظهروا على عورات

النساء» (١٤ : ٣١) وتأويل كونه مصدراً يراد به الجمع عليل ، حيث الظهور على عورات النساء ليس للمصدر ، بل هو للصادر منه الظهور وهو هنا ذات الجمع ، ثم « طفلاً » في « نخرجكم طفلاً » اخراج لذوات الاطفال دون طفولتهم .

وكون « الطفل » - الخارجين صفاراً لحدّ يصح التعبير عنهم بالمصدر - مبالغة في الصغر كرجل عدل ، تنافيه مبالغة الكبر في « الطفل الذين لم يظهروا . . » إذ لا تشمل الولائد الجدد ، إلا الغلّة المدركة المشرفة لذلك الظهور ، كصاحب العشر وحواليها ، فان الادنى منها خارج عن مقسم السماح والتحریم ، فمن المضحك المبكي القول : بأنه يجب التحجب عن ابن خمس وحواليها ، اذاً فمن طفولة التأويل ، تأويل الطفل الى المصدر توجيهاً لجمعية الموقف .

« ثم لتبلغوا أشدكم » شد الجسم والعقل والحكمة الجماعية ، استيفاء لنموكم العضلي والعقلي والنفسي ، شدات ردف بعض ولصق بعض بنفس الترتيب في الاكثريّة المطلقة ، قياماً على سوقكم في متطلبات الحياة ، خروجاً عن كافة الطفولات الفردية والجماعية ، العقلية والجسمية ، وبها لها من قدرة حكيمة اودعت الوليد كل خصائص الانسان الرشيد الشديد ، التي تتكشف كل في اوانها المقررة له ، كما اودعت النطفة كل خصائص الطفل وهي ماء مهين !

فبلوغ الأشد هي الغاية القصوى من ذلك الإخراج ، وهي أشد الانسانية السامية ، دون البدنية الحيوانية الا ذريعة وساعداً لشد الإنسانية .

« ومنكم من يتوقى ومنكم من يرد الى ارذل العمر » وهذه المقابلة دليل ان التوفي هنا هو الاخذ وافياً في حياة الأشد ، ترقية لشدات الانسان الى القمة الصالحة ، ثم إمانة له في تلك الحالة « والله خلقكم ثم يتوفاكم

سورة الحج / آية ١ - ١٦ ٢١

ومنكم من يرد الى اردل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً ان الله
عليم قدير « (١٦ : ٧٠) (١) .

فلا يعني التوفي هنا - فقط - الإمامة فانها تعم من يرد الى اردل العمر ،
بل هو التعمير بحالة الأشد ، ثم الإمامة عنها ، خلاف من يُردُّ الى اردل
العمر ، اذ لم يتوفَّ من الناحية الأولى ، ام هُدمت أشده التي تخطاها بارذل
العمر .

ولان العُمُر هو منذ الولادة حتى الموت ، اذاً فأردل العمر هو عمر الوليد
الجديد - :

« لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً » فمحور الرذالة هو الالاعلم عقلياً
ومعرفياً ، دون النكسة البدنية ، وهما الشذآن الإنسانيان ، والثالثة البدنية هي
الحيوانية المستخدمة المقارنة لها زمنياً في الاكثرية المطلقة .

فيا ويلاه حين يرد الى اردل العمر ، مرتدداً الى طفولته الطفلاء ، في
عواطفه وانفعالاته ، في وعية ومعلوماته ، في تقديراته وتدبيراته ، اقل شيء
يضحكه ويرضيه ، واقل شيء يسخطه ويبكيه ، ناسياً اوائل الامور قبل
انتهائه الى اواسطها واواخرها ، فالتأ عن عقله الناضج وعلمه الهائج ،
المتخايل بهما المتطاوّل فيهما ، ثم :

« وترى الارض هامدة » : عواناً بين الموت والحياة ، مستعدة للحياة
فالهامد هو الحيوان الذي همد وسكن بعد حراكه ، وخشع بعد تطالّه
واشرافه لعله طرأت عليه فأصارت الى ذلك ، ثم افاق من تلك الغمرة
وصحاح من هذه السكرة فتحرك واستهيب بعد هموده وركوده .

(١) هنا قول فصل في تفسير اردل العمر فراجع سورة النحل .

وكذلك حال الأرض اذا اماتها الجذب واهمدها المَحَل ، ثم حالها اذا نضحها الغيث بسجاله ، وبلأها القطر ببلاله ، واهتزت نباتاتها ناضرة ، وربت بعد الجفوف متزيلة ، وذلك تقدير العزيز العليم !

وهكذا التراب المخلوق منه الانسان في المبدء والمعاد ، « فاذا انزلنا عليها الماء » أحييت فـ « اهتزت وربت » فتراها في حركة اهتزازية رابية نامية ، وكأنها حيوانة عطشانة تشرب الماء وتهتز بعد همود وتفز بعد جمود « وانبتت من كل زوج بهيج » بهجة مختلفة الحيوانات النباتية والحيوانية فان « الله انبتكم من الأرض نباتاً ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجاً » (٧١ : ١٨) .

فـ « كل زوج » لا اقل من ان تعني كل الأزواج النباتية والحيوانية والانسانية النابتة من الأرض ، اضافة الى معادن نابتة نتيجة نزول الماء ومزيجه ثم « وجعلنا من الماء كل شيء حي » نعم كافة جنبات الحياة النابتة عن الماء .

ذلك ، وبالتالي تستنتج من هنا وهناك خلفيات ولزومات خمس لا نكبر لها إلا المتجاهل عن ذلك الخلق المتواصل الذي يعيشه طول حياته :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّسُ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ۖ ﴾ .

« ذلك » الإحياء المتواصل لميتات الانسان والأرض بكل نباتاتها « بان الله هو الحق » « هو الحق » لا سواء ، وكل حق سواء يتمحور الله الحق ، فلا باطل منه أو اليه ، وقضية الحق الطليق طلاقة الرحمة المتمركزة على الإحياء بغية بلوغ الأشد للإنسان ، وسائر البلوغ لسواء ، ولو ان الحياة انحصرت في

هذه الدانية الفانية كان الخلق عبثاً باطلاً « وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا » (٣٨ : ٢٧) .

« وانه يحى الموتى » في المعاد كما يحيى هنا ، فلولا الإحياء الآتي لكان الإحياء الآن باطلاً ، « وانه على كل شيء قدير » سواء فيه شيء الإحياء الاول وسواء ، ام اي شيء صالح للخلق والإحياء ايا كان وايمان .

فكما الحكمة في القدرة الطليقة تقتضي الإحياء في الخلق الاول ، كذلك وبأحرى في الثاني « وهو اهلون عليه » (٣٠ : ٢٧) « أفعينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق حديد » (٥٠ : ١٥) .

« وان الساعة آتية لا ريب فيها » قضية الحق في الخلق والخلق الحق ، ساعة بحاسب فيها اهل التقوى والطغوى « ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى » (٢٠ : ١٥) واتيان الساعة هو قضية السنة الحقة المستمرة ، ان لكل عملية ساعة تظهر فيها كما هي ، ساعة غير مجازية ولا مجازة .

« وان الله يبعث من في القبور » وهم الاموات حيث البعث حقهم العادل برحمة الرحيم الرحمان « فبأي آلاء ربكما تكذبان » ؟

فحين تثبت امكانية الإحياء مرة الاخرى بمرور الإحياءات في حياتنا الدنيا ، وان الخلق حق دون اي باطل ، فلولا البعث لكان الخلق باطلاً ولعباً حين لا يقتص للمظلوم من الظالم ، ولا تظهر حقائق المساعي لكل ساع .

وهذه الإمكانية باولويتها الذاتية ، هي ضرورة التحقق بدليل ان الله هو الحق فخلقه حق ، وان كتابات الوحي غيرة بتلك الضرورة ، وحق لولاها لكان دليل العقل بالعدل فيه الكفاية لإثباتها .

اترى ان الحق يطوّر الانسان من تراب الى نطفة والى اكتماله ليبلغ
اشده في هذه الأدنى ، وما هو ببالغها تماماً سعياً ونتيجة قضية العرقلات
والزحامات ، ثم لا يطوّرهُ بعد موته الى حياة ارقى ليبلغ اشده بمبلغ ما
بلغها في الدنيا ، حين « يجزاه الجزاء الاوفى » ؟ .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ٩
ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ
الْحَرِيقِ ١٠ ذَلِكُمْ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ١١ 》 .

مقابلة « بغير علم » بـ « ولا هدى ولا .. » تدلنا ان القصد منه هو
العلم الذاتي ، عقلياً او فطرياً او سواهما ، فلتعني « هدى » العلم المكتسب
من مكسب الحق اليقين تلقيناً ، ثم « كتاب منير » هو كل كتاب ينير
الدرب على كل متحرٍ للحق ، وطبعاً هو كتاب الوحي .

والمجادلة في الله - اذا صحت وسلمت - لا تخرج عن هذه الثلاث ،
يعلم هو حجة الحق وافضله الوحي المكمل لعلم الفطرة والوحي ، ام
هدى من اصحاب الوحي مشافهة حاضرة ، ام بالاخير « كتاب منير » فيه
العلم والهدى ، وهذه تشرك في انها حجة الحق دون ريب ، وقد عبر عنها
في آية مضت بـ « علم » وحقاً هو التعبير الصالح عن كل حجة صارمة ،
وهي كل ما يفيد علماً ، دون ان يعارضه ما ينقصه او ينقصه ، وقد
تتفارقان ان الاولى بشأن المقلدين لمكان « يتبع » والثانية بشأن المقلدين لمكان
« ليضل » بعدها كفاية لاصحابها .

وذلك ترتيب رتيب في الحجة بدءاً بالعلم ، ففيه الكفاية لمن يعلم ، ثم
هدى لمن ليس له علم فيهتدي بعلم غيره ، ومن ثم « كتاب منير » فيه كل
علم ذاتي ومستفاد .

وقد تعنيها الآية « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً » (١٧ : ٣٦) وان كان ترتيبها غير ترتيبها ، فالسمع هو هدى ، والبصر كتاب منير ، والفؤاد هو العلم المتفند في القلب .

« ثاني عطفه » حال انه يثني ويكسر عطفه ، لئلا يشدقه وعنقه ، كبراً متعجرفاً ، واعراضاً ونأياً بجانبه ، اعراضاً عن سماع الرشيد واتباع الحق ، يصرف دونه بصره ويثني عنه عطفه وعنقه بكل رعونة ودلال ، رغم انه ليس الا في ضلال ، تخيلاً اليه كأنه يملك ما يعوضه الحق ، فهو - اذاً - احق من كل حق ، « ليضل عن سبيل الله » : يجادل . . ليضل ، وثاني عطفه ليضل ، قرناً لإعراض الحال بإعراض المقال ، ليحق الباطل والضلال بحال بعد مقال ، وذلك اوقع في الإضلال ، ان المجادل في الله بغير حجة ، يثني عطفه متظاهراً انه يملك الحق كله ، بل هو الحق كله ، وسواه باطل كله ! « وليس احد أشد عقاباً ممن لبس قميص النسك بالدعوى بلا حقيقة ولا معنى » (١)

« له في الدنيا خزي » معنوياً أمام دعاة الحق واهله ، وأمام اصحاب العقول في كل الحقول ، وخزي بعذاب الاستئصال والمعيشة الضنك رغم كل دلال « ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق » كما احرقوا هنا عقول الناس بحريق الجهل والتجاهل جزاءً وفاقاً ، ويقال له حينذاك :

« ذلك بما قدمت يداك » يد الروح والجسم ، يد الجدال بغير علم وثني العطف ، يد العقل المدخول ، والنفس الامارة بالسوء ، وقد تعني « يداك » كافة الطاقات التي كان يملكها ، سلبية وإيجابية . « وان الله ليس بظلام للعبيد »

(١) مصباح الشريعة عن الإمام الصادق (عليه السلام) .

فمن كونه ظلاماً للعبيد ان يجبرهم على الضلال والإضلال ثم يخزيهم بعذاب الدارين ، ومنه الا يعذبهم كما لا يعذب عباده الصالحين ، تسوية بين المحسن والمسيء ، او يعذب المضللين دون المضللين ، او يعاكس امرهما أماذا من ظلم هو بالنسبة لرب العالمين ان يكون ظلاماً للعبيد .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكُمْ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ١١ ﴾ .

ذلكم الناس مقلدين ومقلدين كانوا هم النسناس المشركين، لا يعبدون الله على اية حال، وهؤلاء ناس موحدون ولكنهم لانحرافهم في حرفهم لعبادة ربهم خاسرون ، فما هو ذلك الحرف الهارف الجارف الذي يزل به الأقدام ويضل به اقوام ؟

حرف الشيء طرفه وجانبه وهامشه ، دون اصله ومته ، ولكنه جانب له يربطه بغيره عند عدم الارتباط ، اذا فهو في اصله لا اصل له ولا معنى في ذاته ربطاً وسواه ، ولذلك سمي الحرف في الكلام حرفاً لانه جانب غير اصيل يربط اصيلاً باصيل ، اسماً باسم ام بفعل ، فلا معنى له في نفسه .

وعبادة الله كسائر الافعال قد تكون متأصلة في حياة العابد ، متعركة في قلبه والى جوارحه ، فسائر افعاله حرف ، وسائر حيوياته هامشية على ذلك المتن المتين المكين ، فلا ينحرف او ينحرف عن عبادة ربه مهما قاست الظروف وعرقلت الحياة ، بل وتزدهر وتنبهر تحت الضغوط وتلك عبادة الأحرار .

وتقابلها العبادة الحارفة المحترفة ، التي هي حرف وأداة لما يهواه من حياته وشهواته ، فأصله في حياته ما يهواه ، فإن يعبد الله فهي على حرف وطرف وهامش من الحياة ام وجه واحد من وجوه العبادة ، وهو وجه

التجارة الدنيوية ، فلا يعبد ربه على كل الوجوه ، عبادة طليقة عن هواه ورضاه ، فانما اتخذ إلهه هواه يهوى منه كما يهوى من هواه ، اذا فهو عابد هواه دون الله .

فهي تزداد اذا زادت فيها نزوات الحياة ، وتنقص ام تنقص الى ضدها اذا نقصت او نقصت فيها نزوات ، فليست عبادة الله له اصلاً يُهدف ، فانما هي حرف يُحرف ويهرَف .

يحترف بها لحيونة الحياة وشهواتها ، ام اذا قارنتها فنعما هي ، واذا فارقتها فبسما هي :

« فإن اصابه خير » بحرف العبادة ام في ظرفها « اطمأن به » بخيره لا بعبادته إلا كأداة وقرين ، فعبادته اذا ذريعة اطمئنانه بخير يهواه ، فان كانت المعصية توصله الى ذلك الخير انقلب اليها لنفس الاطمئنان .

« وان اصابته » بها او في ظرفها « فتنة » وابشلاء « انقلب على وجهه » وعَلَّه حرفه الذي كان يعبد الله عليه حيث كانت العبادة وجهاً ظاهراً حارفاً لحياته دون اصالة ، فهو ينقلب على حرفه ويترك العبادة حيث يراها - بزعمه - سبب الفتنة ام قرينة لها .

وهذه صفة الانسان المضطرب الدين ، الضعيف اليقين ، الذي لم تثبت في الحق قدمه ، ولا استمرت عليه مريته ، فأوهى شبهة تعرض له ينقاد بقيادها ، ويفارق دينه لها ، كالقائم على حرف مهواة ، فادنى عارض يزلقه ، واضعف دافع يطرحه .

وقد آسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وولده فتشاءم بالاسلام فاتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : اقلني فقال : ان الإسلام لا يقال ، فقال : لم اصب في ديني هذا خيراً ذهب بصري ومالي ومات

ولدي ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا يهودي! الإسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والذهب والفضة ، ونزلت الآية ^(١) .

و « كان ناس من الاعراب ياتون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيسلمون فاذا رجعوا الى بلادهم فان وجدوا عام غيث و عام خصب و عام ولاد حسن قالوا ان ديننا صالح فتمسكوا به ، وان وجدوا عام جدد و عام ولاد سوء و عام قحط قالوا ما في ديننا هذا خير فانزل الله الآية ^(٢) .

ثم « يعبد الله على حرف » قد نعم اصل العبادة وفرعها ، فالاولى هي العبادة الطليقة عن طقوس مقررة في الشريعة المرضية ، والثانية هي المرضية ، ومن الاول « هم قوم وحدوا الله وخلعوا عبادة من يعبد من دون الله فخرجوا من الشرك ولم يعرفوا ان محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) رسول الله فهم يعبدون الله على شك في محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وما جاء به فاتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالوا : ننظر فان كثرت اموالنا وعوفينا في انفسنا واولادنا علمنا انه صادق وانه رسول الله ،

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٤٦ - اخرج ابن مردويه من طريق عطية عن ابي سعيد قال : اسلم رجل

(٢) المصدر اخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه بسند صحيح عن ابن عباس قال كان ناس ...

وفيه عن الحسن كان الرجل يأتي المدينة مهاجراً فان صح جسمه وتتابع عليه الصدقة وولدت امرأته غلاماً وانتجت فرسه مهراً قال والله لنعم الدين وجدت دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا ما زلت اعرف الزيادة في جسدي وولدي وان سقم بها جسمه واحتبست عليه الصدقة وازلقت فرسه واصابته الحاجة وولدت امرأته الجارية قال والله لبش الدين دين محمد هذا والله ما زلت اعرف التقصان في جسدي واهلي وولدي ومالي .

وان كان غير ذلك نظرنا ... » (١) .

هؤلاء الأغبياء ، بعبادتهم الجوفاء الخواء قد يخسرون الآخرة والاولى بترك الدنيا للدنيا ، متذرعين بعبادتهم والتظاهر بزي الصالحين . لذات هذه الادنى كالرئاسة الباطلة (٢) يفضلونها على سائر اللذات وهيئات هيئات من هذه الهوآت ، التي هي اركس من كافة الحيونات والشهوات ، يترك لذات ظاهرة لأخرى متخيلة مزخرفة باطنة ، « فان اصابه خير اطمأن به » وظل على ظاهر تقشفه وعبادته « وان اصابته فتنة انقلب على وجهه » ترك الظاهر الى متروك الباطن « خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين » .

فـ « السائر في مفاوز الاعتداء ، والخصائص في مراتع الغي وترك الحياء باستحباب السمعة والرثاء ، والشهوة والتصنع الى الخلق ، المتزيي بزي الصالحين ، المظهر بكلامه عمارة باطنه وهو في الحقيقة خال عنها ، قد غمرتها وحشة حب المحمدة ، وغشيتها ظلمة الطمع ، فما افتنه بهواه واضل الناس بمقالته ؟ ... » (٣) .

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٧٣ عن الكافي بسند متصل عن زرارة عن ابي جعفر (عليه السلام) قال سألت عن هذه الآية قال : هم قوم ... قال الله عز وجل « فان اصابه خير اطمأن به » يعني عافية في الدنيا « وان اصابته فتنة » يعني بلاء في نفسه « انقلب على وجهه » انقلب على شكه الى الشرك ...

(٢) نور الثقلين ٣ : ٤٧٤ في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن الرضا (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه : فان في الناس من خسر الدنيا والآخرة بترك الدنيا للدنيا ويرى ان لذة الرئاسة الباطلة افضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة فيترك ذلك اجمع طلباً للرئاسة الباطلة .

(٣) المصدر عن مصباح الشريعة عن الإمام الصادق (عليه السلام) : واما السائر ...

ذلك بالرغم من ان العقيدة الصالحة هي الركيزة الثابتة الدائمة في حياة المؤمن ، يدأب في تكميلها ، ويعبد الله بحبها قدر المستطاع كالاصل القمة أو الوحيد في حياته ، تضطرب الدنيا وأهلؤها من حوله وهو ثابت لا تزعزعه أو تتجاذبه الأحداث ، وتتهاوى حوله الأسناد وهو مستند في كل ذلك الى قاعدة الايمان القائمة على أية حال .

ليس الايمان والعبادة هنا له رأس مال يتجربهما لمتعة الحياة الدنيا ، فلا يعبد الله نظراً جزاء في هذه الدن ، مهما كان ناظراً الى الاخرى ، بل هي هنا في ذاتها جزاء فانها الحمى الذي يلجأ اليه ولا يفجع لديه « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » !

ليس ذلك جزاء انه الثابت المطمئن في مهب الرياح ، ومن دونه من تتجاذبهم الرياح ، وتتقاذفهم الأرباح ، وهو كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف ، ثابت الصلة بالله راضياً بمرضات الله ؟ .

والعبادة على حرف هي بصفة اخرى عبادة التعابد ، يعبد ربه اذا عبده واطاعه ربه في هواء ، كأنه يقول في ذلك الحرف : اعبدك حين تعبدني ، ولا اعبدك حين لا تعبدني ، تجارة فاجرة في العبادة ، وهي في الحق عبادة الهوى ، المتظاهرة بالهدى ، وهي انحس من تركها ، حيث التارك لها كافر ، والعامل لها على حرف منافق أشرف من كافر .

ان اصابة الخير الرخاء والفتنة البلاء عند العبادة كلتاهما فتنة وبلاء «ونبلوكم بالشر والخير فتنة» بل الفتنة في الرخاء افتن وابلى منها في البلاء ، فكيف عبر هنا عن فتنة الرخاء بالخير واختص التعبير بالفتنة للبلاء ؟

ذلك ، لأن من هذه عبادته لا يرى الخير بلاء اذ لا يثقل على طبعه ، والبلاء في مقياس الأغفال هو ما يثقل على الطبع ، والمنافق لا يرى الخير الا ملائم طبعه وموصل شهوته .

وتراه إن أصابته فتنة كيف ينقلب على وجهه ، ولم تكن عبادته عبادة من أول امره ؟

ذلك لأن وجهه هو حرفه في عبادته ، فان أصابته فتنة ترك ذلك الحرف الظاهر ايضاً كما كان تاركاً لحق العبادة منذ كان « وذلك هو الخسران المبين » .

لقد كان يدعو الله في ظاهر الحال في إصابة الخير ، ثم يجاهر في دعوة غير الله عند الفتنة :

﴿ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ ١٢ .

وهنا « لا يضره ولا ينفعه » قياساً الى بغيته من دنياه ، اذ لا ضار ولا نافع إلا الله لا سواه ، والإنقلاب من دعاء الله الضار النافع الى دعاء غير الله غير الضار ولا النافع « ذلك هو الضلال البعيد » فان ترك أية دعوة كان ضلالاً قريباً عنه ينتبه فيدعوا الله ، ولكن الانقلاب من دعاء الله الى دعاء غير الله ضلال بعيد ما ابعده ! وليس فحسب انه لا يضره ولا ينفعه ، بل

﴿ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِبَشَرٍ مَوْتَى وَلِبَشَرٍ الْعَشِيرِ ﴾ ١٣ .

ومن ضره الأقرب خسار الدنيا والآخرة ، وليس نفعه إلا تخيلاً لا يملك أية حقيقة وواقعية ، فان من يدعوه من وثن او شيطان او طاغ او سند من بني الانسان ، ضره في عالم الضمير اذ يتوزع القلب اثقالاً بالوهم والذل ، وضره في عالم الواقع ولا سيما اذا وقعت الواقعة انه « اقرب من نفعه » قريباً واقعياً على اية حال ، مهما كان نفعه المتخيل اقرب زمنياً في الخيال .

ذلك ، واما المؤمن الذي يعبد الله اصلاً - لا حرفاً - وعلى اية حال ، ولا يتخذ مولى ولا عشيراً الا الله ، فهو رابح في كل الاحوال :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ ١٤ .

وليست هي فقط جنات الآخرة ، بل وجنة الاطمئنان والرضوان هي عشيرته في دنياه والى عقباه ، بل المؤمن هو جنات في عقلية ونفسية ، في عقيدته وعملية ، جنات في حياته كلها مهما اعترضته البلايا والرزايا ، فانها ليست بشيء بجنب رضوان من الله واطمئنان بالله .

ذلك لـ « ان الله يفعل ما يريد » ولا يريد الا خيراً ، عدلاً او فضلاً ، ومن دون الله ليس « يفعل ما يريد » ان كان ممن يريد ، اذ لا تحلق قدرته على كل مراده ، فضلاً عما لا يريد من اوثان واصنام ! .

﴿ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ﴾ ١٥ .

هذه الآية من معارك الآراء بين المفسرين فهي خريئة بتدبر لائق بالغ علنا نقرها كما هي دون تحميل ولا تأويل ، سرداً لم احتملات ثم سبراً وتقسيماً لكي نحصل على المعنى الالقي بلفظ الآية وموقفها .

الذي يبدو من جو الآية انه كان هنالك غيظ من ظن لعدم النصرة الالهية في الدنيا والآخرة ، ثم تعجيز بسبب ظاهر مقترح كيداً لإذهاب ذلك الغيظ ولن يذهب باي كيد حيث الله هو الفاعل للنصر في الدنيا والآخرة وهو التارك له .

والسبب في اصل اللغة هو الحبل الذي يصعد به النخل ، ثم كل ما يتوسل به الى شيء مادياً ومعنوياً ، فاعلياً ام ظرفاً معبداً لفعل ، فهو - اذاً - يعم كل وسيلة لكل ما يتوسل اليه كما « تبراء الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب » (٢ : ١٦٦) .

ومن الاسباب ما هي ظاهرة ، ومنها غير ظاهرة يمكن التوصل اليها ،
ومنها ما لا يمكن التوصل اليها وبها الا بما يسببها الله تعالى كما « وآتيناه من
كل شيء سبباً » (١٨ : ٨٤) .

ثم هنا اسباب ارضية من ذلك المثلث واخرى سماوية اكثرها من
الثالث « وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي ابلغ الاسباب . اسباب
السموات فاطلع الى آله موسى » (٤٠ : ٣٧) وقد تأتي في مسرح التعجيز
« فليرتقوا في الاسباب » (٣٨ : ١٠) وهي طرق السماء بوسائلها الغيبية .

والسبب في الآية هو الممدود الذي يحاول مأده ان يقطع ، قطعاً لما يمد
به ، ام قطعاً لمسافة سماوية فيه ، فكل منها قطع ، وكلاهما مما لا يتأتى
لناس عاديين غير مؤيدين بنصرة آلهية خاصة .

انه ليس جبل الخنق^(١) اذ لا يُمدُّ الى السماء ، وانما الى سقف ولا
يسمى سماء ، ثم جبل الخنق لا يُقطع ، بل يربط بشيء علٍ ثم يعلق
عليه لكي يخنق ، مهما تصح عنابته ضمن المعنى الصالح فيعني القطع قطع
نفسه بخنقه .

انما هو سبب ممدود من الأرض الى السماء قصداً لعملية في امر
سماوي ، قطعاً لرزق آت منها ، فـ « في السماء رزقكم وما توعدون » رزق

(١) تفسير البرهان ٣ : ٧٩ محمد بن العباس بسند متصل عن الإمام موسى بن جعفر
(عليه السلام) حدثني ابي عن ابيه عن ابي جعفر (عليه السلام) ان النبي (صلى الله
عليه وآله وسلم) قال ذات يوم ان ربي وعدني نصرته وان يمدني بملائكته وانه ناصرني
بهم ويعلي خاصة من بين اهلي فاشتد ذلك على القوم ان خص علينا بالنصرة واغاظهم
ذلك فانزل الله الآية قال : ليضع جبلاً في عنقه الى سماء بيته يمدّه حتى يخنق فيموت
هل يذهبن كيده ما يغيظ .

الآخرة والاولى ، ام قطعاً لتلك المسافة الممدودة بسبب حتى يرقى مأدّه الى السماء ليقطع ، ثم هو بذلك الكيد يذهب ما يغيظ ، حيث أغاظته النصره الالهية سلباً او ايجاباً ، قطعاً لسلبها حتى توجب ام لا يجابها حتى تسلب .
وهناك في الآية محاور ثلاثة : ظن فمد وغيظ ، والظن كما يلوح هو الظن السوء بالله بإحالة نصرته في الدنيا والآخرة ، والمدّ كوسيلة مقترحة تعجيزية تثبيتاً لتلك الإحالة ، واذهاباً لذلك الغيظ .
فهنا احتمالان اثنان في مرجع الضمير الغائب لـ « لن ينصره » انه « من » المذكورة قبله نصاً ، ام هو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وجوّ الآية يناسبهما كليهما .

فالذي « يعبد الله على حرف » . فان اصابته فتنة انقلب على وجهه . .
يدعو من دون الله « انه يبلغ به انقلابه على وجهه لحدّ الظن ان ناصره غير الله فـ « لن ينصره الله في الدنيا والآخرة » وكما اختلج في بعض الخواطر الضعيفة كأن الله لا ينصر المؤمن لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وذلك حينما اصابته فتنة فانقلب على وجهه آتياً في الضر من عون الله ، فاقدأ كل نافذة مضیئة ، وكل نسمة رخیة بهیئة من روح الله ، فيستبد به الضيق والضنك ويستطيره إلى اياس مطلق عن رحمة الله ، فيومر حينئذ تعجيزاً « فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع » مسافة بينه وبينها كيداً لإيجاب النصره له ، فيزول بذلك غيظه « هل يذهبن كيده ما يغيظ » به ومنه من عدم النصر ؟
وليعرف هؤلاء الأغفال ان ليست النصره الإلهية الا بيد الله ، وهو ناصرٌ من نصره وتاركٌ من تركه .

ثم المشركون الذين كانوا يظنون ان الله لا ينصر محمداً في الدنيا والآخرة في مسرح الجحيم المكي ، حيث كان في أضيق الضيق ، قياساً لغائب الآخرة إلى حاضر دنياه في مكة ، وسناداً إلى ان من آمن ابتلي ، اذا فهناك ضابطة لهم - هابطة - « ان لن ينصره الله في

الدنيا والآخرة « كما » كان يظن « تشير بمضيه البعيد الى ذلك الظن البعيد البعيد ، ثم رآوه بعد الهجرة منصوراً معزراً - والسورة مدنية - اخذتهم الغيظة الخائفة لما لمسوا الواقع المدني خلاف ظنهم المحيل لتصرته ، فهنا الله يحملهم كيداً لقطع تلك النصرة العظيمة كما هو دأبهم الدائب ، ومن قبل حاوله فرعون واضرا به « لعل ابلغ الاسباب . اسباب السماوات فاطلع الى آله موسى » .

« فليمدد بسبب الى السماء » فان رسول السماء منتصر من سماء الربوبية ، بجند من السماء ووحى من السماء ورزق من السماء « ثم ليقطع » هذه النصرة عن الرسول ، ام « ثم ليقطع » تلك المسافة الى الملا الاعلى ، ولكي يقطع هناك سبب النصرة الإلهية لرسول السماء^(١) .

« فليظن » اذاً « هل يذهبن كيده » هذا المستحيل « ما يغيب » من تلك النصرة الإلهية ؟!

اذاً ف « لن ينصره الله » تعم الرسول المظنون فيه ، والظان ، كلاً لحده ، ولفظ الآية تحتلها ، والآيات السابقة عليها ثلاثهما ، والقرآن حال ذو وجوه فاحملوه الى احسن الوجوه ، وهما من ذلك الاحسن ، استنباطاً - دون أي تحميل - من نفس الآية بجوها ، مهما كان خنقه من الصالح ضمن المعنيين ، فالقطع هنا قطع نفسه بخنقه^(٢) .

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٤٧ - اخرج ابن ابي حاتم عن ابن زيد في الآية قال : من كان يظن ان لن ينصر الله نبيه ويكابده هذا الأمر ليقطعه عنه فليقطع ذلك من أصله من حيث يأتيه فان أصله في السماء ثم ليقطع اي عن النبي الوحي الذي يأتيه من الله ان قدر .

(٢) الدر المنثور ٤ : ٣٤٦ - اخرج بعدة طرق عن ابن عباس في الآية قال : من كان يظن ان لن ينصر الله محمداً في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب قال فليربط حبلاً الى السماء قال : الى سماء بيته السقف ثم ليقطع قال : ثم يختنق به حتى يموت .

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴾ ١٦ .

« وكذلك » العظيم العظيم ، البعيد المدى ، العميق المعنى « انزلناه » القرآن « آيات بينات » لمن يتبين ويتحرى عن الهدى ، دون المتجري عليها « وان الله يهدي من يريد » الهدى ، فيريد الله له الهدى ، دون فوضى في ارادته الهدى ، فانها ارادة ربانية لمن يريد الهدى ، فلا تفيد ارادة الهدى للمهتدي ما لم تؤيد بارادة الله ، ولا يريد الله الهدى الا لمن يريد بها .

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰدِقِينَ
وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِّنَ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ
وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۚ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۚ وَمَن يُهِنِ
اللَّهُ فَعَلَهُ مَن مَّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾
هَٰذَانِ خَصَمَانِ اٰخْتَصَمَا فِي رَٰبِعِهِ ۚ فَالَّذِينَ كَفَرُوا
قُطِعَتْ لَهُمْ ذِيَابٌ مِّن نَّارٍ يَصُبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمْ

الْحَمِيمُ ﴿١٦﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿١٧﴾
وَلَهُمْ مَقْعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا
مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾
إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ
وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ
الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

مركز تحقيق كتاب تيسر علوم اسلامی

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ ﴾ ١٧ .

فرق ست متفارقين في العقيدة ، سادستهم «الذين اشركوا» مما يلحق ان
الخمس الاخرى غير مشركين تماماً ، فقد ينجون اذا كانوا صالحين ايأ كانوا
من الخمس ، وكما تسانده : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى
والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٢٢: ٦٢) . ومثلها (٥ : ٦٨) حيث
حلقت الاجر على المؤمنين منهم وسواهم ، اذا فليسوا هم من المشركين .

وهنا « الله يفصل بينهم » لأن فيهم مشركين « والذين اشركوا » فصلاً

في الجزاء كفصلهم في عقائدهم . « ان الله على كل شيء شهيد » لا يعزب عن علمه شيء فانه عليم بذات الصدور .

ف « الذين آمنوا » هم المؤمنون بهذه الرسالة الجديدة المسمون بالمسلمين ، « والذين هادوا » هم اتباع التوراة « والنصارى » اتباع الانجيل ، فاما « الصابئين والمجوس » فما الصابئون - خلاف ما قيل - من عبدة الكواكب اذ قولوا كما المجوس بـ « الذين اشركوا » فليسوا هم - لاقل تقدير - ممن محض الشرك محضاً مهما انحرفوا عن حق التوحيد كفريق من اليهود والنصارى وفريق من المسلمين ، فعلمهم قوم بين اهل الكتابين كما تلمح له توسطهم بينهما في الذكر ، صباوا من الدين الكتابي الى شيء من غير الكتابي مع الحفاظ على عقيدة التوحيد كما ذكرناهم في آية البقرة .

والمجوس هم الزرادشت وكتابهم المقدس « اوستا » وهم يقدسون النار دون ان يعبدوها كأصنام ، ومهما يذكر في كتابهم اهورا مزدا واهر من كمبدئين للخير والشر ولكنهم يهون كل شيء الى اهورا موجد الكل ، اذا فليسوا من الوثنيين المحضين الشرك ، وكما يلمح له مقابلتهم كالصابئين بالذين اشركوا .

والذين اشركوا هم الذين محضوا الشرك محضاً ، تاركين عبادة الله الى عبادة الاصنام والاثان .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يَنْهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ ١٨ .

« الم تر » خطاب لكل راءٍ مهما اختلفت درجات الرؤية باختلافهم فيها ، والمرئي لهم كلهم ، بامعان النظر ولبعان الفكر « ان الله يسجد له » لا سواء ، فهو مسجود الكل على الاطلاق في ذوات اكوانهم ، خاضعين غايته

ونهايته أمام مشيئته دون امكانية التخلف ولا قيد شعرة ، من عقلاء
كـ « من في السماوات ومن في الأرض » عامة ، أم سواهم من جماد
كـ « الشمس والقمر والنجوم والجبال » أم نبات كـ « الشجر » وهو كل ما
يتشجر من قائم على سوقه وغير قائم ، أم حيوان : « والدواب » .

فهذه سجدة كونية ذاتية للكائنات كلها ، مهما كانت ساجدة باختيار
فـ « ان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم »
(١٧ : ٤٤) وفضل التسبيح عملياً هو السجدة ، فهي اذاً تعم الكل .

ذلك الكل ، واما الناس ، « وكثير من الناس » فلهم سجدة باختيار
اضافة الى كونية بشعور وسواء في اجزاءهم الكونية « وكثير حق عليه
العذاب » ولكنهم لا يسجدون باختيار ، بل الاوليان : كونياً أمام مشيئة
الله ، وتسبيحاً لأجزاء ذواتهم كسائر ذوات الكائنات ، فهم « كثير حق
عليه العذاب » بتركهم السجدة باختيار .

ففي مثلث السجدة نجد « كثير حق عليه العذاب » يترك الزاوية
المختارة ، ولا تنفصم به الضابطة التي تعم الكائنات كلها ، فالكون - اذاً -
عرباب واسع يسجد فيه الكائنات لربها طوعاً او كرهاً : « والله يسجد من في
السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم » (١٣ : ١٥) افليس يجدر
بالانسان وهو افضل الكائنات كوناً وكياناً ان يجاوبها في ذلك السجود العام
طوعاً كسجدته كرهاً ، واية مهانة اذذل واذل ان يترك هذا الانسان السجود
المختار لربه فيهيئه الله كما أهان هو نفسه : « ومن يهن الله فما له من
مكرم » دون الله « ان الله يفعل ما يريد » .

فهذه الآية توبيخة قارعة على تاركي السجود لله لو انهم انتبهوا عن
غفوتهم ، ومن الراجح جداً او الواجب ان تسجد عند قراءتها او
استماعها ، وكما مضت احاديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

حين سئل : يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) افضّلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدين ؟ قال : نعم فمن لم يسجد لها فلا يقرأها (١) .

ثم الارادة و « المشية من صفات الافعال فمن زعم ان الله لم يزل مريداً شائياً فليس بموحد » (٢) حيث الافعال على اية حال حادثة كسائر الحادثات ، ثم وليست مشيئة الله تابعة لمشيئة خلقه ايا كانوا (٣) .

وقد يتساءل ان كثيراً من الناس لما يعرفوا معنى سجود الكائنات فضلاً عن واقعه ، فكيف يتساءلون « ألم تر » كأنهم يرون سجودها رأي العين ام رأى العلم ؟

والجواب ان النظرة المجردة الفاحصة عن حالة الكائنات ككل تجاه ارادة الله ، يريهم كلهم انها خاضعة لارادة واحدة ، فلو كانت هنالك كثرة لفست بمختلف الارادات ، فتلك الوحدة الكونية بنضدها ونسجها بمسير

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٤٢ وفي نقل آخر عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) فضلت على القرآن بسجدين ، وفي ثالث عن علي وابي الدرداء انها سجدا في الحج سجدين .

(٢) نور الثقلين ٣ : ٤٧٦ عن التوحيد للصدوق وبإسناده الى سليمان بن جعفر الجعفي قال قال الرضا (عليه السلام) : ...

(٣) المصدر عن التوحيد بإسناده الى عبد الله بن ميمون القداح عن جعفر بن محمد عن ابيه (عليهم السلام) قال : قيل لعلي (عليه السلام) ان رجلاً يتكلم في المشية فقال : ادعه لي قال فدعاه فقال له : يا عبد الله خلقت الله لما شاء او لما شئت ؟ قال : لما شاء ، قال : فيمرضك اذا شاء او اذا شئت ؟ قال : اذا شاء ، قال : فيشفيك اذا شاء او اذا شئت قال : اذا شاء قال : فيدخلك حيث يشاء او حيث شئت قال : حيث شاء ، قال فقال له علي (عليه السلام) : لو قلت غير هذا لضربت الذي فيه عينك .

ومصير واحد ، تدلنا على كمال خضوعها دون تلفت وتخلف عن ارادة الله الواحد القهار ، فهو هو المسجود لا سواه ، فحري ان لا يُعبد إلا اياه .

﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ ١٩ .

« اختصموا » هنا دليل ان « خصمان » لا تعني شخصين اثنين ، وانما جميعين ، ثم « فالذين كفروا » تأييد ثان لهذه الجمعية وان الاولين هم الذين آمنوا ، وتقول الروايات انها نزلت في جمعي البدر ، ثلاثة مؤمنون يقودهم علي (عليه السلام) وآخرون كافرون ، وقد قال علي (عليه السلام) : انا أول من يجثو في الخصومة على ركبته بين يدي الله يوم القيامة (١) .

(١) الدر المشور ٤ : ٣٤٨ - اخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أبي ذر انه كان يقسم قسماً ان هذه الآية : هذان خصمان .. نزلت في الثلاثة والثلاثة الذين تبارزوا يوم بدر وهم حمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث وعلي بن أبي طالب ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة قال علي (عليه السلام) انا ...

وفيه - اخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية - قال لما التقوا يوم بدر قال لهم عتبة بن ربيعة لا تقتلوا هذا الرجل فانه ان يكن صادقاً فانتهم اسعد الناس بصدقه وان يكن كاذباً فانتهم احق من حقن دمه فقال ابو جهل بن هشام لقد امتلأت رعباً فقال عتبة ستعلم أننا الجبان المفسد لقومه قال فبرز عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة فناهوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه فقالوا : ابعث لنا اكفاءنا نقاتلهم فوثب غلطة من الانصار من بني الخزرج فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اجلسوا قوموا يا بني هاشم فقام حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث فبرزوا لهم فقال عتبة تكلموا نعرفكم ان تكونوا اكفاء قاتلناكم ، قال حمزة انا حمزة بن عبد المطلب انا اسد الله واسد رسوله فقال عتبة كفء كريم فقال علي (عليه السلام) انا علي بن أبي طالب فقال كفؤ كريم فقال عبيدة انا عبيدة بن الحارث =

ولان اختصاص فريقين لا يختص بمورد خاص فلتعن الآية كل اختصاص في الرب ، بين البدرين ام اهل الكتاب والمؤمنين^(١) أم اهل الجنة والنار اجمعين^(٢) مهما كانوا في ظاهر الحال في المسلمين كبنى أمية ، واهل الحق من امة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٣) وقد فصل الله بين الفريقين ، المشركين وسواهم ، والمؤمنين وسواهم في آيات سالفة ، اذا فهما « خصمان اختصاصا في ربهم » ككل دوئما اختصاصا .

والمختصمون في الله هم بين محق ومبطل ولا ثالث لهما ، اذا ف « هذان خصمان .. » على طول خط الزمن الرسالي ، وكافة الاختصاصات راجعة

= فقال عتبة كفؤ كريم فاخذ حمزة شيبة بن ربيعة واخذ علي بن ابي طالب عتبة بن ربيعة واخذ عبيدة الوليد ، فاما حمزة فأجاز علي شيبة واما علي فاختلفا ضربتين فأقام فاجاز علي عتبة واما عبيدة فاصيبت رجله ، قال فرجع هؤلاء وقتل هؤلاء فنأدى ابو جهل واصحابه : لنا العزى ولا عزى لكم ، فنأدى منأدى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فانزل الله « هذان خصمان .. » .

(١) المصدر - اخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حاتم عن قتادة قال : اختص المسلمون واهل الكتاب فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم ، وقال المسلمون : ان كتابنا يقضي على الكتب كلها ونبينا خاتم الأنبياء فنحن اولى بالله منكم فافلج الله اهل الاسلام على من ناوهم فانزل الله هذه الآية .

(٢) المصدر - اخرج ابن جرير عن عكرمة في الآية قال : هما اهل الجنة والنار اختصاصا فقالت النار خلقتني الله لعقوبته وقالت الجنة خلقتني الله لرحمته .

(٣) نور الثقلين ٣ : ٤٧٦ عن الخصال عن النضر بن مالك قال قلت للحسين بن علي (عليهما السلام) يا ابا عبد الله حدثني عن قوله تعالى « هذان خصمان .. » فقال : نحن وبنو أمية اختصاصا في الله تعالى قلنا صدق الله وقالوا كذب الله فنحن الخصمان يوم القيامة ، وعن الكافي بسند متصل عن ابي جعفر (عليه السلام) « فالذين كفروا » بولاية علي (عليه السلام) « قطعت لهم ثياب من نار » .

الى ربوبيته تعالى .

« فالذين كفروا » بالحق لما جاءهم كفراً عانداً عامداً مقصراً « قطعت لهم ثياب من نار » تشتمل عليهم اشتعال الملابس على الابدان ، حتى لا يسلم منها عضو من اعضائهم ، ولا يغيب عنها شيء من اجسادهم ، وعلها هي « سرايلهم من قطران » اذا لبسوها واشتعلت النار فيها صارت كأنها ثياب من نار لاحاطتها بهم ، واشتمالها عليهم ، ولا فحسب بل « يصب من فوق رؤوسهم الحميم » مادة حارة حارقة لباساً فوق اللباس ، كدثار فوق الشعار ونار فوق نار ، اضافة الى ذواتهم النارية حيث « اولئك هم وقود النار » فهم اذا محشورون في ثالث النار « جهنم يصلونها وبش القرار » .

﴿ يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾^(٢١) وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ^(٢٢) .

والصهر هي الإذابة ، فذلك الحميم المصبوب من فوق رؤوسهم يذيب ما في بطونهم من امعاء واحشاء ، ويذيب الجلود نضجاً : « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ... »

والمقامع هي المداق والعُمد ، حيث تضرب على رؤوسهم بما يصب ، ويصب بما تضرب ، جمعاً بين جموع العذاب .

ففي هذه الضفة الكافرة ثياب من نار تُقطع وتُفصل ، وحميم ومقامع تصب وتضرب عذاباً دائماً لا حول عنه :

﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾^(٢٣) .

ارادة للخروج تُشرفهم على واقع الخروج ، ثم اعادة فيها قطعاً لأمل كانه واقع عذاباً فوق العذاب .

« كلما » هنا تحلق على كل زمن العذاب دون كل الزمن حتى يدل على لا نهائية في العذاب ، فالخروج عن العذاب ما دام استحقاق العذاب للأبدية فيه ممنوع ، ولا ينافيه فناء النار بمن في النار فانه ليس خروجاً عن النار وهي باقية .

فالنار - اذاً - تعمهم وتغمهم دون خروج عنها للدائمين فيها ما دامت هي مشتعلة ، ولا خروج عنها او عن غمها كما لا تخفيف ، وانما عذاب قدر استحقاق ، قضية العدل والتسوية بين عصيان محدود وعذاب محدود .

ويقال لهم عند ردهم اليها « وذوقوا عذاب الحريق » هنا كما اذقتموه من اضللتهم هناك جزاءً وفاقاً ، عذاباً فوق العذاب .

ثم نرى صفة الايمان كيف تزف بحلية من لباس وطيب من القول :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ^{٢٣} وَهَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ^{٢٤} .

فاين الثياب المقطوعة من حرير من مقطوعة النار ، واين التحلية من اساور الدستور الذهبية زينة للايدي ، من حميم مصبوب فوق رؤسهم ومقامع من حديد ، واين الهدى الى الطيب من القول تحية وسلاماً واکراماً من الرد الى النار للمغتمين فيها والقول « ذوقوا عذاب الحريق » .

هنا « يحلون فيها . . ولباسهم فيها » يلمحان بحليتهما لهم ! فقط - فيها دون الاولى ، وقد تظافر الحديث عن رسول الهدى (صلى الله عليه وآله وسلم) : من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة^(١) وبالطبع

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٥ - اخرج البخاري ومسلم عن عمر عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) =

ذلك التهديد التحديد خاص بقبيل الرجال فان التزين بهما للنساء غير محظور بل هو مشكور .

« وهدوا » هداية كهديّة « الى الطيب من القول » تكلماً به واستماعاً له « وهدوا الى صراط الحميد » لان صراطهم في الدنيا كان حميداً يهدي الله الحميد .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ

لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ

يُضْلِلْ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ

مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ

وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ

يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾

= والنسائي والحاكم عن أبي هريرة عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن الزبير عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) واخرج النسائي والحاكم وابن حبان عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . . وزاد : وان دخل الجنة لبسه اهل الجنة ولم يلبسه .
اقول ويساعده « وعملوا الصالحات » لمكان الجمع ، فمن عمل بعض الصالحات لم يكن بهذه المثابة والمثوبة الكاملة .

لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ
 عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْعَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا
 أَمْرَ الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ
 وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ
 اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ
 إِلَّا مَا يُبْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ
 وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ
 وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا نَرَىٰ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ
 أَوْ تَهْوِي بِهِ فِي الرِّيحِ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ
 شَعِيرَ اللَّهِ فَلَهَا مِنْ نَفْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا
 مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾
 وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ
 مِنْ بَيْعَةِ الْأَنْعَامِ فَلِلَّهِ الْكُفْرُ الْوَاحِدُ فَلَهُ أَسْلِمُوا
 وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ

وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا
 رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ
 اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ
 فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ
 وَالْمَعْتَرَّ كَذَلِكَ نَحْنُ نَكُفِّرُ بَعْضَكُمْ عَنْ بَعْضٍ وَتُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَنْ
 يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ
 كَذَلِكَ نَحْنُ نَكُفِّرُ بَعْضَكُمْ عَنْ بَعْضٍ وَتُكْرَمُونَ بِشِرِّ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٧﴾

تفسير علوم راسدية

ثلاثة عشر آية تحوم حوم الحج في البعض من هامة مناسكه ،
 والتوجيهات العقائدية والسياسية اما هيه مما يقصد من هذه العبادة
 الجماهيرية السياسية القيادية ، ولكي يتبنى دولة الإسلام قوية صامدة
 عالمية ، رباطاً تاماً بين الكتلة المؤمنة في ارجاء المعمورة وليشهدوا منافع
 لهم .

فلذلك ترى « المسجد الحرام » يختص بالذكر بعد « سبيل الله »
 كأصدق مصداق شاخص يتجسد فيه سبيل الله ، وهي سبيل صالح
 الانسان بما يصلحه اصلاحاً جماعياً جمعياً في كافية الجنبات .

صحيح ان سائر الفرائض الالهية كلها سبل الله ولكنها الحج تجمع بين

كافة السبل قضية مناسكها الهامة التي تجمع جموعها في عبودية جماهيرية حركية عالمية :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْجَدِّ بِظُلْمٍ نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ٢٥ 》 .

فكما الاسلام بضوابطه هو لكافة المسلمين ، كذلك قبله الاسلام وعاصمته: « المسجد الحرام » فقد جعله الله للناس - وطبعاً المسلمين منهم - فانهم الذين يقصدونه كسبيل الله الموحدة بينهم - جعله لهم حال انه « سواء العاكف فيه والباد » سكناً وعبادة ، فلا يفضل عاكف فيه على باد ، وذلك لانه المعتكف والمطاف والقبلة لكل المسلمين على حد سواء ، بيت عتيق طليق لا يملكه احد سوى الله ، وقد جعله الله لعباده « سواء العاكف فيه والباد » فكل ترجيح لعاكف على باد لحاضر على مسافر ، ولمواطن على سواه ، كل ذلك الجاد فيه بظلم ، « نذقه من عذاب اليم » .

لا يعني « العاكف » فقط المعتكفين في المسجد الحرام كعبادة معروفة حيث العبادة الصالحة عنه المعتكف ، ولا « الباد » غير المعتكف ، بل هما « المقيم والذي يرحل » سواء اعتكفا ام احدهما ام لا ، وعلى التعبير بالعكوف للتأشير الى مدى المسؤولية الهامة على عواتق المقيمين بمكة المكرمة ، أن عليهم حياة العكوف والعبودية فيها بكل رقابة .

وطبعاً لا يعني « المسجد الحرام » هنا نفس المسجد اذ لا يقيم فيه المقيم ولا البادي ، بل هو مكة المكرمة كلها او الحرم كله ، تعبيراً باقدس مكان فيه ، كما و « ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام » (٢ : ١٩٦) ليست لتعني نفس المسجد فانه ليس مسكناً للاهلين ، وذلك عناية في التعبير عن البلاد المقدسة ان يذكر الامكنة المقدسة فيها .

وليس ذلك الصد - فقط - عن المسجد الحرام ، فانه صد عن المناسك

كلها ، وليس في المسجد الحرام إلا شطر منها ، إذا فالمسجد الحرام هنا هو امكنة الناسك كلها ، الحرم وما والاها من عرفات ومشعر ومنى .

وقد يقال ان « فيه » في « سواء العاكف فيه والباد » تتعلق بـ « سواء » فـ « سواء فيه » : نفس المسجد « العاكف » في مكة او الحرم « والباد » الا ان « العاكف » اقرب تعلقاً ومعنى ، فان كانت « فيه » متعلقة بسواء لكانت الصيغة الصالحة « سواء فيه العاكف والباد » .

او ان « العاكف فيه » هو المعتكف كعبادة خاصة ، ولكنه لا يقابله الباد ، فرب باد يعتكف .

إذا فـ « سواء العاكف فيه والباد » تسوي بينهما في بيوت مكة ، فهي مباحة للباد كما العاكف ؟ فلا تؤخذ اجرة من زوار البيت والا فلا سواء ، وكما يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « مكة مباحة لا توجر بيوتها ولا تباع رباعها »^(١) و « من اكل كراء بيوت مكة اكل ناراً »^(٢) وقد « توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وابو بكر وعمر وما تدعى رباع مكة إلا السوائب من احتاج سكن ومن استغنى اسكن »^(٣) ومن كتاب لعلي (عليه السلام) الى قثم بن عباس وهو عامله على مكة « وأمر أهل مكة ان لا يأخذوا عن ساكن اجراً فان الله سبحانه يقول « سواء العاكف فيه والباد » والعاكف المقيم به والبادي الذي يحج اليه من غير اهله »^(٤) .

(١) الدر المنثور ٤ : ٢٥١ - اخرج ابن مردويه عن ابن عمران النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ...

(٢) المصدر اخرج الدارقطني عن ابن عمران رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال :

(٣) المصدر اخرج ابن ابي شيبة وابن ماجه عن علقمة بن نضلة قال :

(٤) نهج البلاغة للسيد الشريف الرضي عن الإمام علي (عليه السلام) : وفي نور الثقلين ٣ : ٤٨٠ عن قرب الاسناد للحميري باسناده الى ابي جعفر عن ابيه عن =

والصد عن المسجد الحرام كسائر الصد عن سبيل الله هو الصد عن ان يُعبد الله فيه بخاصة المناسك وعامة العبادة ، ومن الصد عنه التمييز بين العاكف فيه والباد ، ومنه تملكه روحياً او زمنياً ، والسيطرة الخاصة عليه الا تنظيمياً ادبياً بين جموع الوافدين عاكفين ام بادين .

وكما يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) « يا بني عبد مناف من ولي منكم من امور الناس شيئاً فلا يمنع احداً طاف بهذا البيت او صلى اية ساعة من ليل او نهار »^(١) فكلما يرغب في المسجد الحرام او يؤمر فيه او يتدب لا يجوز الصد عنه .

= علي (عليهم السلام) كره اجارة بيوت مكة وقرء « سواء العاكف فيه والباد » وعن تهذيب الاحكام موسى بن القاسم عن صفوان بن يحيى عن حسين ابن ابي العلا في الصحيح قال ذكر ابو عبد الله (عليه السلام) هذه الآية فقال : كانت مكة ليس على شيء منها باب وكان أول من علق على بابه المصراعين معاوية بن أبي سفيان وليس ينبغي لاحد أن يمنع الحاج شيئاً من الدور ومنزلها وروى مثله في العلل عن الحلبي عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال سألت عن قول الله عز وجل « سواء العاكف فيه والباد » فقال لم يكن ينبغي ان يصنع على دور مكة ابواب لأن للحاج ان ينزلوا معهم في دورهم في ساحة الدار حتى يقضوا مناسكهم وان أول من جعل لدور مكة ابواباً معاوية وعن الكافي روى مثل ما في التهذيب باختلاف يسير .

وفي تفسير البرهان ٣ : ٨٤ عن الحميري باسناده عن جعفر عن ابيه عن علي (عليه السلام) ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نهى اهل مكة عن اجارة بيوتهم وان تعلقوا عليها ابواباً وقال : سواء العاكف فيه والباد - وقال : وفعل ذلك ابو بكر وعمر وعثمان حتى كان في زمن معاوية .

وفي الصحيح عن حفص البختري عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال ليس ينبغي لاهل مكة ان يجعلوا لدورهم ابواباً وذلك ان الحاج ينزلون معهم في ساحة الدار حتى يقضوا حجهم (التهذيب ٥ : ٤٦٣ ورواه مسلاً في الفقيه ٣ : ١٢٦) .

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٣ : ٢٤ قال (عليه السلام) :

وهل ان تلك التسوية تقتضي ألا تملك دور مكة المكرمة ؟ علها لا ،
اذ يجوز ان تملك على ذلك الشرط ألا يمنع الحجاج من سكناها زمن الحج .

هنا بيت الله ، فلا يعبد فيه الا الله ، وكل عباد الله فيه على سواء، ومهما
اختلفت درجاتهم روحية وزمنية ، فلا ينبغي لاحد ان يختص فيه بكرامة
وحرمة زائدة ، اللهم الا بتقوى الله ، ولكنها ايضاً ليست لتمييز عباد الله في
بيت الله بشأن من شؤون عبادة الله مكاناً او مكانة او زماناً ام اياً كان ،
فان « سواء العاكف فيه والباد » تخلق على كافة التسويات من حيث كون
المسجد الحرام سبيل الله .

ثم الاتحاد فيه يعم كل ميل عن الحق ، عامة في كل الحقول ،
وخاصة في حقل المسجد الحرام بما له من حرمت خاصة ، فيشمل كل
عصيان وظلم في مثله ، بحق الله او بحقوق الناس .

« ومن يرد فيه » - لا فقط - من يعمل فيه أو يلحد فيه - تجتث عن
هذه الساحة المباركة كافة التخلقات عقائدية وعملية وحتى في النية والطوية
ولمن لم يصل الى الحرم رعاية لقداسة الموقف فانه اقدس مقدس في الكون
كله بأسره وعن بكرته ، فكما من الاتحاد في المسجد الحرام تهديمه وعوداً
بالله ، او الاشراك بالله ، كذلك كل تخلف عن شرعة الله ، حيث يتضاعف
في المسجد الحرام وفي الحرم كله ومنه الصيد في الحرم لا سيما حالة
الاحرام ، وارثكاب محرمات الاحرام حاله ، ودخوله الحرم بلا احرام الا
لمن استثنى ، بل و « احتكار الطعام في الحرم الحاد فيه »^(١) وعلى الجملة « كل

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٥١ - اخرج البخاري في تاريخه وعبد بن حميد وابو داود وابن
المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه عن يعلى بن امية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله
وسلم) قال : ... واخرج مثله البيهقي في شعب الايمان عن ابن عمر سمعت رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : ...

ظلم يظلم به الرجل نفسه بمكة من سرقة او ظلم احد او شيء من الظلم فاني اراه الحاداً ولذلك كان ينهي ان يسكن الحرم^(١) .

ولا فحسب فيه ، بل ومن يرد فيه قبل ان يوافيه وان لم يصله فضلاً عن وصوله بما اراد ، وباحرى من يرد فيه وهو فيه ولم يحقق ما اراد ، وهذه من ميزات قبلة الاسلام ، ان الارادة السيئة بمجرد ما في غيرها لا تؤخذ بشيء ، ولكنها فيها مأخوذة مهددة بعذاب اليم ، فضلاً عن تحقيقها فيها ! وقد يتوسع « من يرد فيه بالحاد » الى غير الانسان من حيوان كسباع الطير اذا صارت في الحرم^(٢) .

وهل يتحصن بالحرم عن اجرام فيه ام خارجه ؟ كلا ! فانه ليس ملجأ للمجرمين ، بل ونفس « التحصين بالحرم الحاد »^(٣) فانه حرم للمؤمنين ، دون المجرمين .

اللهم إلا تحصيناً مؤقتاً مشروطاً لمن جنى في غيره ثم لجأ اليه فانه يضيق عليه في مأكله ومشربه حتى يضطر للخروج عنه فيقام عليه الحد، واما

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٨٢ في كتاب علل الشرايع بسند متصل عن ابي الصباح الكنائي قال سألت ابا عبد الله (عليه السلام) عن هذه الآية قال : ... اقول : والراويات بذلك مستفيضة .

(٢) المصدر عن العلل عن ابي عبد الله (عليه السلام) قيل له : ان سباعاً من سباع الطير على الكعبة لا يمر به شيء من حمام الحرم الا ضربه ، فقال (عليه السلام) : انصبوا له واقتلوه فانه قد الحد في الحرم .

(٣) جامع احاديث الشيعة ١٠ : ٩٢ ح ٢١١ - يب ٥٧٩ احمد عن ابن محمد الحسن بن علي الوشاء عن بعض اصحابنا يرفع الحديث عن بعض الصادقين (عليه السلام) قال : التحصين بالحرم الحاد .

الجاني في نفس الحرم فيقام عليه الحد في نفس الحرم « لانه لم يدع للحرم حرمة »^(١).

وعلى اية حال فكل الظلم فيه الحاد^(٢) بل واراوته ايضاً من الاحاد فيه .

وترى ما هو موقف « بظلم » بعد « بالحاد » وكل الحاد ظلم ؟ عل الباء في « بالحاد » للملابسة، تعني ملابس الاحاد فيما يريد، وفي « بظلم » للسبية، تعني الحاداً ظالماً، عله هنا بحق الناس حيث « سواء العاكف فيه والباد » وكما بحق الله وادناه الظلم بالنفس، ام انها حالان لـ « يرد » والمفعول محذوف ليتناول كل متناولاته، انحرفاً بظلم .

ام ان « بظلم » بدل عن « بالحاد » تعني ارادة ملابسة بظلم ايأ كان ، فانه الحاد ، اكباراً لاي ظلم يراد فيه انه الحاد ، وان كان ظلماً بالنفس فضلاً عن سواها ، ام انها كلها معنية مهما تفاضلت .

وكل ذلك لسيادة منقطة النظر في ذلك الموقف العظيم ، فانه قبله الاسلام ومطاف المسلمين ، فليقدس عن كل الحاد وكل ظلم وكل ما لا يرضاه الله تعالى ، منطلقاً لكافة الأبعاد الإسلامية السامية^(٣).

فكما ان المسجد الحرام هو اقدس مكان في الكون كله ، فليكن كل

(١) تفصيل البحث راجع الى تفسير آية « ومن دخله كان آمناً » فراجع .

(٢) كما رواه اصحابنا مستفيضاً كصحيفة ابن ابي عمير عن الصادق (عليه السلام) ان كل ظلم فيه الحاد ، ومثلها غيرها .

(٣) جامع احاديث الشيعة ١٠ : ٩٣ في الرضوي (عليه السلام) فمن هم لمعصية (اي في مكة) ولم يعملها كتب عليه سيئة لقوله تعالى : ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب السعير ، وليس ذلك في بلد غيره .

عاكف فيه او باد واقدس ممن سواه بواقع القداسة ام - لاقبل تقدير - بحراسة وقتية ، تصنعاً لنفسه وتصنعاً لآخرين .

وهكذا يسبق الإسلام سبقاً بعيداً عريقاً بإنشاء واحة السلام ومنطقة الأمان ، ودار الاسلام المفتوحة لاهل السلام والاسلام ، مهدداً هؤلاء الذين يريدون اعوجاجاً في هذا المنهج القويم المستقيم بعذاب اليم « ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم » .

وعلى ذلك التعقيب يكفي جواباً عن « ان الذين كفروا » كما هو جواب لـ « من يرد فيه بالحاد » فلا حاجة الى تقدير ، ام انه لوضوحه بعظم عذابه ليس بحاجة الى جواب حيث يعرفه البسطاء فضلاً عن اولي الالباب .

ولقد ذكر المسجد الحرام في اربعة عشر موضعاً بمختلف المناسبات ثم مسجد ومساجد اخرى بنفس العدد، ويا لها توافقاً بين عديد الذكر للمسجد الحرام وسائر المساجد ، وفقاً فيهما لعدد المعصومين الأربعة عشر ، فانهم من شروط المسجد الحرام سبيلاً الى الله ، وتقبلاً لفريضة الله .

ولماذا يعطف هنا المستقبل « ويصدون » على الماضي « الذين كفروا » ؟ علّه للتأشير الى استمرارية صدهم منذ كفرهم الماضي ، اضافة الى كل صاّد عن سبيل الله في المستقبل على مر الزمن فانهم يكفرون ويصدون ، فلا يكفي - اذاً - وصدوا ، حيث لا يشمل استقباله واستمراره ، فهم بعكس التعبير كـ « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله » .

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ ٢٦ .

« واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع

السجود ، (٢ : ١٢٥) .

« واذ بؤانا » كأنه قبل ان يبني البيت ، لمكان « مكان البيت » دون - فقط - « البيت » فقد جعله الله له بواء مباعة : مرجعاً يُرجع إليه إسكاناً من ذريته ، وعمارة للبيت ، وطوافاً به ، فلان الأولين يختصان به ، لذلك يختص هو بتلك المباعة « ان لا تشرك بي شيئاً » نهياً صارماً يخلق على كافة دركات الاشراك بالله حتى الرئاء وما دونه .

لا فحسب نفسك بل « وطهر بيتي » عن مظاهر الإشراك وملاحه وعمن يشرك بالله ، إخلاءً « للطائفين والقائمين والركع السجود » .

صيغة « بيتي » مصوغة لخصوص الكعبة المشرفة ، اضافة تشريفية ما اشرفها ، مهما كانت كل مساجد الله بيوت الله ، إلا ان الكعبة إمام البيوت كما هي أمام البيوت .

هنا وفي « ان طهرا بيتي » (٢ : ١٢٥) و « عند بيتك المحرم » (١٤ : ٣٧) الكعبة فيها بيت الله ، لانها مباعة العبادة لله ، ثم في ثلاث اخرى^(١) هي بيت الناس لانها معبد الناس ومطافهم ، فهي اذاً بيت الله وبيت الناس ، ثم وفي عشر هي الاخرى « البيت » اشارة الى بيت الله وبيت الناس .

فهو بيت الله حيث يعبد فيه الله وهو قبله المصلين لله ، وهو بيت عتيق لم يكن ولن يكون في ربة غير الله .

(١) « ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة .. » (٣ : ١٦) و « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » (٥ : ٩٧) « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامناً » (٢ : ١٢٥) .

وهو بيت الناس ، فانهم هم الذين يبيتون فيه ويستقبلونه ويطوفون به
الله ، اذاً فهو بيت الناس كما هو بيت الله مهما بان البون بين الانتسابين
كالبون بين الناس وبين الله .

ثم الطهارة المأمور بها ظاهرية عن كافة الأنجاس والأقذار ، وبأخرى
باطنية عن الاشرار بالله في مربع « الطواف والقيام والركوع والسجود »
كالقمة المعنية من توحيد الله في عبادته .

فكما ان هؤلاء عليهم تطهير بيوت قلوبهم وافكارهم ومظاهر ابدانهم
وملابسهم واعمالهم حتى يصلحوا لحج هذا البيت ، كذلك « طهر
بيتي للطائفين و... » ومن تطهير ذلك البيت ان تكون عمارته بصدق النية
وطهارة الطوية : « افمن اسس بنيانه على تقوى من الله .. » (٩ : ١٠٩)
وكما منه تنحية المشركين عنه^(١) .

وترى من هم « الطائفين والقائمين » حيث « الركع السجود » هم
المصلون ؟ فهل الطائفون هم من يطوف البيت ، والقائمون هم القائمون
في الصلاة ، فهو والركع السجود تعبيرات ثلاث عن الصلاة ؟

و « الركع السجود » يكفي تعبيراً عن الصلاة ، فانها تعنيان عبادة
تحميها قضية ردفها دون عطف ، وهما معا لا يوجدان إلا في الصلاة ، وقد
عظفا بالقائمين دليلاً على مفارقتها اياهم !

ولو كانت الثلاثة هم المصلين فصحيح العبارة عنهم « القائمين الركع
السجود » ردفاً دون عطف قضية وحدة العبادة ، رغم ان ضم « القائمين »
لا يفيد زيادة معنى !

(١) تفسير القمي ص ٣٢ عن الصادق (عليه السلام) نع عنه المشركين .

ثم وذكر « العاكفين » في آية البقرة بديلاً عن « القائمين » هنا مما يحتم
انهم هم العاكفون المقيمون في مكة المكرمة ، فالطائفون هم البادون ،
الحاضر للطواف دون الإقامة .

وتأييداً ثالثاً قرن السواء في غاية التطهير ، بالسواء بين العاكف والباد ،
فكما لم يميزوا في البداية فكذلك الامر في النهاية ، هناك « للطائفين
والقائمين » وهنا « للطائفين والعاكفين » .

فالطائفون هم الزائرون ، والعاكفون هم القائمون ، والركع السجود
هم المصلون ، مهما شمل الطائفون كل الطائفين حوله ، والعاكفون من
يعتكف فيه وسواه .

فقد جعل الله هذا البيت للناس سواء العاكف فيه والباد في كل شعائر
الحج ، ولذلك امر ابراهيم ان يطهره للناس سواء الطائفين والقائمين
بعكس الترتيب هناك كيلا يتقدم مقيم على مسافر ولا مسافر على مقيم
تحقيقاً للتسوية حتى في التعبير 

ثم الامر بتطهيره لا يخص ابراهيم الخليل ، بل هو مستمر الى يوم
الدين ، كما التسوية المفعولة المرمية الى يوم الدين .

وذكر « الركع السجود » مقيماً او مسافراً بعد « الطائفين والقائمين »
مسافراً او مقيماً ، لطواف البيت وسواه من مناسك الحج والعمرة ، يصور
لنا صلاة الطواف بعده ، مع ان « الطواف بالبيت بمنزلة الصلاة »^(١) .

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٥٤ - اخرج الحاكم عن ابن عباس قال قال الله لبيه : وطهر
بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود قال : طواف قبل الصلاة وقد قال رسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) : الطواف بالبيت بمنزلة الصلاة إلا ان الله قد احل فيه
المنطق فلا ينطق الا بخير .

فليكن ذلك البيت العتيق بالمسجد الحرام والحرم كله ، اظهر بيت في الكون كله ، متخلياً عن كل مظاهر القذارة والرجاسة ، متخلياً بكل مظاهر الطهارة والقداسة ، بعيداً عن كافة المفارقات والتمييزات لاي مقيم او مسافر ، في طواف وصلاة وسواهما من مناسكه .

وهنا « الركع السجود » دليل جواز الصلاة في جوف الكعبة المشرفة ، فانها اصدق مواضع « بيتي » حين يشمل المسجد الحرام ، وتاويل « الركع السجود » بكونها فقط امامها قبله عليل خارج عن التحصيل .

واما الطائفون الزوار والقائمون المقيمون ، فهم بين طائف ومصل ، ومعنى الطواف هو التطواف حوله ، فالداخل فيه السائر في حواليه لا يسمى طائفاً بالبيت العتيق^(١) .

واما الآية « قول وجهك شطر المسجد الحرام » فهي للخارجين عن الكعبة والمسجد الحرام ، حيث امر به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والمؤمنون معه في المدينة المنورة .

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾^{٢٧} .

وترى من هو المخاطب المأمور هنا بالأذان الإعلان بالحج ؟ أهو - فقط - ابراهيم الخليل (عليه السلام) وهو دعوى دون دليل إلا سبق الخليل بأمر قبله : « وطهر بيتي » والآيات التالية المخاطبة للحاضرين ومن

(١) البحار ٩٦ : ٤٨-٥٠ عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال : لما أوحى الله الى ابراهيم (عليه السلام) ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ، اهبط الى الكعبة مائة وسبعين رحمة فجعل منها ستين للطائفين وخمسين للعاكفين واربعين للمصلين وعشرين للناظرين .

يلحقهم مستقبلين تطارد ذلك الاختصاص ، لا سيما وان ذلك الخطاب « في الناس » كل الناس كقضية حقيقية تحلق على كافة المكلفين الى يوم الدين ، فحتى إن كان خطاباً لإبراهيم ، فهو كأول من يحمله الى الناس دون اختصاص ، والخطابات الشرعية للناس دائمة ما دام الناس إلا ان يأتي نسخ او تبديل ، وليس في القرآن دليل على اي تبديل بالنسبة لذلك الخطاب بكل ما يضمنه من مضامين .

ام هو خطاب لخصوص الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو بعيد عن السياق حيث سبق الخطاب إبراهيم الخليل وهو أول بان للبيت ، فهو - بطبيعة الحال - أول مؤذن للحج ، مهما يستمر حتى الرسالة الاخيرة باكمل صورة وسيرة .

حقاً انه خطاب أولاً لإبراهيم كأذان أول ، ثم للرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كأذان ثان ، مهما كان بينهما عوان على طول خطوط الرسالات منذ إبراهيم حتى محمد (عليهما السلام)^(١) .
ومجرد ذكره هنا مجرداً عن احد المخاطبين دليل الشمول ، ثم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اخرى من يشمله كما نتلمح او نتصرح من خطابات تالية ، « فكلوا منها واطعموا .. واحلت لكم .. الا ما يتلى عليكم .. »

(١) فروع الكافي ١ : ٢٣٣ صحيحة معاوية بن عمار عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اقام بالمدينة عشر سنين لم يحج ثم انزل الله سبحانه « واذن في الناس بالحج .. » فامر المؤذنين ان يؤذنوا باعلى اصواتهم بان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحج في عامه هذا فعلم به من حضر المدينة واهل العوالي والاعراب ..

اقول : ولا تنافيه الرواية القائلة ان المأمور به إبراهيم (عليه السلام) حيث الامر بخلق كافة الرسل منذ إبراهيم حتى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فاجتنبوا .. واجتنبوا .. لكم فيها منافع » ومن ثم « ولكل امة جعلنا منسكاً .. » فالهكم آله واحد - امة واحدة - ! « والبدن جعلناها لكم .. لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها .. فكلوا منها واطعموا .. كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون .. ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين » (٣٧: ٢٨) .

ثمانية عشر خطاباً في مناسك الحج تحملها آيات عشر بعد آية الأذان تعم الحاضرين من المسلمين والى يوم الدين ، كيف نتجاهلها باختصاص خطاب الأذان باصل الحج لابراهيم الخليل ، اللهم الا بتأويل عليل وتدجيل .

وهذه ضابطة ثابتة في فقه القرآن ، أن كل امر او نهي فيه لاي رسول ، يبقى امراً او نهياً لكل المرسل اليهم ، اللهم إلا يبرهان قاطع من القرآن نفسه ينسخه او يحدده ، بحيث الرسالة واحدة ، والمرسل اليهم امة واحدة ، اللهم إلا في بعض مظاهر العبودية وسواها حسب المصالح ، فما لم يثبت نسخ من الكتاب لحكم مذكور فيه فهو ثابت ، ولا سيما مثل أذان الحج الذي هو بطبعه زمني يشمل كافة الامم ، مهما تكاملت في الامة الاخيرة .

« وأذن » امر صارم « في الناس بالحج » وهو زيارة البيت حجاً او عمرة ، و « يأتوك » دون « يأتونك » هو جواب الأمر ، فذلك أمر بامر ، أمر أن يأمر الناس بالحج ، مقدماً للمشاة على الركب « يأتوك رجالاً » جمع راجل وهو المشاي « وعلى كل ضامر » وهو اي مركوب مهزول ، ضميره الجوع او المرض ، وقد اهل هنا اي مركوب قوي مزين مرمول ، مما يدل على ان الراحلة في اصلها - فضلاً عن سليمها - ليست شرطاً في فرض الحج .

فمن المضحك المبكي اعتذار بعض المتفقهين عن الآية - بعد الاذعان بدلالتها - على انها خلاف الشهرة العظيمة او الاطباق ، وخلاف الرواية المشترطة الراحلة في استطاعة الحج ، فلا يعمل بها !

وترى ما هو شأن الشهرة او الرواية امام تصريح الآية ، وهي غير منسوخة بل مؤيدة مبيّنة بآية الاستطاعة ، فمن استطاع شيئاً او على كل ضامر دون حرج او مشقة لا تستطاع ، فهو ممن استطاع اليه سبيلاً ، ومن لا يستطيع لا راجلاً ولا راكباً فهو ممن لا يستطيع اليه سبيلاً .

والرواية المفسرة للاستطاعة بالزاد والراحلة تقول « فاذا كان صحيحاً في بدنه غلّ سربه له زاد وراحلة فهو ممن يستطيع الحج »^(١) لا هو المستطيع للحج ، سلباً لاستطاعة من لا يحتاج الى زاد وراحلة .

واشترائط الزاد والراحلة في الاستطاعة هو طبيعة الحال في الاكثرية الساحقة الساكنين في كل فج عميق ، واما القريبين الى مكة المكرمة ، غير المحتاجين الى راحلة ، فهم ممن يستطيعون الحج دون راحلة ، كما المحترفين في سفر الحج يستطيعونه دون زاد حاصر ، فانما الاستطاعة - دون حرج او مشقة زائدة غير متحملة - هي فقط شرط الوجوب ، إلا ان الاكثرية الساحقة او المطلقة لا يستطيعونه إلا بزاد وراحلة .

(١) في الكافي ٤ : ٢٦٧ والتهذيب ١ : ٤٤٧ والاستبصار ٢ : ١٢٩ سأل حفص في الصحيح ابا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل « والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً » ما يعني بذلك ؟ قال : من كان صحيحاً في بدنه غلّ سربه له زاد وراحلة فهو ممن يستطيع الحج .

اقول : والرواية المطلقة في ذلك محمولة على الاكثر اذ ليست لتعارض نص آية الاذان كما رواه الصدوق في التوحيد عن ابي عبد الله (عليه السلام) في الآية ما يعني بذلك ؟ قال : من كان صحيحاً في بدنه غلّ سربه له زاد وراحلة .

لذلك ترى آية الأذان تطلق « رجالاً » ثم تقيّد « وعلى كل ضامر »
 بـ « يأتين من كل فج عميق » وطبعاً لا يركب الضامر إلا من يحتاج إلى ركوبه
 لعمق فجّه أم ضمور قوته .

فالاصل في اذان الحج هم « رجالاً » وهم - في الاكثر - الذين يأتون
 من كل فج قريب ، ثم « على كل ضامر » وهم - في الأكثر - الآتون من
 كل فج بعيد ، ومن ثم على كل مركوب مستطاع ، قوياً في جسمه ، سريعاً
 في مشيه ، حيواناً أم سفينة أم سيارة أم طائرة .

وقد يتعكس الامر ، فمن ساكن في فج قريب لا يستطيع المشي
 فهو - إذا - غير مستطيع دون راحلة ، وآية الإستطاعة لا تشترط إلا اصل
 الإستطاعة ، بزاد وراحلة أم دون زاد وراحلة ، راحلة ضامرة أم عامرة ،
 وقد استفاضت السنة في افضلية الحج ماشياً على الركوب لمن يستطيعه وكما
 يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : : ان الملائكة لتصافح
 ركاب الحجاج وتعتنق المشاة^(١) وذلك خاص بطبيعة الحال بمن لا يحشره
 امر أهم كالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث القيادة الرسالية لا
 تسمح له ان يصرف شطراً بعيداً من اوقاته في اداء ندب كالحج ماشياً واما
 الائمة الذين حجوا مشاة لمرات ومرات فلم يكونوا بمنصب القيادة الحاضرة
 حيث اغتصب عنهم .

وعلى اية حال فهنا في تقديم « رجالاً » دليل تفضيل الحج ماشياً ،
 وتفضيل المشاة الذين لا يملكون راحلة ضامرة ، ثم تفضيل الركب الضامرة
 على الركب العامرة ، مما يوضح تماماً ان ليست الاستطاعة بادية من المال على
 اية حال ، فليس المستطيعون هم الاغنياء بالركب الفاخرة ، بل هم غير
 المذكورين في عديد المستطيعين حتى في المرحلة الأخيرة ، لولا آية الاستطاعة

(١) الدر المنثور : ٤ : ٣٥٥ - اخرج البيهقي عن عائشة قالت قال رسول الله (صلى
 الله عليه وآله وسلم) ...

الشاملة لهم في اطلاقها الظاهرة ، وليست الاستطاعة الا القوة^(١) دون حاصر الزاد والراحلة، فقد لا يقوى رغم حضورهما وقد يقوى دونها ، فان كان له بعض الزاد وبإمكانه تحصيل البعض الآخر في الطريق فهو ممن له زاد ، « فان كان يطيق ان يمشي بعضاً ويركب بعضاً فليحج^(٢) » حيث المدار على اصل الاستطاعة وهي تختلف حسب مختلف الظروف والامكانيات، ومن الناس من يمكنه المشي كلاً وتحصيل الزاد في الطريق او المقصد، فهو ممن استطاع اليه سبيلاً ، وتفصيل الاستطاعة يختص بآيتها الثانية .

إذا فـ « حجة الإسلام واجبة على من اطاق المشي من المسلمين ولقد كان اكثر من حج مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مشاة^(٣) » .

(١) جامع الاحاديث ١٠ : ٢٤٦ ح ٧٤٦ عن المحاسن عن عبد الرحيم القصير عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال سأله حفص الاعور وانا اسمع فقال جعلني الله فداك ما قول الله : والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ؟ قال : ذلك القوة في المال واليسار .

(٢) المصدر ٢٤٩ ح ٧٥٤ عن الحلبي عن ابي عبد الله (عليه السلام) في آية الاستطاعة ما السبيل ؟ قال : ان يكون له ما يحج به ، قال قلت : من عرض عليه ما يحج به فاستحى من ذلك اهو ممن يستطيع اليه سبيلاً ؟ قال : نعم ما شأنه يستحي ولو يحج على حمار اتر فان كان يطيق ان يمشي بعضاً ويركب بعضاً فليحج ، اقول وقد وردت بذلك روايات مستفيضة .

(٣) المصدر ٢٥١ ج ٧٦٣ باب ٤٤٩ ص ١٤٠ الحسين بن سعيد عن فضالة بن ايوب عن فقيه ١٧٤ معاوية ١ - بن عمار قال سألت ابا عبد الله (عليه السلام) عن رجل عليه دين أعليه ان يحج ؟ قال : نعم ان حجة الإسلام . . شاة ولقد مر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بكراع الغميم فشكوا اليه الجهد (والطاقة - في فقيه) والعن فقال : شدوا ازركم واستبطنوا ففعلوا ذلك فذهب عنهم ، اقول ورواه مثله في بعض نسخ فقه الرضوى وفي ج ٧٦٥ باسناد متصل عن ابي بصير قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) قول الله عز وجل والله على الناس . . . قال (عليه السلام) يمشي ان لم يكن عنده قلت لا يقدر على =

ولان « الحج » هو قصد البيت لزيارته ، فهو يعم طواف الحج والعمرة ، وهما كالظرف والمجرور اذا اجتماعا افترقا واذا افترقا اجتماعا ، فمثل « اتموا الحج والعمرة » مكان افتراقهما ، واما آية الاذان واستطاعة الحج فهما في اجتماعهما .

ذلك الاذان الاعلام الإعلان لحج البيت منذ ابراهيم حتى الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فما يزال وعد الله يتحقق منذ ابراهيم الى اليوم والغد ، وما تزال افئدة من الناس تهوي الى البيت الحرام ، وتurf اليه ، يتقاطرون الى ذلك البيت العتيق من كل فج عميق من فقراء واغنياء من استطاع اليه سبيلاً .

ولماذا تلك الفريضة الجماهيرية العالمية ، وهنالك فرائض اخرى لا تضم ذلك الحشد الكبير ؟ :

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ هُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ﴾ ٢٨ .

ذلك لان الحج مشهد المنافع العامة لعموم المسلمين ، ومسرح الفوائد والعوائد الجماهيرية التي تكفل كيان الإسلام وشوكة المسلمين ، وقد قدمت هنا على ذكر اسم الله وهو خالص العبادة التي يؤتى بها إعلاناً وإسراداً ، أفراداً وجماعات ، ولكنها في ذلك المسرح كمشهد المنافع جماعية جماهيرية ، مما يدل على أن هنالك منافع تختلف صورياً عن ذكر اسم الله ، هي التي تتبنى قوائم شرعة الله في بلاد الله .

المشي قال يمشي ويركب قلت لا يقدر على ذلك قال يخدم القوم ويخرج معهم ، وفيه (٧٦٦) عن عبد الرحمن بن الحجاج قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) الحج على الغني والفقير ؟ فقال : الحج على الناس جميعاً كبارهم وصغارهم فمن كان له عذر عذره الله .

فهي « منافع لهم » كمجموعة من الكتلة المؤمنة ، لأنها مسرح ومصرح للشرعة الالهية كلها كشعائر ، بين تطبيق لقسم منها وتدريب لآخرى في تأشيرات عشيرات لمناسكها رمياً للشيطان وطوفاً حول بيت الرحمان « فبأي آلاء ربكما تكذبان » .

اجل « واذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » يأتوك « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله ..

وتنكير « منافع » هو تنكير تعظيم لما يُجهل من منافع ، فلم يقل « منافعهم » او « المنافع » لكيلا يخيل اليهم أنها المنافع المعروفة لديهم ، الحاصلة في غير ذلك المؤتمر العالمي ، وإنما « منافع لهم » مجهولة لمن لم يأتوا ذلك المشهد المسرح ، وهي « لهم » جميعاً ، دون المنافع الفردية الحاصلة في كل مطرح !

وهل هي - فقط - منافع الدنيا لذكرها قبال ذكر اسم الله ، ام منافع الآخرة^(١) سوى ذكر اسم الله ؟ إنها « الكل »^(٢) دونما اختصاص ، منافع طليقة تحلق على حاجيات الدنيا والآخرة ككل ودون ابقاء .

اجل « وعلة الحج الوفاة الى الله عز وجل ، وطلب الزيادة ، والخروج من كل ما اقترف ، وليكون تائباً عما مضى ، مستأنفاً لما يستقبل ، وما فيه

(١) المجمع عن ابي جعفر (عليه السلام) قال : هي العفو والرحمة .

(٢) نور الثقلين ٣ : ٤٨٨ في الكافي بسند متصل عن الربيع بن خثيم قال شهدت ابا عبد الله (عليه السلام) وهو يطاف به حول الكعبة في محمل وهو شديد المرض فكان كلما بلغ الركن اليماني امرهم فوضعه بالارض فاخرج يده من كوة المحمل حتى يجرها على الارض ثم يقول : ارفعوني فلما فعل ذلك مراراً في كل شوط قلت له جعلت فداك يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان هذا منافع الدنيا او منافع الآخرة ؟ فقال : الكل .

من استخراج الأموال وتعب الأبدان والاشتغال عن الأهل والولد وخطر الأنفس شاخصاً في الحر والبرد ثابتاً عليه دائماً مع الخضوع والاستكانة والتذلل مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع والرغبة والرغبة إلى الله تعالى ، ومنه ترك قساوة القلب وجساوة النفس ونسيان الذكر ، وانقطاع الرجاء والامل ، وتجديد الحقوق ، وحظر النفس عن الفساد ، ومنفعة من في شرق الأرض وغربها ، ومن في البر والبحر ممن يحج ومن لا يحج من تاجر وجالب وبائع ومشتري وكاسب ومسكين ، وقضاء حوائج اهل الاطراف والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها ، كذلك « ليشهدوا منافع لهم »^(١) .

وقد ذكر الله تعالى من « منافع لهم » ما ذكر في آي أخرى لفريضة الحج : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » (٥ : ٩٧) - « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامناً » (٢ : ١٢٥) - « ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين » (٣ : ١٦) .

اجل « قياماً للناس ومثابة للناس وهدى للعالمين » لا فقط الذين يأتونه ، مهما كانوا هم الركن الركين لتلك المنافع ، و « لهم » يعمهم كلهم

(١) المصدر في عيون الاخبار باب ما كتب به الرضا (عليه السلام) الى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل : ...

وفي باب العلل التي ذكر الفضل بن شاذان في آخرها انه سمعها من الرضا مرة بعد مرة وشيئاً بعد شيء : فان قال : فلم امر بالحج ؟ قيل : لعله الرفادة الى الله تعالى وطلب الزيادة ... وزاد بعد قوله : في المواضع الممكن لهم الاجتماع فيها : مع ما فيه من التفقه ونقل اخبار الأئمة (عليهم السلام) الى كل صقع وناحية كما قال الله عز وجل « فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يرجعون وليشهدوا منافع لهم » . اقول وقد نقلنا في المتن بعض المواضع مما في العيون .

ممن شهد موافقه ومن لم يشهد، ممن يحجج ومن لا يحجج، فان في ذلك المؤتمر الاسلامي السامي اذا طبق بشروطها، منافع للمسلمين بل وللعالمين ككل.

ذلك و « ليتعارفوا .. ولو كان كل قوم انما يتكلمون على بلادهم وما فيها هلكوا وخربت البلاد وسقط الجلب والارباح وعميت الاخبار ولم يقفوا على ذلك فذلك علة الحجج »^(١).

ومن « منافع لهم » في مدرسة الحجج اسرار المناسك^(٢) التي تتضمن صناعة الانسان وصياغته بقمة الانسانية السامية كما ارادها الله تعالى من هذه الفريضة التدريسية، الجامعة لكافة الفرائض والنوافل الفردية والجماعية، دنيوية واخرية.

فمهما كانت البلوى بالحج عظيمة، فالمنافع الناتجة عنها اعظم، وكل ابعاد هذه الفريضة منقطعة النظير في شرعة البشير النذير، مما يطرح

(١) البحار ٩٦ : ٣٣ - ٩ بسند متصل عن هشام بن الحكم قال : سألت ابا عبد الله (عليه السلام) فقلت له : ما العلة التي من اجلها كلف الله العباد الحج والطواف بالبيت ؟ فقال : ان الله عز وجل خلق الخلق لا لعة الا انه شاء ففعل ، فخلقهم الى وقت مؤجل وامرهم ونهاهم ما يكون من امر الطاعة في الدين ومصلحتهم من امر دنياهم فجعل فيه الاجتماع من المشرق والمغرب ليتعارفوا وليزرع كل قوم من التجارات من بلد الى بلد ، ولينتفع بذلك المكاري والجمال ولتعرف آثار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتعرف اخباره ويذكر ولا ينسى ولو كان كل قوم انما يتكلمون على بلادهم وما فيها هلكوا وخربت البلاد وسقط الجلب والارباح وعميت الاخبار ولم يقفوا على ذلك فذلك علة الحجج .

(٢) قد افردنا لها كتابنا - اسرار - مناسك وادلة الحج - باللغة الفارسية ، الفناء خلال الستين اللتين كنا بمكة المكرمة ضمن سني الهجرة السبعة عشر من شر الطاغية الشاه .

السؤال الكثير ، واجابة عن بلواها في مكانها نقتطف حكماً ناصعة عن الخطبة القاصصة عن الإمام علي امير المؤمنين (عليه السلام) : -

« وكلما كانت البلوى والاختبار اعظم كانت المثوبة والجزاء اجزل ، ألا ترون ان الله سبحانه اختبر الاولين من لدن آدم صلوات الله عليه إلى الآخرين من هذا العالم باحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً ، ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض حجراً ، واقل نتائق^(١) الدنيا مدرأ ، واضيق بطون الاودية قطراً ، بين جبال خشنة ورمال دثمة^(٢) وعيون وشيلة^(٣) وقرى منقطعة ، لا يزكو بها خُفٌ ولا حافر ولا ظُلف ، ثم امر سبحانه آدم وولده ان يُثَنوا أعطافهم نحوه ، فصار مثابة لمتجع^(٤) أسفارهم ، وغاية للملقى رحالهم ، تهوي اليه ثمار الافئدة من مفاوز قفار سحيقة ، ومهاوي فجاج عميقة ، وجزائر بحار منقطعة ، حتى يهزوا مناكبهم ذللاً لله حوله ، ويرملون^(٥) على اقدامهم شعشأ غبراً ، قد نبذوا السراويل وراء ظهورهم ، وشوهوا بإعفاء الشعور محاسن خلقهم ، ابتلاءً عظيماً وامتحاناً شديداً واختباراً ميبناً وتمحيصاً بليغاً ، جعله الله تعالى سبباً لرحمته ، ووصله الى جنته -

ولو اراد الله سبحانه ان يضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنات وانهار ، وسهل وقرار ، جم الأشجار ، داني الثمار ، ملتف البني ، متصل القرى ، بين برّة سمراء وروضة خضراء ، وأرياف محدقة ، وعراص

(١) جمع نتيقة وهي البقاع المرتفعة

(٢) هي اللينة التي يصعب عليها السير .

(٣) قليلة الماء .

(٤) محل الفائدة .

(٥) الرمل ضرب من السير فوق المشي ودون الجري وهو الهرولة .

معذقة ، وزروع ناضرة ، وطرق عامرة ، لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف لبلاء -

ولو كان الأساس المحمول عليها ، والاحجار المرفوع بها ، بين زمردة خضراء ، وياقوتة حمراء ، ونور وضياء ، لحفف ذلك مصارعة الشك في الصدور ، ولوضع مجاهدة ابليس عن القلوب ، ولنفي معتلج^(١) الريب من الناس ، ولكن الله يختبر عباده بانواع الشدائد ، ويتعبد لهم بألوان المجاهد ، ويبتليهم بضروب المكار ، اخراجاً للتكبر من قلوبهم ، وإسكاناً للتذلل في نفوسهم ، وليجعل ذلك أبواباً فتحة إلى فضله ، وأسباباً دُللاً لعفوه^(٢) .

فهذه منافع لهم ، هي كل المنافع الروحية والزمنية في كافة الحيويات الإسلامية السامية ، فالحج مؤتمرم ومؤتمر ، موسم عبادة شعائرية جاهرة ، ومؤتمر عبادة سياسية ، فريضة تلتقي فيها الدنيا والآخرة ، مسرح تشاور وتعاون بين الكتل المؤمنة في كافة المسائل العويصة الإسلامية .

مجاله عالية غالية لتلذذ فيها الفوارق من مختلف الجنسيات والعنصريات والقوميات والطائفيات ولا تبقى في صعيدها إلا اخوة اسلامية خالصة تتبناها كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ، بوحدة الارواح وتقارب الاشباح حيث يصبحون الأشباه حول كلمة « لا اله الا الله » .

عبادة تصفو فيها الارواح مشروحة لكافة الذكريات الصالحة في ذلك المشهد الحافل ، حيث ترف كالأطيان حول البيت العتيق طائفين حول مركز واحد ، يحوهم عن مختلف التطوافات حول سائر المطافات .

(١) الاعتلاج هو الالتطام .

(٢) نهج البلاغة للسيد الشريف الرضي ٢ : ١٧٠ - ١٧٣ محمد عبده .

هنا يجد المسلمون رايتهم المطلّة عليهم ككلّ حيث تتوارى الرايات ومختلف السلطات ، وتتوارى في الراية الإسلامية الموحّدة كافة الفوارق .

هنا مملكة الحج ، في بيت عتيق طليق عن كل مُلكة ، لا يقودها إلّا الله ، ولا يرأسها من قبل الله إلّا رسول الله ، ولا يحكمها إلّا كتاب الله ، حيث تتوحد القيادة الروحية والزمنية في هذه الرسالة السامية ، دون سماح لأية سلطة ، إلا لمن يطبق هذه الرسالة الموحدة بين جماهير المسلمين .

« ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام . . . » .

وترى ما هي « ايام معلومات » نحن نجهلها ؟ اهي اشهر الحج كلها حيث « الحج اشهر معلومات » (٢ : ١٩٧) فمن أهل فيهن بالحج فليذكر اسم الله حتى تتم مناسكها ، ذكراً خاصاً لله ليس معه ذكرٌ لسواه ، فانه قضية تلبية الإحرام « لبيك اللهم لبيك » لك لبيك لا لسواك ، فانما اذكرك لا سواك ؟

و « على ما رزقهم من بهيمة الانعام » قد تعممه الى كل الايام ! ثم « فكلوا منها واطعموا البائس الفقير » قد تخصصه بايام الذبح ، وان ذكر اسم الله هو على الذبائح عند ذبحها كشرط من شروط التذكية !

ولكن ذكر اسم الله على الذبائح يعم كل ذبح في اي زمان او مكان دون ايام معلومات للذبح في منى !

وذلك الشرط مذكور في آيته التالية « فاذكروا اسم الله عليها صواف » وذلك في يوم الاضحى كيوم معلوم ، دون ايام معلومات ، ثم الاضحى الى آخر ذي الحجة حيث يجوز فيها تقديم الاضحية ، ذلك مخصوص

بالاعذار وهي مقدرة بأقذارها ، فليست هذه العشرين هي الايام المعلومات .

واما تعميم « على ما رزقهم من بهيمة الانعام » فلا شاهد له هنا الا عليه ، حيث الذكر هنا ذكر خاص كما « منافع لهم » فـ « على ما رزقهم » يقتضي في ذلك المسرح الحاشر ذكراً خاصاً لله على رؤوس الاشهاد .

فـ « ايام معلومات » عليها هي ايام الحج والعمرة كلها ، ثم ايام الحج ثم عشرة ذي الحجة^(١) ايام التشريق الاربعة وكلها ايام معلومات ، فلم يقل « الايام المعلومات » لكي لا تختص ببعض دون اخرى ، بل في كل هذه الايام بدرجاتها ، بذكر التلبيات والصلاة والتسمية عند الذبح وعند الرمي ، ذكر القال والحال والافعال ،

وليصبح الحاج في ايامه ذكراً بكل كيانه ، بعد ان لبي دعوة ربه ، وترك اهله وماله وشغله وكافة ما كان يشغله عن ذكر ربه ، والآية تتحملها كلها حيث المسرح كله مسرح ذكر الله كما هو مسرح « منافع لهم »

ومن « ايام معلومات » هي « ايام معدودات »^(٢) ايام التشريق

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٩٠ في كتاب معاني الاخبار بسند متصل عن حماد بن عيسى في الصحيح عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال سمعته يقول قال علي (عليه السلام) في قول الله عز وجل « ويذكروا اسم الله في ايام معلومات » قال : ايام العشر ومثله في التهذيب عن حماد عنه قال ابي (عليه السلام) . . . وايام معدودات قال : ايام التشريق وفي الخلاف والايام المعلومات عشرة ايام من ذي الحجة آخرها غروب الشمس من يوم النحر ذهب اليه علماءنا اجمع .

(٢) المصدر عن معاني الاخبار عن ابي الصباح الكناني عن ابي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : هي ايام التشريق ، وفيه عن زيد الشحام عن ابي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : المعلومات والمعدودات واحدة وهن ايام التشريق .

وفي الدر المنثور ٤ : ٣٥٦ - اخرج ابن المنذر عن علي (عليه السلام) قال : الايام المعلومات يوم النحر وثلاثة ايام بعده .

« واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى ... » (٢ : ٢٠٣) وكشاهد آخر لها ان يوم الذبح هو يوم الأضحى ثم من بعده قضاء التفث كما في الآية التالية ، وهذه الايام كانت معلومة لدى الكل شاخصة بين كل ايام الحج والعمرة دون تقدم عن مواضعها او تاخر خلاف سائر ايام الحج حيث تتقدم او تتأخر اللهم الا يوم عرفة والمشعر الحرام فعلة من تلك الايام المعلومات ، والمجموعة هي الخمسة من التاسع الى الثالث عشر ، والقدر المعلوم من « ايام معلومات » هي اربعة التشريق فانها ايام الذبح المقررة له في الحالات العادية غير الاستثنائية وقد يتلمح من « واذكروا ... على ما رزقهم » وهو التسمية على الذبائح ، ولكنه لا يختص ذكر اسم الله بها ، فان « على » كما تعني ذلك ، كذلك تعني على انه تعالى رزقهم ، وذلك مهما كان عاماً يخلق على كل حياة التكليف ، ولكن لذكر الله في ذلك المسرح الحاشر موقعه الخاص ، سواء على الأضاحي ام على أية حال في ايام الحج .

ذلك وكما منها يوم عرفة والمشعر الحرام « فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم » (٣ : ١٩٨) .

ذلك وكما منها يوم عرفة والمشعر الحرام « فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم » (٢ : ١٩٨) فقد يضاف الى ايام التشريق ، كما تضاف بقية العشرة وسواها اليها .

بل ومنها بعدما قضيت المناسك : « فإذا قضيت مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكراً » (٢ : ٢٠٠) فضلاً عن ايام الحج بعمومها وخصوصها ، فانها ايام ذكر الله ، كلما كانت الشعائر أهم فالذكر أتم ، فهي - اذاً - كلها ايام معلومات مهما اختلفت الدرجات حسب الدرجات .

ومختلف الحديث عن ايام معلومات ومعدودات مما يبرهن على انها كلها

معنية وانما الاختلاف في الدرجات

وترى « بهيمة الانعام » خاصة بالبدن كما في الآية التالية: « والبدن جعلناها لكم من شعائر الله » ؟ وهي من أبرز مصاديق الأنعام العائشة في البلد الحرام فلا تخص بها الأنعام !

ام هي فقط الانعام الثلاثة : الابل والبقر والغنم ؟ وقد عمت احياناً الى ما يصطاد، ولا يصطاد شيء من هذه الثلاث وانما الظبي وحمار الوحش واضرابهما من ذوات القوائم الاربع فقد « احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتل عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم » فليكن الصيد من الانعام حتى يصح الاستثناء !

ولكنه صيد - مهما كان من الانعام - ولا يحل الصيد في المنسك ونحن حُرْم ، بل وفي غير حالة الاحرام أيضاً ، اذا فالانعام هنا هي الثلاثة لا سواها .

مركز تحقيق كتاب التفسير

﴿ .. فكلوا منها واطعموا البائس الفقير ﴾ .

من هذه والتي تليها : « فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر » نتأكد ان التقسيم ثنائي وليس ثلاثياً خلاف ما يقوله جمهور الفقهاء ، وان لحوم الاضاحي هي في الاصل للفقراء لا للإحراق والدفن وسائر الهدر والقدر كما هو المتعود بين الحجاج ، والقول الفصل فيها عند الآية الاخرى .

ثم « فكلوا منها » هنا وهناك كأنه امر ادبي رخصة لا عزيمة فانه عقيب حظر مظلون حيث كان المشركون لا يأكلون من ذبائح نسائكم^(١) فانزل

(١) آيات الاحكام للجصاص ص ٣ : ٢٩٠ روى يونس بن بكير عن ابي بكر الهذلي =

الله : « فكلوا منها واطعموا البائس الفقير » فرخص للمسلمين فمن شاء اكل ومن شاء لم يأكل ، والاكل افضل كما فعل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هدماً لسنة جاهلية ومشاركة مع البائس الفقير ، فيها تسوية بينهم وبينهم كيلا يظنوا انها خاصة بهم - فقط - لفقرهم ، بل هي هدية آتية يشارك فيها المفدي ، وقد نحر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واخذ من كل جزور بضعة فجعلت في قدر فأكل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي من اللحم وحسوا من المرق^(١) .

وقد يكون الاكل منها - كما الاطعام واجباً - ادبياً فان تركه ترفع على الفقراء كما كان عند اهل الجاهلية ، فليس الأمر - فقط - تجويزاً لسابق الخطر ومظنته ، بل واجباً لكسر هذه السنة ، ففي تركه إبقاء لهذه السنة ومسايرة عملية مع اهلها .

ذلك واما اطعام البائس الفقير فهو الواجب الزكفي الاصيل في ذلك الهدى ، فأمره للابحاث دونما ارتياب ، وليس الأمر الأول إلا هامشياً

= عن الحسن قال : كان الناس في الجاهلية اذا ذبحوا لطحوا بالدم وجه الكعبة وشرحوا اللحم ووضعوه على الحجارة وقالوا : لا يحمل لنا ان نأكل شيئاً جعلناه لله حتى تأكله السباع والطير فلما جاء الاسلام جاء الناس الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا : شيئاً كنا نصنعه في الجاهلية ألا نصنعه الآن فانما هو لله فانزل الله تعالى « فكلوا منها واطعموا » فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . لا تفعلوا فان ذلك ليس لله .

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٥٦ ، اخرج ابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله قال نحر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومثله في التهذيب ٥ : ٢٢٣ صحيحة معاوية بن عمار عن أبي عبد الله (ع) قال : إذا ذبحت أو نحر فكل واطعم كما قال الله تعالى . . . وفيه أيضاً الصحيح عن الباقرين عليهما السلام انها قالوا إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر أن يؤخذ من كل بدنة بضعة فأمر بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فطبخت فأكل هو وعلي وحسوا المرق .

تعبيداً لطريق ذلك الإطعام ادبياً فائقاً .

والبائس الفقير ، هو أفقر من الفقير وأبأس من البائس فقد يكون « هو الزمّن الذي لا يستطيع ان يخرج لزمّاته »^(١) وكما الفقير هو المكسور الفقار من شدة المسكنة ، فذلك كسر في المال وكسر في الحال ، فانه اجهد من المسكين والفقير^(٢) .

فهذه اللحوم مما رزقهم الله وهي من « منافع لهم » وقد جعلناها نحن رزقاً للديدان والمحرقات والجرافات ، وبديل ان يكون ذلك الرزق من « منافع لهم » اصبح عملياً من اضر المضار مالياً وادبياً وسياسياً حيث يضحك علينا العالمون كيف نبذر ذلك التبذير الرذيل وأمامنا في العالم الإسلامي فقراء لا يشمون ريح اللحم وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « انما جعل الله هذا الأضحى لتشبع مساكينكم من اللحم فأطعموهم منها » وسيايتكم التفصيل بكل بيان فيه تحصيل عند تفسير الآية الثانية ان شاء الله تعالى .

واطلاق الذبح هنا وان كان يعم كل الحجيج حتى المفرد ، ولكنه مخصوص بحج التمتع « فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي .. ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام » (٢ : ١٩٦) ثم

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٩١ عن تفسير القمي عن النوفلي عن السكوني عن ابي عبد الله (ع) قال هو ...

(٢) المصدر عن الكافي بسند متصل عن ابي بصير قال قلت لأبي عبد الله (ع) قول الله عز وجل : انما الصدقات للفقراء والمساكين ؟ قال الفقير الذي لا يسأل الناس والمسكين أجهد منه والبائس اجهدهم .

اقول : تقديم الفقراء على المساكين عند الجمع ، وتخصيص الفقير بالذكر عند الأفراد كما هنا يساعدان المعنى اللغوي الذي ذكرناه .

القران وإسمه معه ، دون الأفراد حيث اسمه معه ، أفراداً عن الهدي أو قراناً بالهدي ، فلا يجب الذبح في الأفراد ، ولا يجوز الأكل من غير الهدي ، كالذبيح للجريمة حالة الاحرام ، حيث النص خاص بالهدي الواجب على أية حال ، لا والواجب عند الجريمة حالة الاحرام ، فانه خاص بالفقراء دوغما استثناء ، ذلك فرض ثان في منى بعد الرمي وبعدهما الحلق والتقصير :

﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (٢٩) .

القضاء متعدياً بنفسه كما هنا هو الإتمام بالنسبة لأمر ابتداء ، والتفت عليها مأخوذة من اصل عبراني وهو « تافس » (תָּפַס) او « تافس » (תָּפַס) وكلاهما بمعنى امسك وقبض ، فقضاء التفت هو اتمام القبض والإمساك الذي ابتداء فيه بالاحرام قبل عرفة ، وقضاء التفت هنا بعد الذبح هو بالحلق والتقصير فيحل عن الاحرام (١) إلا عن الطيب والنساء حيث تجللهما طواف الزيارة والنساء « وليطوفوا بالبيت العتيق » إشارة الى الطوافين ، تكملة لذلك التفت فيحل عن كل محرمات الإحرام مهما بقي عليه بيتوته مني ليلتين أو ثلاث ورمي الجمار في أنهارها .

وما اجمله تعبيراً منقطع النظير عن الإحلال عن الإحرام « التفت » كما التعبير عن بداية الاحرام « الرفث » : « الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج .. » (٢ : ١٩٧) .

وقد تعني قضاء التفت ضمن ما عنت « تعليم الأظفار وطرح الوسخ

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٥٧ - اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في الآية قال : يعني بالتفت وضع احرامهم من حلق الرأس ولبس الثياب وقص الأظفار ونحو ذلك .

وطرح الإحرام^(١) .

وعَلَّ كل ما ذكر في الأحاديث من تفسير للتفتت اعتباراً بأنها من لوازم اتمام الأحرام وإنهائه ومن ذلك « هو ما يكون من الرجل في إحرامه »^(٢) .

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٩٢ - أحمد بن محمد بن أبي نصر قال قلت لأبي الحسن (عليه السلام) إنا حين نفرنا من منى أقمنا إياماً ثم حلقت رأسي طلب التلذذ فدخلني من ذلك شيء فقال : كان أبو الحسن صلوات الله عليه إذا خرج من مكة نأى بثيابه حلق رأسه وقال في قول الله تعالى « ثم ليقضوا تفثهم » قال : التفث ... وفيه في صحيحته البزنطي عن الرضا (عليه السلام) قال : التفث تقليم الأظفار وطرح الوسخ وطرح الأحرام عنه ، وفي قرب الأسناد للحميري أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال سألت الرضا (عليه السلام) عن الآية قال : تقليم الأظفار وطرح الوسخ عنك والخروج من الأحرام ، واقتصار أبي جعفر (عليه السلام) في صحيحه محمد بن مسلم عنه بقص الشارب والأظفار تفسير بعض لوازم الخروج عن الأحرام .

وفيه عن أبي الصباح الكناني عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : هو الحلق وما في جلد الإنسان ، وعن ذريح المحاربي في الصحيح قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) إن الله أمرني في كتابه بأمر فأحب أن أعمله قال : وما ذاك قلت : قول الله تعالى : ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم قال : ليقضوا تفثهم لقاء الإمام وليوفوا نذورهم تلك المناسك ، قال عبد الله بن سنان فأتيت أبا عبد الله (عليه السلام) فقلت جعلت فداك قول الله تعالى : ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم ، قال : اخذ الشارب وقص الأظفار وما أشبه ذلك ، قال قلت جعلت فداك إن ذريح المحاربي حدثني عنك بأنك قلت : ثم ليقضوا تفثهم « لقاء الإمام » وليوفوا نذورهم « تلك المناسك »؟ فقال : صدق وصدقت أن للقرآن ظاهراً وباطناً ومن يحتمل ما يتحمل ذريح .

(٢) المصدر حميد بن زياد عن ابن سماعة عن غير واحد عن إبان عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الآية هو ما يكون من الرجل في إحرامه فإذا دخل مكة فتكلم بكلام طيب كان ذلك كفارة لذلك الذي كان منه .

وعلى الجملة فقضاء التفث هو قضاء الاحرام بالخروج عنه تماماً وافياً ،
ولزامه بعدما قضى الى الذبح ، الحلق أو التقصير ، والخروج عن تقصير
كان له في احرامه بفدية وسواها ، ثم طوافي البيت زيارة ونساء ، ثم ومن
اكمله تتميم مناسك منى من بيتوتتها ورمياتها .

ولان قضاء التفث ثني بطواف البيت ، اذا فهو الاحلال الاول الا عن
الطيب حيث يحل بطواف الزيارة ، والنساء حيث يحل بطواف النساء ، وانما
عبر عن الاحلال الاول بقضاء التفث لانه اهمه ، ام ان قضاء التفث يعم
الاخرين ، وذكر الطواف - اذا - من باب ذكر الخاص بعد العام .

وقد يعرف واجب الترتيب بين هذه المذكورات من ترتيبها في هذه
الآيات ، ذبحاً ثم حلقاً او تقصيراً ثم طوافاً ، اللهم إلا للمعذور عن
تقديم الذبح كمن نبحت عنهم بعد .

﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ كافي في علوم رمي

وترى ما هي النذور التي يؤمر الحاج بإيفاءها بين هذه المناسك وقبل
ان « يطوفوا بالبيت العتيق »؟ وهي الوحيدة الأمرة بإيفاء النذور بين آياتها
الحسن الذاكرة له دون امر ، اللهم إلا تبجيلاً لمن يوفي « يوفون بالنذر »
(٧٦ : ٧) .

النذر - وهو ايجاب ما لم يجب على نفسك - قد ينشأ وافياً ، ثم ليوف
تطبيقاً ، وعمل الإيفاء هنا يشملهما ، فما فرض الحاج على نفسه بتقصير في
احرام ، ام فرضه على نفسه دون تقصير وبدون تحديد لوقف الإيفاء ، فليوفه
تطبيقاً هنا وقد تخلص عن حصر الاحرام ، ولكي يتخلص عن سائر الحصر
فيصبح طليقاً من الأخفاء حتى يطوف دون أثقال بالبيت العتيق ، وذلك
آخر المطاف في تخلصه عن حصر المحرمات الخاصة بالإحرام .

وما يعنيه من نذر لامر يتقاضاه ، فليُنذر هنا ايفاءً له كما يصح ويحق ،
وان ناسب وقت ايفاء التطبيق قبل الطواف فليوف .

﴿ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾

وذلك آخر طواف وآخر المطاف في اهم مناسك الحج ، وترى ماذا
تعني « وليطوفوا » في تشديد التأكيد ، دون « وليطوفوا » ؟ بلا تشديد ،
وهي الآية الوحيدة الأمرة بالطواف ؟

قد تعني طوافاً بعد طواف ، فلو كان الواجب هنا مرة واحدة لكان
« وليطوفوا » بتخفيف ، فليكن أكثر من مرة حيث هذه الصيغة تتطلب المزيد
على طواف وأقله مرة أخرى .

فلا هو - فقط - طواف الزيارة ، ولا هو - فقط - طواف النساء ، وعمل
الرواية القائلة انه طواف النساء ، تعني بيان الخفي من واجب الطواف
المختلف فيه بين المسلمين ، دون خصوصه ، رغم ان الواجب الاصيل من
الطواف هنا هو طواف الزيارة ، كما القائلة انه طواف الفريضة تعني بيان
الجلي .

إذاً فهو الطوافان : طواف الفريضة وطواف النساء^(١) ومن المضحك
المبكي تخصيص الآية بخصوص طواف النساء ، وطواف الزيارة وهي ركن

(١) التهذيب ٥ : ٢٥٢ الرقم ٨٥٤ والكافي ١ : ٣٠٥ باب طواف النساء قال ابو
الحسن (عليه السلام) في الآية : طواف الفريضة طواف النساء ، اقول عمل العاطف
سقط عن قلم الناسخ ، ام ترك اشارة الى اندغام الطوافين مع بعض استدلالاً بتأكيد
الصيغة في الآية ولكنه في المرات ٣ : ٣٤٦ والفقيه ٢ : ٢٩١ هو طواف النساء ، والنقل
الاول اصح ، وليؤمل الثاني بما ذكرناه في المتن ، وفي نور الثقلين ٣ : ٤٩٣ عن الصادق
(عليه السلام) قال هو طواف النساء ..

لا يُعني منها^(١) والآية هي الوحيدة في القرآن ! فالأحاديث الثلاثة ، انه طواف الفريضة او النساء او الطوافان مرجوعة الى كتاب الله ، فهو الطوافان دون ريب لمكان « وليطوفوا » .

ولأن ظاهر الأمر هو فور العمل به فليكن طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء التفث ، اللهم الا للمفرد^(٢) حيث لا تشمله الآية لمكان الأضحية غير الواجبة عليه ، والصحيحان المتعارضان^(٣) في القارن يُرجعان الى القرآن ، فعلى القارن كما على المتمتع طواف الزيارة والنساء يوم النحر إلا لعذر ، والصحيحان المجوزان للتأخير^(٤) محمولان على موارد العذر ،

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٩٣ في قرب الاسناد عن الرضا (عليه السلام) في حديث « وليطوفوا بالبيت العتيق » طواف الفريضة ، أقول هو طواف الزيارة وعله (عليه السلام) اكتفى به هنا لأنه الاصل ، وكما اختص طواف النساء بالذكر في حديث سالف في بعض النقل انه طواف النساء إلحاقاً به ، والواضح هو حديث الطوافين .

(٢) في الكافي ٤ : ٥١١ والتهذيب ١ : ٥١٨ والاستبصار ٢ : ٢٩٤ صحيحة معاوية بن عمار عن ابي عبد الله (عليه السلام) في زيارة البيت يوم النحر قال : زره فان اشتغلت فلا تضرّك ان تزور البيت من الغد ولا تؤخر ان تزور من يومك فانه يكره للمتمتع ان يؤخر وموسع للمفرد ان يؤخره .

(٣) وهما صحيحة هشام عن ابي عبد الله (عليه السلام) لا بأس ان اخرت زيارة البيت الى ان يذهب ايام التشريق الا انك لا تقرب النساء ولا الطيب ، ومثلها صحيحة الحلبي سأل الصادق (عليه السلام) عن رجل اخر الزيارة الى يوم النحر قال لا بأس (السرائر ٤٤٤) أقول وهي مقيدة بالمفرد ، او محمولة في غيره بالمعذور .

(٤) قد مضت الاولى في رقم (١) والثانية في التهذيب ١ : ٥١٧ والاستبصار ٢ : ٢٩٢ صحيحة معاوية بن عمار عن ابي عبد الله (عليه السلام) سألته عن المتمتع متى يزور البيت ؟ قال : يوم النحر او من الغد ولا يؤخر والمفرد والقارن ليسا بسواء موسع عليهما ، وفي خبر عمر بن يزيد ثم احلق رأسك واغتسل وقلم اظفارك وخذ من شاربك وزر البيت فطف به اسبوعاً وفي صحيح معاوية عن الصادق (عليه السلام) في حديث قال : فاذا أتيت البيت يوم النحر فقم على باب المسجد قلت ...

حيث المحور هو الآية الظاهرة في وجوب الاستعجال ، ونتيجة قياس الروايات عليها بقاء الوجوب الظاهر الا لعذر ام في المفرد .

وقد يوهن الوجوب بـ « ثم » هنا « ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » وهي للتراخي ، فالواجب بعد الذبح وفاء النذر وطواف البيت في وقت متراخ ، خرج الخلق او التقصير بدليل وبقي الباقي ومنه الطواف .

ذلك ، اضافة إلى ان «الحج اشهر معلومات» وآخرها ذو الحجة إلى آخرها ، ولان البيوتة في منى هي - فقط - في ايام التشريق ، وليس بعدها إلا الطوافان فليسمح فيهما الى آخر الشهر الأخير من المعلومات ، فلا يبقى في البين الا رجاحة تقديم الطواف ، وهو الاحوط مطلقاً إلا لعذر عاذر .

ولان الآية « وليطوفوا بالبيت العتيق » مطلقة في مسرح الطواف ، فطليقة ما صدق انه طواف ، فقد يصح الطواف حوله من أي المسجد الحرام ، مهما توسع المسجد ما صدق أنه المسجد الحرام ، فالمقام داخل في حد الطواف ، كما ان المسجد الحرام بمسارحه الثلاثة ، ارضية وتحت الارضية وفوق الارضية ، كله مطاف ، مهما كان الاقرب الى البيت فالاقرب افضل كما الصلاة ، وقد مثل الصادق (عليه السلام) في الصحيح عن الطواف خلف المقام فقال : ما احب ذلك وما ارى به بأساً فلا تفعله إلا ان لا تجد منه بداً^(١) .

ولا تعارضها الرواية اليتيمة القائلة أن حذّه ما بين المقام والبيت^(٢)

(١) الفقيه كتاب الحج ب ٧٢ ح ١ .

(٢) في الكافي ٤ : ٤١٣ والتهذيب ١ : ٤٧٧ مضمرة حريز عن ابن مسلم قال سألت عن حد الطواف بالبيت الذي من خرج عنه لم يكن طائفاً بالبيت ؟ قال : كان الناس =

لضعفها في سندها وفي متنها لنفسها قضية تعارض اجزاءها ، وتعارضها ككل إطلاق الآية ونص الصحيحة .

= على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يطوفون بالبيت والمقام وانتم اليوم تطوفون ما بين المقام وبين البيت فكان الحدد موضع المقام اليوم فمن جازه فليس بطائف والحد قبل اليوم واليوم واحد قدر ما بين المقام وبين البيت من نواحي البيت كلها فمن طاف متباعداً من نواحيه ابعد من مقدار ذلك كان طائفاً بغير البيت بمنزلة من طاف بالمسجد لانه طاف في غير حد ولا طواف له .

اقول : بعد مخالفتها لإطلاق الآية وصريح الصحيحة هي مضرة غير منسوبة صريحاً الى المعصوم وهذا كسر في الرواية ، ثم ان بدايتها خلاف نص القرآن بالنسبة للطواف « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » فلو كان المقام زمن الرسول قبل موقفه الآن - وكما في بعض الأحاديث - ملتزماً بالبيت وعمر هو الذي نقله الى موقفه الآن لكانت صلاة الطواف قرب البيت حيث موضع المقام زمن نزول الآية ، وهذا خلاف الضرورة الاسلامية بالاطباق .

ثم الطواف بالبيت والمقام زمن الرسول والطواف بينهما اليوم ليس لزامهما أنها سيان ، حيث الأول غير محدود بحد والثاني محدود ، اللهم الا بتلزيق الجملة التالية « والحد قبل اليوم واليوم واحد » فالجملة السالفة اجنبية عن اثبات الوحدة بين الحدين .

ثم القول « فمن طاف متباعداً من نواحيه ابعد من مقدار ذلك كان طائفاً بغير البيت » هذا خلاف الواقع الملموس ، فانه طائف بالبيت ولو دل الدليل على بطلانه ، كمن يصلي الى القبلة بصلاة باطلة ، فهو قطعاً مصل اليها مهما كانت باطلة والتعبير الصحيح هنا من طاف هكذا كان طوافه باطلاً ، لا انه لم يكن طائفاً بالبيت كمن طاف بالمسجد .

ثم المحكوم بالبطلان في هذه الرواية هو الطواف الذي كان متباعداً من نواحيه ، فلا تحكم بالبطلان اذا تباعد من بعض نواحيه ، ومحور الابطال هنا ان يطوف بكلا المقام والبيت من كل نواحيه فان طاف بينهما في موضع المقام ثم طاف ابعد من هذا المقدار في سائر الطواف فلا تبطله هذه الرواية حيث يصدق انه لم يطف بالبيت . متباعداً من نواحيه ابعد من ذلك .

ومن ثم كيف يصح فقهياً بيان مثل هذا الحكم المبطل به دائماً يمثل هذه اليتيمة =

ثم الحجر مطاف كما البيت فهو بيت في مسرح الطواف ، فليكن الفصل المحدد بين المقام والبيت في هذه اليتيمة ، هو الفصل بين جدار الحجر دون البيت .

ثم الممنوع فيها هو الطواف متباعداً من نواحيه أبعد من ذلك ، اذاً فلا ابتعاد في بعض النواحي كناحية الحجر ولا سيما رأس الزاوية ، غير ممنوع في نصها .

وبعد كل ذلك ليس الطواف خاصاً بزمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون الحجاج قلة ، حتى يصح ذلك التحديد - ان صح دليله - بل هو عام يخلق على الطول التاريخي والعرض الجغرافي الاسلامي ، ففيما يحج مئات الآلاف والملايين من المسلمين كيف يمكن الطواف المحدد بذلك الحد ، ولا سيما في قياس هؤلاء الذين يفتون باحتساب ساحة الحجر في هندسة حد الطواف ، اذاً فلا يبقى في رأس الزاوية إلا زهاء ثلاثة امتار ونصف يجب ان يجتازها دون تجاوز مئات الآلاف من الطائفين ! وما كان ليجتازها القلة القليلة في البداية ، ولا سيما الركاب ، ولقد طاف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) احياناً بالبعير ، فهل كان يهندس هذه الهندسة الضيقة المضايقة في رأس الزاوية ؟!

اذاً فلا اشكال في الطواف في أي المسجد الحرام ، مهما كان مكروهاً في موضع المقام ان يدخله في الطواف إلا عند الحرج او المشقة .

= المشوشة ، المخالفة للآية والصحيحة الصريحة ، غير القابلة للتطبيق حين كان المسلمون قلة فضلاً عن هذه الكثرة الكثيرة ؟

ثم الحجر في المطاف محسوب من البيت فلماذا التضييق عنده بانحسابه من المطاف فلا تبقى في رأس زاويته الا زهاء ثلاثة امتار ! .

ثم « ليطوفوا » قضيته ان يطوف الطائف باختيار منه ، فان طيف به دون اختيار منه ام هو نائم لم يكن من الطائفين ، وان طيف به باختيار منه ورضى ، ام طلب منه فهو من الطائفين ، ومجرد الطواف باختيار ونية من الطائف ما صدق انه طاف يكفي اداء لذلك الركن الركن .

ولان طبيعة الحال في المطاف اصطكاك الطائفين بعضهم ببعض ، وتنافعهم في ذلك السباق ، وان الطائف يحمل احياناً بطوف من سبل الطائفين ، شاء ام ابي ، ويحول أخرى الى غير أمامه شاء ام ابي ، علماً منه في ذلك المسيل الجارف غير المجازف والدوارة الهائلة ، علماً انه قد يطاف به او يحول !

لذلك كله لا يضره في كونه طائفاً باختيار هذه الحالات التي هي من لزامات الطواف ، ولا نص من غير آية الطواف يشترط عدم التحول عن الامام حالة الطواف ، وما مثل من يحمل ماشياً بحمل الطواف ، إلا كمثل من يركب في الطواف ، فلا ضير - اذاً - في تلك العوارض التي هي لزام الطواف في ذلك السيل الجارف الدائر مدار البيت العتيق ، كدوارة سيالة في ذلك المدار .

فمن يوغل نفسه في مجرف السيل باختيار ، ثم يجرفه السيل اي مجرف دوغما اختيار ، فقد ينحسب كل انحراف له بمبدء الإختيار ، حيث الإمتناع بالاختيار لا ينافي الاختيار ، وحكمه - ايا كان - حكم الاختيار .

ثم طبيعة الحال العادية غير المصطنعة في الطواف حول البيت ، انحراف اليسار عند الحجر عن جدار البيت لحد المواجهة للبيت نفسه ، وهذا - قطعاً - لا يضر بواجب الطواف ، فلا يجب بل لا يجوز تحويل اليسار الى البيت عند الحجر ، إما لان الحجر محسوب في الطواف بحساب البيت فجداره جداره كما ساحت ساحت ، ام لان المأمور به هو الطواف عادياً دوغما

اصطناع حول البيت ، ولا سيما في ذلك المجرف الدائري ، الجراف القوي القوي ، الذي لا يسمح بذلك الطواف باختيار ، فضلاً عن الهندسة المصطنعة للمحتاطين ، تحويلاً لليساار الى جدار البيت في زاوية الحجر ، فانها حالة مضحكة مبكية ، شاقة محرجة واحياناً غير ممكنة للطائف .

لا نص هنا ولا اشارة لان يجعل جدار البيت في زاوية الحجر على اليسار ، فاصل جعل البيت على اليسار ايضاً لا دليل له لفظياً إلا عمل المعصومين ، وحتى لو كان هنالك نص على وجوب هذه الهندسة الملتوية ، لكان ساقطاً عند الضرورة التي يعيشها الطائفون في الحج ، كيف ولا نص هنا او هناك إلا « ليطوفوا بالبيت العتيق » وكانوا يطوفون على اليسار .

ولان المسألة هي من اهم ما تعم به البلوى ، فلو كانت تلك الهندسة المحرجة شرطاً في الطواف لكانت النصوص عليها متواترة ، وليس هنالك نص ولا إشارة !

﴿ .. بالبيت العتيق ﴾ مركز تحقيق كتاب تيسر علوم إسلامي

مواصفة البيت بالعتيق لم تأت الا هنا و « لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق » (٢٤ : ٣٣)

وعلى العتيق هو القديم زماناً ومكاناً ، وهو الطليق عن أسر الملكة والسلطة الخاصة لغير الله ، فلم يملك ولن يملك لاي كان وإيان، وقد يجمعها : « ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدي للعالمين » (٣ : ٩٦) فهو أول زماناً ومكاناً وقد مكث الأرض من تحته وبُكت منذ حُركت ، وهو للناس كل الناس دون اختصاص ودون أية ملكة فانه بيت الله « سواء العاكف فيه والباد » (١) .

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٩٤ في الكافي بسند متصل عن أبي حمزة الثمالي قال قلت لأبي =

ومن ثم فهو عتيق طليق عن التهديم كما اعتق عن اصحاب الفيل ،
ومن قبل عتق من الغرق^(١) . و لان الله اعتقه من الجبابرة فلم يظهر
عليه جبار قط^(٢) وهم الملحدون والمشركون الداعون الى غير الله ، مهما
سيطر عليه - دون ملكة - جبابرة من المسلمين ، ام تهدم ثلاث مرات في
التاريخ الإسلامي !

والطواف بالبيت العتيق هو أركان أركان الحج ، بل هو هو الحج فانه
قصد البيت لزيارته ، وقد سميت سائر شعائره حجاً بضمه وضمانته ، فما
احرام العمرة بواجباته ومحرماته الا مقدمة تحضيرية للطواف ، وما السعي
بعده الا تلحيقاً له وتعقيباً ، ثم الاحرام للحج والوقوفان وبيتوته مني
بواجباتها ، هي كذلك تحضيرات للطواف الثاني وهي طواف الحج ؛
الزيارة ، ثم السعي له تعقيب ثان .

= جعفر (عليه السلام) في المسجد الحرام لأي شيء سمي الله العتيق ؟ فقال : انه ليس
من وضعه الله على وجه الأرض الا له رب وسكان يسكنونه غير هذا البيت فانه لا رب
له الا الله وهو الحر ثم قال : ان الله تعالى خلقه قبل الأرض ثم خلق الأرض من بعده
فدحاها من تحته . وفيه عنه (عليه السلام) هو بيت حر عتيق من الناس لم يملكه
احد .

(١) المصدر عن ابي عبد الله (عليه السلام) انما سمي العتيق لانه اعتق من الغرق
عتق الحرم معه كف عنه الماء وفي البحار ١١ : ٣٢٥ من بسند متصل عن ابي عبد الله
(عليه السلام) قال : ان الله تعالى اغرق الأرض كلها يوم نوح (عليه السلام) الا
البيت فمن يومئذ سمي العتيق لانه اعتق من الغرق فقلت له : صعد الى السماء ؟
فقال : لم يصل الماء اليه وانما رفع عنه (قصص الأنبياء مخطوط) .

(٢) الدر المنثور ٤ : ٣٥٧ - اخرج البخاري في تاريخه والترمذي وحسنه وابن جرير
والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن عبد الله بن الزبير قال
قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انما سمي الله البيت العتيق لان الله . . .

مناسك الحج كلها تحوي أسراراً ، فطواف البيت هو محور الاسرار ، حيث تحللت الآن عن كل طواف حول كل مطاف ، فتطوف الآن حول البيت العتيق .

لقد كنت قبل طائفاً حول نفسك ونفسياتك ، ام أنفس الآخرين ونفسياتهم ، ثم لبّيت دعوة ربك لحج بيته العتيق ، لبيك الله ولا لبيك لسواه ، فانت الآن وبعد احرامك تطوف حول البيت العتيق ، بعدما كنت طائفاً طوف الرقيق حول الرقيق ، فالآن انت منعتك عن التطواف حول ما سوى الله ومن سوى الله ، حيث بيت الله في كونه مطافاً يمثل التطواف حول محور الحق لا سواه ، الله لا سواه ، كما الطواف محصور في بيت الله لا سواه .

انت في حياتك كلها طائف حول مطاف ، حركة دائرية دائبة حول مركز من مراكز الحياة والحيوية كما تروم ، فتحوم حومه ، وتطوف حوله ، وأصلاً اليه ام غير واصل ، حاصل على بعثتك ام غير حاصل .

فانت طائف اينما كنت وحيثما كنت ، فانت انت بنفسك الطواف طائفاً حول نفسك ونفسياتك ، حول إنبيائك ومراداتك ، حول اصنامك وطواغيتك ، حول شخصياتك ومصلحياتك في كل محاورك، حركة دائبة دون أية وقفة ، وكلها هباء والى العراء ، والآن - بعدما لبّيت - تبدّل محور الطواف عن كل المحاور سوى الله ، من غير الله الى الله ، من سائر البيوت واصحابها الى بيت الله والى الله .

وانه حركة دائرية لا توصلك الى مركزها ، حيث الله لا يوصل اليه ، ولا نهاية لها قضية الدائرة ، لان معرفة الله وعبوديته لا نهاية لها ، وانما تجعل هنا - كأمثولة - كل حركاتك حول محور الحق ، فليس لله مكان ولا بيت يحله حتى يطاف حوله ، وانما جعل هذا البيت رمزاً للتطواف الحق ،

انه فقط حول مرضات الله ، حول بيت الله كأنه حول الله وليس له حول .

انت في ذلك الطواف حول البيت العتيق تحرر نفسك عن كل طواف غير عتيق ولا طليق ، وتحصر نفسك في حركاتها في ذلك الطواف ، فتصبح طوافاً - وعلى طول خط الحياة - حول البيت العتيق ، حول الحق الطليق .

تطوف بالبيت العتيق ، الذي لا ظاهر له باهراً إلا احجار سوداء ، ولا باطن إلا خلواً عن كل باطن ، غير مزخرف البنيان ، ولا ساكن فيه أي كان ، من نبي أو إمام ، وليس الله - وهو بيته - من السكان ، محور ومطاف حاسر عن كل ما يجلب العيون ، ويجذب الالهواء ، اللهم الا مرضات الله حيث أمرنا ان نطوف ببيته العتيق ، تحرراً عن كل حركة وطواف ، وانحصاراً فانحصاراً في التطواف حول ما يرضاه الله .

ذلك تدريب ادبي ، يؤدبنا كيف علينا ان نطوف في كل مجالات الحياة تحرراً فيها عن كافة المحاور إلا الله فـ « لا اله الا الله » .

تذيب هنا كافة الشخصيات عن نفسك ، وتخفي شخصك بين سيول الطائفين ، غارقاً فيهم دون تميز ، درساً لك ملموساً لتكون في حركاتك الى الله مع عباد الله ، فان « يد الله مع الجماعة » .

تطوف سبعا - عله - لكي تزيل عنك الوصمات السبع الابلسية ، فتغلق على نفسك الابواب السبع الجهنمية ، وكما تسعى سبعا وترمي الشيطان الاكبر والاولسط والاصغر سبعا ، سبعا تلو بعض ولصق بعض ، ولكي تتخلص بالنتيجة عن السبعة اللعينة الشيطانية وابوابها .

ولان الطواف بالبيت العتيق عبادة لا تؤتي إلا بامر ، ولم يؤمر به الا بالبيت العتيق ، فلا يجوز الطواف حول النبيين وسائر المعصومين ، او

بيوتهم ، او قبورهم ، فانهم معكم طائفون حول هذا البيت فلا يطاف حولهم ، كما الصلاة - فقط - لله وسائر العبادات خاصة بالله لا سواء ، والعبادات توقيفية حسب المقرر في شرعة الله ، فلا يؤق حتى بصورتها لغير الله ، لأنه تشريك بالله وتسوية في حرمة الله .

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَجَلْتُ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ ٣٠ .

« ذلك » البعيد البعيد المدى ، العظيم العظيم الصدى ، من حج البيت بمناسكه ، فانها من حرمت الله التي احترامها ، وحرمتها على من يحترمها ، حرمت وحرمت واجبة الاحترام عقيدياً وعملياً .

« ومن يعظم حرمت الله » في آية مجالة من مجالاتها « فهو » ذلك التعظيم « خير له عند ربه » « له » دون ربه ، ومهما لم تكن خيراً عند من سوى ربه « فهو خير له عند ربه » فمن يهتكها فهو شر له عند ربه ، ومن لا يحترمها ولا يحترمها ، عواناً بين تعظيمها وتصغيرها ، فلا خير له ولا شر له إلا تركاً لتعظيمها الواجب ، بل ان « خير » هنا يقابل الشر ، فمن لا يعظمها فهو شر له عند ربه ، فكما الله يعظم فرضاً ، كذلك حرمت الله ، حيث احترامها الله وحرّم خلاف التعظيم لها .

و « حرمت الله » في وجهة عامة هي ما لا يحل هتكه وتجب حرمة ورعايته ، من واجبات او محظورات ، فليست هي - فقط - المحرمات ولم تذكر هنا من ذي قبل إلا واجبات ، وليست هي - فقط - الواجبات ، بل هي حدود الله في ما فرض او حذر ، مهما اختلفت درجاتها حسب قراراتها ،

رجاحة في فرض أو واجب أو مندوب ، وكراهة في فحشاء أو منكر أو مكروه ، وهي كلها واجبة الاحترام فعلاً أو تركاً وعلماً واعتقاداً : « انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة التي حرّمها وله كل شيء » (٢٧ : ٩١) وهكذا سمي المسجد الحرام بالحرام لواجب الاحترام ، وكما تسمى المحرمات ايضاً حرّمات « والحرّمات قصاص » (٢ : ١٩٤) .

إذا فحرّمات الله هي عبارة اخرى عن شرعة الله ككل ، وقد ذكر هنا ويذكر قسم منها عظيم ، لعبادة جماهيرية سياسية هي من شعائر الله ، ومن مكبرات ومذباغات شرعة الله ككل .

« وأحلّت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم » في الكتاب من قبل هذا ومن بعد ، تلاوة دائبة في العهدين مكياً ومدنيّاً ، حيث الإستثناء لا يختص بما يتلى بعد وقد تلى من قبل كما يتلى من بعد ، حيث تلى في مكيات من قبل كالانعام وكما هنا وفي النحل في اخريات العهد المكي ، ثم في البقرة المدنية والى المائدة وهي آخر ما نزلت من المدنيات ، اذ نجد في مكيات سائلة ولاحقة ام في مدنيات مستقبلية استثناءات عما احلت من الانعام .

و « احلت » هذه هنا دون رباط ظاهر بما يتلوها ، إلا ما سلف « من بهيمة الانعام » أكلاً وإيكالاً ، انها تنديد بالمشرّكين الذين كانوا يحرمون لحوم الاضاحي من الانعام على انفسهم وعلى الفقراء ، لأنهم قدموها لله ! فهنا وفي التالي يأمر الله بأكل لحومها وإيكالها وأنها ليست مما يتلى عليكم .

« فاجتنبوا الرجس من الاوثان » حيث تضحون باسمها « واجتنبوا قول الزور » أن لحومها محرمة لانها لله ، فـ « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ... » ١

وترى ما هو « الرجس » وما هو موقف « من » في « من الأوثان » ؟

الرجس هو القذر مادياً او عملياً او معنوياً ، يجمعها الرجس المنفي عن اهل البيت « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً » (٣٣ : ٣٣) وتتلوها « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان » (٥ : ٩٠) حيث الخمر رجس ذاتها وعملها وشربها وكل محاولة فيها الا تحويلها خلاً ، والميسر عملها واكل المال فيها ، والأنصاب وهي ما ذبح على النصب فعملها رجس وذاتها واكلها . ومن الذاتي والعملي : « إلا ان يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فانه رجس » (٦ : ١٤٥) ومن الذاتي والمعنوي : « واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم » (٩ : ١٢٥) ومن الفاعلي « قال قد وقع عليكم رجس من ربكم وغضب » (٧ : ٧١) وفي صيغة شاملة كل واجب الاجتناب رجس مساً او عملاً او عقيدة فيعم الرجاسات الظاهرية والباطنية .

و « الاوثان » هي رجس صناعة ، ورجس عبادة ، ورجس ما ذبح عليها باسمها ، ورجس سائر المعتقدات فيها والطقوس لها .

إذا فـ « من » هنا قد تكون نشوية فهو رجس ناشيء عن الاوثان مثل ما ذبح على النصب ، وما ذبح مذكوراً عليها اسم غير الله ، وما أُهْلَ به لغير الله « فاجتنبوا الرجس » : ما اهل به لغير الله ، رجس صادر عن الاوثان .

واخرى جنسية : « الرجس » الكائن « من » جنس « الاوثان » صناعة وعبادة واية محاولة شركية فيها .

وثالثة بيانية كأن الرجس - فقط - هو الاوثان ، ولانها مبدء كل رجس في جنبات الحياة .

ورابعة تبعية « الرجس من » بعض المحاولات « من الاوثان » ككل المحاولات الشركية الناشئة عن عبادة الاوثان ، واما كسرهما واحراقها وامثالهما من محاولات توحيدية فهي واجبة « من الاوثان » كبعض آخر مما يرتبط بالاوثان .

وقد تكون كلها معنية والأنسب في هذا المسرح هو الأول ، اجتناباً عما اهل لغير الله به عملاً واكلاً ، واجتناباً من القول الزور فيها أنها آلهة تستحق الإهلال لها في الذبائح ،

والقول بحرمة الاكل والايكال من الاضاحي لأنها الله اذ كانوا يقولون فيها : لا يحل لنا ان نأكل شيئاً جعلناه الله حتى تأكله السباع والطير فرد الله عليهم امراً بالاكل والايكال بشروط الحلية ، وانه « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ... » .

ثم « قول الزور » لا القول الزور ، هو قول من الزور او في الزور او للزور بمثلث التقديرات في الاضافات الطليقة ، فيخلق على كل قول مصدره زور ، او في مجال زور ام لغاية زور .

والزور من الزور والتزوير هو الميل عن الحق تظاهراً بالحق ، نفاقاً عارماً ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب ، فهو اخص من مطلق الكذب ، لأنه الكذب المنافق .

وواجب اجتناب قول الزور لا ينحصر فاعلياً ، بل وحتى حضوراً لمحضره وانفعالياً ، فسماع شهادة الزور كنفس الشهادة مأمور باجتنابه وسائر قول الزور ، فمنه شهادة الزور ومنه قول المشركين في تلبيتهم : « لبيك لا شريك لك الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك » ^(١) كما منه قولهم في الاضاحي

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٥٩ - اخرج ابن ابي حاتم عن مقاتل في الآية يعني الشرك بالكلام وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت فيقولون ...

وتسميهم غير الله عليها ، وكذلك الغنى الملهي^(١) لفظياً باصوات مطربة ام معنوياً بمعاني ملهية ام جمعاً بينهما فواويلاه ! ومن قول الزور ان تقول للذي يغني احسنت^(٢) مهما اختلفت دركاتها .

وقد قرن قول الزور ايا كان بالرجس من الاوثان ومن أنحسه شهادة الزور فقد « قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خطيباً فقال اياها الناس عدلت شهادة الزور اشراكاً بالله - ثلاثاً - ثم قرء : فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور^(٣) .

إذا فقول الزور هو كل قولة هارفة جارفة مزخرفة بظاهرة الصدق ، مهما اختلفت دركاته ، وكما تختلف دركات الشرك ، وقد قورن قول الزور

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٩٥ عن الكافي عن ابي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : الغناء ، اقول :

انها مخصوصة بالغناء الملهي كما في بعض الروايات لانه في اللهو ، واما غير الملهي كالتغنى بالقرآن فهو غير محذور بل هو مشكور كما في الحديث : تغنوا بالقرآن - ليس منا من لم يتغن بالقرآن ، فالقول ان كل غناء زور هو نفسه من القول الزور ، وفي المجمع روى اصحابنا انه يدخل فيه الغناء وسائر الأقوال الملهية .

(٢) المصدر عن معاني الاخبار عنه (عليه السلام) في الآية قال : منه قول الرجل للذي يغني احسنت ، اقول : وهذا من باب بيان بعض المصاديق الخفية المختلف فيها ، وكافة الرجس من الاوثان بالشطرنج فان اللاعب به ينجذب اليه تاركاً ما يعنيه الى ما لا يعنيه عاكفاً عليه كانه يعبد ، وهذا جار في كل ما يلهيك عما يعينك كانك تعبد .

(٣) الدر المنثور ٤ : ٣٥٩ - اخرج احمد والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن ايمن بن خريم قال قام . . . وفيه اخرج احمد والبخاري ومسلم والترمذي عن ابي بكرة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الا انبئكم باكبر الكبائر ؟ قلنا بلى يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : الاشراك بالله وعقوق الوالدين - وكان متكئاً فجلس فقال : - الا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت .

بالشرك ، دركات بدركات مما يجعله تلو الشرك ، وهو في الحق إشراك للكذب بالصدق حيث يُزور بظاهرة الصدق .

ذلك - والزور اياً كان : قولاً وعلماً وعملاً واعتقاداً ومشهداً محظوراً « والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً » (٢٥ : ٧٢) « فاجتنبوا ... ! »

﴿ حَنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ ٣١ .

ان كل زور حالاً ومقالاً وأعمالاً ، ناشيء من الإشراك بالله مهما كان شركاً خفياً ، اذا « فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور » حال انكم « حنفاء لله » مائلين عما سوى الله « غير مشركين به » كل من سواه وما سواه ، في أية دركة من دركاته جليلة وخفية ، فانما يريد الله من عباده ان يميلوا عن الشرك كله ، الى التوحيد كله ، وان يجتنبوا قول الزور كله الى الصدق كله ، استقامة على التوحيد الخالص حالاً وقالاً وافعالاً .

وهنا يرسم النص مشهداً عنيفاً خفيفاً يصور حال من يشرك بالله « كأنما خر من السماء ... » فاذا هو ذاهب بدداً كأن لم يكن من ذي قبل ابداً ، فانه مشهد الهوي من اعماق السماء الى اعماق الأجواء الواسعة ، فلا يجد مهبطاً إلا يُخطف الطير في الطريق « او تهوي به الريح في مكان سحيق » : بعيداً عن الانظار ، في هوة هاوية ليس لها من قرار « جهنم يصلونها وبش القرار » .

ذلك هو صورة الهوي من افق التوحيد السامق الشاهق ، الى درك الشرك الساحق الماحق .

وقد يعني « غير مشركين به » بعد « حنفاء لله » تعريضاً بناس كانوا

يحجون وهم مشركون فكانوا يسمونهم حنفاء الحجاج فنزلت هذه التلحيقه
« غير مشركين به »^(١) اذ ليست الحنافة لفظة تقال ، الا رفضاً لكل ما
سوى الله .

وهكذا نجد في آيات عدة نفي الاشرار بالله بعد الحنافة لله تأكيداً في
حق المعني منه :

« وأن اقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين »
(١٠ : ١٠٥) « ان ابراهيم كان امة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين »
(١٦ : ١٢٠) .

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ ٣٦ .

« شعائر الله » وما ادراك ما هي شعائر الله ؟ ان الحج بكل نسكه شعائر
الله ، اذاعة عالمية تبين الاسلام الحركي السياسي للعالمين ، مهما كانت هذه
الشعائر درجات : « ان الصفا والمروة من شعائر الله » (٢ : ١٥٨) افلا
يكون - اذاً - الطواف بالبيت من شعائر الله ، وإن سبقه على « شعائر الله »
هنا قد يجعله كأنه كل شعائر الله ، ام هو المحور الاصيل فيها ، كما
« والبدن جعلناها لكم من شعائر الله » (٣٦) وهي على هامش شعيرة
الطواف !

بل والشهر الحرام وهو مسرح هذه الشعائر هو ايضاً من شعائر الله :
« يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا
القلائد ولا آمين البيت الحرام .. » (٥ : ٢) .

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٥٩ - اخرج ابن المنذر وابن ابي حاتم عن ابن عباس في الآية
قال ...

وعلى الجملة « ومن يعظم شعائر الله » معرفياً وقولياً وعملياً وإذاعة بين الجماهير « فانها من تقوى القلوب » اذاً فمن لم يعظم شعائر الله فانها من طغوى القلوب .

ولماذا سميت « شعائر الله » بما سميت ؟ انها جمع شعيرة وهي ما يُدرك بلطف ودقة من اصل الشعر لدقته - وكما الشعور هو دقة الادراك والشعار هو الثوب الرقيق الذي يلبس تحت الثياب ، ملاصقاً للشعر وكما الشعر دقة في الادراك - والعلامات المعنية المقررة لقوم من المحاربين مستسرة ، فالأصل في كل صيغها الدقة واللطافة ، وهكذا يكون شعائر الحج ومشاعره حيث تدرك أسرارها بدقة التفكير ، مناسك لها معاني ومرامي دقيقة لا يدركها الا أهلؤها ، ويرفضها أو يبينها البسطاء في المعرفة والايمان .

هذه المناسك الشعائر كلها اعمال ، وهي بحسب الظاهر بين سلبية كالوقوفين وإيجابية كالطوافين ، اعمال رقيقة المعاني ودقيقة المرامي ، كما الألفاظ الغامضة ، والمشتبهة المعاني ، ولكنها حكيمة الدلالة ومحكمة المدلول لمن يتعرف الى الدلالة والمدلول .

هذه الشعائر ، رغم لطافتها وغموضه المعني فيها ، هي اذاعات عالمية اسلامية ، تعريفاً بالاسلام الجماهيري الحركي ، اشعاراً الى ضرورة تأسيس دولة اسلامية وحيدة ، فان مملكة الحج نموذجة بارعة تحضر لها حضورها ، وكما هي رحمة وبركة وهدى للعالمين .

وهذان بعدان بعيدان لهذه المناسك الشعائر ، ليسا في سائر الفرائض والطقوس الاسلامية بهذه الصورة الرائعة والجمعية البارعة ، اللهم الا شذرات بينها هنا وهناك .

فالحج بكل مناسكه - اذا اقيمت كما رسمت - هو مدرسة سيارة تجعل من الحاج انساناً كاملاً محملاً عن كافة الوصمات فردية جماعية ، متحلياً

بكل بصمات الحق ونسمات القدس ، وذلك « لمن القى السمع وهو شهيد » .

وتبرى كيف اختصت تقوى تعظيمها بالقلوب ؟ لأن تقوى القوالب ليست بتلك الالهمية مهما كانت مظاهر للتقوى ، وانها ايضاً في صالحتها من تقوى القلوب .

ثم لا يشعر هذه الشعائر الا اصحاب القلوب التقية ، المدركة لقلوب هذه الشعائر ومغازيها ومراميها ، فإنها قوالب لها قلوب وأسرار ، ليس ليدركها إلا اصحاب القلوب .

ثم وتعظيم شعائر الله يخلق على كافة المراحل والمسارح ، تعلماً وتفهماً وتادباً وتطبيقاً واذاعة .

فمن تعظيم شعيرة الاضحية اصطفاء الجميلة السليمة السمينة الشمينية ، وايفاء ما يتوجب في شأنها دون افراط ولا تفريط ، وكما يأتي في محاله القريب .

ثم ولسائر الشعائر حرمان وتعظيمات كما تناسبها ، قلبياً وقالبياً ، ولكي يعلم العالمون انك في موقف التعظيم والتكريم ، دون ان تبذرها بذراً او ترذلها رذلاً ، بل وتهتم بها اكثر من كل مهام الحياة ، بكل دقة وهمامة .

وعلى ضمير التانيث في « فإنها » راجع الى تعظيمات حسب الشعائر ، جمعاً بجمع ، فان هذه التعظيمات من تقوى القلوب ، ام الى الشعائر نفسها ، فان الشعائر من تقوى القلوب ، فان محاورها هي محاور التفكير الدقيق العميق ، وهي من قضايا تقوى القلوب ، حيث القلوب غير المتقية لا تدرك حق الشعائر واسرارها حتى يعظمها ، والمعنيان عليهما معنيان حيث

يتحملها ادب اللفظ والمعنى .
 ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (٣٣) .
 «لكم» في بهيمة الأنعام «منافع الى أجل مسمى» وهو ما قبل واجب الذبح والنحر ، من ظهورها واشعارها واوبارها والبانها واورائها ، وهذه من منافعها الدنيوية غير الشعائرية «ثم» بعد منافعها الى أجل مسمى «محليها» الذي تحل فيه إحلالاً باسم الله وإحلالاً للأكل والإيكال «الى البيت العتيق» منافع اخرى هي كلها للأخرى ، نكاً وإيكالاً وشعيرة عظيمة من شعائر الله .

ولتكن واجهتك لها «الى البيت العتيق» أوجه منها من ذي قبل^(١) ولتعظمها منذ صممت وعزمت على هديها ، حيث تخرجها من ملتك إلى ملكة الله ، ومن بيتك إلى بيت الله ، ومن حوزتك وحيازتك إلى حوزة الله «ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب» . و«ثم محليها» قد يعم زمان الحلول ومكانه ، وكيف يكون محل الأنعام إلى البيت العتيق والمنحر في منى هو محليها ثم الطواف فقط إلى البيت العتيق ؟ .

قد تعني محليها ما عنته هدياً بالغ الكعبة (٩٥ : ٥) ؟ ولكنه يختص بمن قتل الصيد محرماً : «يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذو عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك ليزوق وبال امره . . .» ! أم تعني «محليها» زماناً ومكاناً ومصدراً ، وهو حلولها للذبح ، تحليلاً عن الإحرام ،

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٩٧ في الكافي عن ابي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال :
 البدن يركبها المحرم من موضعه الذي يحرم فيه غير مضر بها ولا معنف عليها وان كان لها لبن يشرب من لبنها الى يوم النحر .

ناحيةً منحى البيت العتيق ، لأنه بطوافه هو المحور لكل المناسك الشعائر ،
فانه ام الشعائر .

ام يعني «البيت العتيق» الحرم كله ، ام منى ومكة كلها وكما يروى عن
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) « كل فجاج مكة منحرو وكل فجاج منى
منحور »^(١) ولكن البيت العتيق هو البيت العتيق ، دون مكة كلها او الحرم
كله !

ام وباحرى « محلها » تعني محل شعائر الحج كلها ، ومرجعها ومختمها
« الى البيت العتيق » طوافاً ، حيث الشعائر كلها تنحو منحى الطواف فانه
اصل الحج ، بل هو الحج كله ، ثم شعائره كلها تعبيدات له وتلحيقات
كهوامش على ذلك المتن المتين والركن الركين .

ثم وهكذا « لكم فيها منافع » تخلق على شعائر الحج كلها ، فان فيها
منافع من كافة انواعها ، روحية ومادية ودينية واخرية ، ولا سيما
مدرستها السيارة ، من إحرامها ووقوفها وبيتوتتها ، مدارس سلسلة
متصلة ترقى بالحاج الى مراقى المعرفة والكمال وكما الله قال « ليشهدوا
منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة
الانعام » .

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٣ : ٣٤ قال (عليه السلام) : ... وفي الوسائل
١٠ : ٩٢ ح ٢ والوافي ٢ : ١٦٩ عن الصادق (عليه السلام) « مكة كلها منحور »
ولكنه خاص بغير هدي الحج ، ام مخصوص بحالة الاضطرار ام مضي ايام التشريق ،
والآية في مقام بيان ضابطة عامة تعني الحالة العادية .

اجل « ثم محلها الى البيت العتيق » كاصل اصيل عريق ضارب في اعماق الزمن ، حيث كان مطافاً لكافة الموحدين منذ كانوا والى يوم الدين ، فهذه الحرمات المناسك الشعائر ، كلها الى حرم الله « الى البيت العتيق » فانه المحور والمدار ، والمستقر القرار ، ولا ركن في الحج يوازي الطواف اويساميه ، فانه اركان اركانه واعظم شعائره .

وانها كلها تتسلل مندغمة مع بعض ، ثم تحمل الى البيت العتيق طوافاً ، فانها تحضر الطائف ليحل ذلك المحل الرفيق ، فيكون طوافه جامعاً لشروطاته .

يخطو الحاج تلك الخطوات الرائعة ، اللائقة الباقية ، بأقدام المعرفة وإقدام التضحية والعبودية ، دارساً في مدرسة الإحرام ، عارفاً في عرفات ، مغربلاً عرفاته في المشعر الحرام ، مطبقاً مناه في منى ، والى تقديم الأضحية التي ترمز الى تقديم النفس والنفس ، تحللاً عن كل ما يملكه منها في الله « ثم محلها الى البيت العتيق » !

ان لكل شعيرة من شعائر الحج اجلاً معجلاً « الى البيت العتيق » « لكم فيها منافع الى اجل مسمى » ثم اجلاً مؤجلاً بعد البيت العتيق ، حيث الحاج يستمر بهذه الذكريات منذ الحج وطيلة الحياة ، اجلان هما مسميان ، واين اجل من اجل ، والثاني خير مؤول ، والاول خير معول ، حيث الاجل المحل الى البيت العتيق أمثلة ودراسة تدريبية ونموذجية من برجة الحياة السليمة الاسلامية ، ومن البيت العتيق الى آخر الاجل مسرح للتطبيق .

ثم وليست هذه المناسك الشعائر « الى البيت العتيق » فقط لهذه الامة
الاخيرة ، بل :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ لِلَّهِ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْخَاشِعِينَ ﴾ ٣٤ .

منسك واحد في الجذور وآله واحد في كل العصور ، فامة واحدة ذات رسالة واحدة مهما اختلفت القشور : « لكل امة جعلنا منسكاً هم تاسكوه فلا ينزعنك في الأمر وادع الى ربك انك لعل هدى مستقيم » (٢٢ : ٦٧) .

والمنسك هو مصدر ميمي واسم زمان ومكان ، فهو نسك في زمان ومكان خاص ، وهو عبادة خاصة في زمانها ومكانها الخاص بها ، فهو هنا مناسك الحج كلها ، ومما يلحق له هنا « ليدكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام » ثم قرأه بعبادات أخرى : « ففدية من صيام او صدقة او نسك » (٢ : ١٩٦) - « ان صلاتي ونسكي .. » (٦ : ١٦٣) ثم التماسه في موقف الحج كما في ابراهيم « وارنا مناسكنا » (٢ : ١٢٨) ثم ذكره بعد سرد مناسك الحج : « فاذا قضيت مناسككم فاذكروا الله » (٢ : ٢٠١) .

ولو كان المنسك هو العبادة ككل لكان صحيح التعبير عنه النسك دون المنسك ، فهو - اذاً - مناسك الحج لا سواها .

وهذه الآية مما تدل على امية المناسك عبر الرسالات والامم منذ آدم الى الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد وردت روايات في مناسكهم رسلاً وأما .

وقد تمتاز المناسك الاسلامية بمميزات ، كما هي طبيعة الحال فيها قضية الخلود والكمال القمة المعنوية ، ومنها « ليشهدوا منافع لهم » فانها مزيد على ما لكل امة « ليدكروا اسم الله .. » ! مهما كانت لهم منافع اخرى فيها من

واجهات اخرى ، ولكنها ليست لتبلغ مبلغ تلك المنافع الاخرى للشرعة
الأخرى .

« فإلهكم إله واحد » وبيت عتيق واحد ، ودين واحد ، مهما اختلفت
مناسك عن مناسك ، كما شرعة عن شرعة في مظاهر، حيث الاصل صادر
عن مصدر واحد ولغاية واحدة .

إذا « فله اسلموا » لا سواه ، من عادات مهما كانت لشرعة سابقة ،
فالإسلام له ، يجعل من الامم امة واحدة مسلمة لله ، دون تنازع في الأمر
« فلا ينازعنك في الأمر » وهو الدين الحق التي تشرعت منه وتصدرت منه
الشرائع .

« فله اسلموا » حيث الاسلام لله يوحد المشاعر والشعائر وكل
الاتجاهات فيها وسواهما .

« وبشر المخبتين » الإخبات مفسرة بالآية التالية وهي لغوياً من الخبت:
المتسع المظمئن من الأرض ، والإفعال منه هو النزول الى ذلك المتسع
خروجاً عن كل ترفع وارتفاع ، فالمخبت هو اللاصق بارض العبودية
اللازق بالخروج والخضوع والخشوع .

وهنا المعنى منها الإخبات الى ربهم ، في تلك الساحة المتسعة من العبودية
بكل صورها ، في كل شرعة شرعة ، دون اخلاذ الى ارض واحدة وساحة
خاصة من شرعة : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم
اولئك اصحاب الجنة » (١١ : ٢٣) .

فمهما كان اصلها الإخبات إلى الأرض ، ولكنه ليس إلا له
تعالى ، فمن مخبت الى الأرض للحياة الارضية « لكنه اخلد الى الأرض
وأبغع هواه وكان امره فرطاً » (٧ : ١٧٦) « وليعلم الذين اوتوا العلم انه

الحق من ربك فتخبت له قلوبهم » (٢٢ : ٥٤) فبشر المختبين^(١) الى ساحة متسعة من ارض العبودية « له » لا سواه :

﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ ٣٠ .

فللاخبارات الى الرب وللرب قوائم اربع من مظاهر العبودية وسرائرها ، وفاقاً بين السر والعلن دون نفاق :

١ « الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم » والوجل هو استشعار الخوف ، من نفسه لمعاصيه ومآسيه ، ومن الله رهبة وهيبة ، فهو أحض من الخوف ، ووجل القلب يخلق على كل كيان الانسان بمشاعره وشعائمه ، باقواله وافعاله واحواله .

٢ « والصابرين على ما أصابهم » في جنب الله ، فيحتسبون عند الله عنائهم ، دون ان يُعيبهم او يخفف عن وطأتهم في عبادته ، وتتمهم في ذاته .

٣ « والمقيم الصلوة » اقامة لائحة بجنب الله ، فائقة كل قيام آخر وإقامة ، ولا فحسب هذه الثلاث من العلاقات الشخصية بالله ، بل وعلاقة جماهيرية خلقية كما امر الله :

٤ « ومما رزقناهم ينفقون » في سبيل الله ، من كل نفس ونفيس يمكن الاتفاق في الله ، ومن ذلك ما علمهم الله حيث منه يبتون .

(١) تعليقات احقاق الحق في آية المختبين « علي منهم » نقله وصححه القرطبي في عداد من نزلت هذه الآية في حقهم (الجامع لاحكام القرآن ١٢ : ٥٩) وابن مردويه في المناقب قال : علي منهم وسلمان .

﴿وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ^{٣٦} لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ^{٣٧}﴾ .

هنا « البدن » وهناك « بهيمة الانعام » ذكراً لاسم الله عليها واكلاً وايكالاً منها ، فهما - اذا - سياتان ، في أنهما « من شعائر الله » وكما لحقت آية الشعائر الاولى الانعام وبهيمة الانعام أضحيات .

إذا فالأضاحي هناك كلها من شعائر الله ، فلنعرف واجهات هذه الشعيرة ما هي ؟

هذه الشعيرة وهي « ما استيسر من الهدي » بدناً وهي افضلها ، ام سواها كما استيسر ، إنها « هدي » من الحاج لله تقوى وإشارات ، ولعباد الله الفقراء وهم ضيوف الله ، إطعاماً .

فمن شعيرة الهدي اشعار المهدي بمدى تضحيته في الله ، انه لولا نهي الله لكان ينتحر فهو - اذاً - نفسه أضحيةً تقدماً لله ، ولكنه - لمنعه - يقدم بديلاً عن نفسه « ما استيسر من الهدي » اشعاراً بذلك الشعار اني يا رب حضرت حالي فداءً لك ، وذلك الهدي كما استيسر اشارة مني ظاهرة الى تلك الحالة الباهرة غير الظاهرة ، ولكي يعلم العالمون انني تخطيت النفس والنفس ، فانا رهن الإشارة من ربي ، متى أمرني ان اكون من الضحايا في سبيله ! .

وهذه الشعيرة البارعة مأخوذة مما فعله ابراهيم بديلاً عن اسماعيله المأمور بذبحه امتحاناً ، وقد كان عنده أنفوس من نفسه ومن كل نفسه ، فقد أمر في المنحرف أن يذبحه ابرازاً لمدى تسليمه لربه : « قال يا بني اني اري

في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا ايت افعل ما تؤمر - ستجدني ان شاء الله من الصابرين ، فلما اسلمها وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين . وفديناه بذبح عظيم . (٣٧ : ١٠٧) .

فذلك الهدى المتواتر منذ ابراهيم والى يوم الدين ، انه ذبح عظيم ، اعلاناً جاهراً واشعاراً باهراً من الحاج ، انني اذبح كما ذبح ابراهيم ، بديلاً عما أمر بذبحه ، فهذه شعيرة عظيمة في الهدى على مر الزمن ومنعطقات التاريخ ، منذ خليل الله الى حبيب الله والى يوم لقاء الله .

ذلك « ذبح عظيم » ما اعظمه ، ابتداءً من هذه الشعيرة العظيمة ، إذاعة للحجاج في مذياع الحج اننا وصلنا في مدرسة الشعائر المناسك الى حد التضحية لانفسنا في الله .

ثم حشراً لمسرح ومعرض الدم ، سيول الدماء تسيل بأمر الله وفي سبيل الله واطعام اهل الله ، ولكي تتعود العيون ان ترى لون الدم ، والأيدي والارجل ان تنغمس في سيل الدم ، ولكي لا يهابوا ويخافوا الدم ، حيث تجب اراقتها في سبيل الله ، في خطوط النار ومسارح الحرب حفاظاً على حرمة الله ، قاتلين اعداء الله او مقتولين في سبيل الله .

وهذه اشعارة ثانية في هذه الشعيرة ، أننا امة الدم ، فلا نخافه حين يطبق امر الله ، حفاظاً على شرعة الله .

ومن ثم اشعارة ثالثة هي القاعدة الظاهرة لذلك المثلث في آيات الهدى ، وهي : « فكلوا منها واطعموا البائس الفقير - فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر » أكلاً وإيكالاً من هذه الهدية العظيمة ، إشباعاً لبطن الجياع ، الوافدين الى البيت العتيق، حيث هم ضيوف الله ، فد لن ينال الله لحومها ولا دماءها ولكن يناله التقوى منكم » !

فاطعام البائس الفقير ، والقانع والمعتز ، في ذلك المسرح العظيم . هو القاعدة المتينة والضابطة الركينة ، المصرح بها في آياتها ، لا فقط : الزاوية الاولى والثانية ، اللتان لا يعرفهما الا اهلوهما ، ولو كانت فيهما الكفاية فليختص المهدي بقلة قليلة يعرفونها ، ام لتجب معرفتهما لكل مهدي يقدم اضحيته لكي لا تذهب هباءً منثوراً ! .

هنا « تقوى منكم »- في هذه الزوايا الثلاث- تنال الله ، وان كانت أخيرتها وهي القاعدة الظاهرة إطعاماً لعباد الله ، ثم « لن ينال الله لحومها ولا دماءها » خلاف ما كان يزعمها المشركون :

« فقد كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا لطحوا بالدم وجه الكعبة وشرحوا اللحم ووضعوه على الحجارة وقالوا لا يحل لنا ان نأكل شيئاً جعلناه لله حتى تأكله السباع والطيور فلما جاء الاسلام جاء الناس الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا : شيئاً كنا نصنعه في الجاهلية ألا نصنعه الآن فانما هو لله (١) .

فالآن - وقد ابتلي المسلمون بمثل هذه الفعلة المنكرة ، والتبذير الموحش الوحشي ، بل واجتازوا فعلة المشركين ، حيث المذبح أصبح نتناً وعفنأً لحد لا يقربه حتى السباع لتأكل من اللحوم ، فمن هو المسؤول هنا إلا الفقهاء ، حيث ظلوا يفتون بوجوب الذبح في محشر منى ، دون ان يفكروا في علاج هذه المشكلة العويصة من تبذير منقطع النظر في تاريخ الوحش والانسان ، إحراقاً او دفناً بالجحرافات والبولدوذرات لآلافات

(١) آيات الاحكام للجصاص ٣ : ٢٩٠ روى يونس بن بكير عن ابي بكر الهذلي قال :

الأطنان من هذه اللحوم الركام كالاتلال في ساحة منى ، مما يُضحك الأعداء ، ويُبكي ويشكك الأصدقاء .

فحين يحذر القرآن عن السرف والتبذير و « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ! ان الشيطان كان لربه كفوراً » (٧ : ٢٧) فهل من الممكن ان نؤمر في مؤتمر الحج وشعائره أمام العالمين ، ان نبذر ذلك التبذير المنقطع النظير في تاريخ التبذير ، وأما منافي العالم الاسلامي بطون غرثى وجياع بالملايين الملايين لا عهد لها بالشبع ولا طمع لها في القرص ؟!

وقد حصر القرآن مناسك الحج وشعائره في « منافع لهم » ومنها لحوم الاضاحي ، فحصرت آياتها منافعها الظاهرة لكل العالمين في إشباع الفقراء والمساكين ، وكما يروى عن الرسول الصادق الامين (صلى الله عليه وآله وسلم) « انما جعل الله هذا الاضحى لتشبع مساكينكم من اللحم فاطعموهم »^(١) لا ليشبع اعداءنا أغنياء وفقراء من الضحك علينا في ذلك التبذير العامد ، او تشبع ديدان منى او سباعها من اكلها ، والسباع متنفرة منها ، حيث لا تدنوا منها ! .

هنا الآيات من نواحي شتى ، والروايات من أخرى، تفرض علينا ان نطعم الفقراء الجياع من لحوم الاضاحي، واليكم درساً فصلاً هنا وهناك ليشبع دعواتنا من ادلتها كتاباً وسنة ، اضافة الى ادلة اخرى يعرفها كل ذي حجي :

« والبدن » جمع بدنة وهي الابل البدين الثمين - كسائر الانعام - « جعلناها لكم » : الحجاج « من شعائر الله » شعائر حكيمة معقولة تعريفاً

(١) وسائل الشيعة ١٠ : ١٤٧ ح ٢٢ من لا يحضره الفقيه قال قال (صلى الله عليه وآله وسلم) ...

بمدى كمال الاسلام ونبوغه وعظم المسلم وبلوغه -

فهل ان ذلك التبذير الحاضر في تلك الساحة الفسيحة من منى ،
ذلك من شعائر الله ، ام من شعائر الجاهلية الجهلاء واصل منها وانكى ؟!

« لكم فيها خير » حيةً وأضحية ، وهل ان من خيرها اضحية ان تبذر
وتهدر هكذا أمام عالم من البطون الجائعة الغرثى التي لا عهد لها بلحوم
وسواها ؟ كلا ! وان ذلك شرٌّ مما أنحسه وأتعبه ، فـ « لكم فيها شر »
حيث تقدمونها للديدان والمحرقات والجرافات ، وتعفنون بها جو منى ،
جاعلين ساحة البيوتة الذكر ، والمشاورة بين الجموع ، ساحة مخرجة
مهرجة ، كلُّ بعد الساعات والدقائق للفرار !

« فأكروا اسم الله عليها » حال كونها « صواف » مصطفة للنحر - او
الذبح - « فاذا وجبت » وسقطت « جنوبها » وظلت ميتة صالحة للأكل منها
« فكلوا منها واطعموا القانص والمعتز » « كذلك سخرناها لكم لعلكم
تشكرون » .

اجل « كذلك » المذكور المأمور به المشكور ، ان تختاروا خيرها ،
وتذكروا اسم الله عليها وتأكلوا منها وتطعموا . . لا أن تختاروا شرها
النكر ، فتذكروا سوى اسم الله عليها كما المشركون ، ام لا تذكروا عليها
اسماً كما الملحدون فتصبح ميتة لا توكل ولا تطعم .

او ان تذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها تذروها في
معالها وتهذروها فتعفنوا الأجواء بها ، او تحرقوها ام تدفنوها ! .

كذلك المعقول المشكور « سخرناها لكم » لا هكذا اللامعقول المكفور
« لعلكم تشكرون » الله على ما رزقكم من بهيمة الانعام « لا » « لعلكم
تكفرون » بنعمته ، إزهاقاً لأرواحها ، وإفناءً جنونياً وحشياً للحومها ،

فتكفرون انتم كفراً او كفراناً ، ثم يكفر العالمون الناظرون الى ذلك المسرح اللعين ، كفراً بشريعتكم ، زعماً انها هي التي تأمركم او تسمح لكم بهكذا تبذير وحشي لا يعرفه الوحوش في الغابات والفلوات !

« لن ينال الله لحومها ولا دماءها » كما كان يزعمه المشركون ، ملطخين البيت بدماءها ، مهذرين لحومها للسباع لانها قدّمت لله فلا توكل ! -

« ولكن يناله التقوى منكم » اتقاء عن ان تذكروا اسم غير الله عليها ، ام تبخلوا عن هديها ، ام تهدروا لحومها - « كذلك » الذي ذكرناه « سخرها لكم » ذبحاً شرعياً واكلاً وايكالاً للجياع ، على تقوى من الله في هذه الساحة الدامية ، دون طفوى منكم بتبذير وحشي موحش ، بحرمان اهليها الفقراء .

كذلك « سخرها لكم » ربكم « لتكبروا الله على ما هداكم » تكبيراً بتقواكم ، وتكبيراً باطعام الفقراء من عباده ، لا تصغيراً لله بتلك الطفوى والتهدير والتبذير « وبشر المحسنين » في هديهم ، حيث يراعون فيه تقوى الله ، دون المسيئين في هديهم تلك الإساءة المخزية المزرية .

ذلك ، وقد عدت بهيمة الانعام الاضاحي من منافع الحج الجماعية العالمية للمسلمين « واذن في الناس بالحج .. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير » .

فحين نُجَمِّلُ « منافع لهم » تلك المنافع الهامة المنقطعة النظير ، ثم يفرد منها بالذكر « ما رزقهم من بهيمة الانعام » أكلاً وإطعاماً ، اعتباراً انها من اهم المنافع مادية ومعنوية ، فهل ان ذلك التهذُر في لحومها من « منافع لهم » الشاخصة ؟ فما هي « منافع لهم » في ذلك التبذير المنقطع النظير اقتصادياً ، وما هي في ذلك الإعلان الجاهر بسماع ام فرض واجب على

ملاء العالمين ، أن ذلك التهديد الكبير هو من احكام الاسلام ، الذي لا يسمح باي اسراف او تبذير حتى في نواة تمر ! .

وهل عليهم ان « يذكروا اسم الله على ما رزقهم » هكذا ، ان يقدموا الأثمن الأسمن منها للحرق والتدفين والتعفين ، بدلاً عن ان يأكلوا منها ويطعموا البائس الفقير والقانع والمعتز ؟ !

او هكذا « لكل امة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام » سماحاً أُمياً لذلك التبذير النكير ؟

وَيَكُنْ دِينُ اللَّهِ بِشَرَائِعِهِ هُوَ دِينُ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ ، فعلى المشرعين بكل شرعة ان يدرسوا في مدرسة منى كيف لهم او عليهم ان ييسدوا رزق الله وبامر الله ؟ !

أفهل هذا دعى ابراهيم الخليل « وارزق اهله من الثمرات لعلهم يشكرون » (٣ : ١٢٦) ؟ ففي الحق انها دعوة عليهم لا لهم ، ان يُرزقوا من ثمرات الأنعام ثم يؤمروا بذبحها مهترين لها ؟ !

أو هكذا يكون الهدي والقلائد مع البيت الحرام والشهر الحرام « قياماً للناس » حيث :

« جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم » (٥ : ٩٧) .

فهل ان في ذلك التهديد الهدير الشرير النكير قيام للناس ، قياماً روحياً ام سياسياً واقتصادياً ، ام إنه قيام للنسناس الذين يعارضون شريعة الناس .

انه قيام رمزاً للتضحية في سبيل الله ، وشهوداً لسيول الدماء المهرقة

في الله ، واطعاماً لعباد الله ، ولكننا بدلنا قيامه سقوطاً وإسقاطاً لهذه الشعيرة الغالية عن أعين الناس ، واثباتاً لوحشية منقطعة النظير في شرعة الناس أمام النسّاس .

أو هكذا يكون ذلك البيت العتيق بمناسكه « مباركاً وهدى للعالمين » :
« ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين . . ومن دخله كان آمناً » (٣ : ١٦) فحتى الحشرات حيث لا تؤذى ، وأما بهيمة الانعام فتؤذى هكذا دونما نفع إلا ضرراً راجعاً الى أصل الاسلام والاسلام الأصل .

وما هي هذه البركة والهداية للعالمين ، وتلك الساحة الدامية المدمية في منى دركة وضلال للعالمين ؟!

أم هكذا يكون البيت مشابه للناس وأمنياً : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنياً » (٢ : ١٢٥) أمثابة في مثل ذلك التهدير التبذير ، ولكي يدرس المسلمون كيف عليهم ان يبدروا أرزاقهم أمام الملايين من الجياع ، وكما يفعله الاستعمار الكافر ، فقد نرى السلطة الامريكية كيف تلقي ملايين الاطنان من الحنطة والشعير في البحر ، لكي يبقى الجياع جوعاً ، وان وراءه سياسة ابليسية ؟ .

فما هي سياستنا الإسلامية السامية في ذلك الإسراف العجيب والتبذير الرهيب ؟!

تلك الاضاحي المهداة والأثلال من اللحوم الزكية ، هي - فقط - للبائس الفقير والقانع والمعتز ، وما الأمر بالاكل منها للمُهددين إلا ادبياً تأديباً ليصطفوا هناك في صفوف الفقراء دون تمييز عنهم ، ومحققاً للسنة الجاهلية حيث كانت تحرم الاكل منها وإيكالها ، وقد يكفي هذا وذاك رفعا للحظر عن الاكل منها لانها - فقط - للفقراء ، وهم الركن الركين والمتن المتين في هذه

الساحة الدموية دون سواهم ، اللهم الا على هوامشهم ، والتقسيم كما كما يأتي ثنائي بين المهديين والفقراء ، وليس ثلاثياً ثالثه الأصدقاء غير الفقراء .

لذلك يحصر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا الاضحى في المساكين قائلاً : « انما جعل الله هذا الاضحى لتشبع مساكينهم من اللحم من اللحم فاطعموهم » (١) .

ويخطب علي (عليه السلام) في الاضحى قائلاً : « واذا ضحيتكم فكلوا واطعموا واهدوا واحمدوا الله على ما رزقكم من بهيمة الأنعام » (٢) .

ولقد كان من رعاية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حقوق الفقراء فيها لحد « نهى (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يعطى الجزار من جلود الهدي وجلالها شيئاً » (٣) . ويقول حفيده الكاظم (عليه السلام) « لا يصلح ان يجعلها جراباً الا ان يتصدق بشئها » (٤) .

وفي متظافر الحديث عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وائمة

(١) وسائل الشيعة ١٠ : ١٤٧ ح ٢٢ من لا يحضره الفقيه قال قال (صلى الله عليه وآله وسلم) :

(٢) المصدر ح ٢٣ .

(٣) المصدر ١٥١ : ١ بسند متصل عن حفص البختري عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ... ومعاوية بن عمار عنه (عليه السلام) وصحيح البخاري ٢ : ٢١٢ وصحيح مسلم ٣ : ٥٩٤ قال : نحر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بدنة ولم يعط الجزارين من جلودها ولا قلائدها ولا جلالها ولكن تصدق به ولا تعط السلاخ منها شيئاً ولكن اعطه من غير ذلك .

(٤) المصدر الصدوق عن علي بن جعفر عن اخيه موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال : سألت عن جلود الاضاحي هل يصلح لمن ضحى بها ان يجعلها جراباً ؟ قال : ...

اهل بيته (عليهم السلام) انه لا يجوز للمهدي ان يدخر من لحوم الاضاحي شيئاً ، وانما قدر يومه .

ذلك فكيف يجوز هضم حقوق الفقراء كما نفعله نحن في منى ، هدراً ساحقاً للحوم ، وحيلة شرعية ! اعطاء لثلث الثمن اللاشيء - في تقدير ذلك المسرح الذي لا قيمة فيه للحوم - للفقراء ، واي فقير يرضى ان يعطي من خمسمائة ريال عشرة ؟!

وقد نتساءل فكيف - والحال هذه - يامرنا الله تعالى بما استيسر من الهدى ، وقد نحر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) احياناً متاً وستين بدنة ، مزيداً في الفضل ، وتطبيقاً لما استيسر من الهدى ؟

ولكن يامرنا هكذا لتأكل منها ونطعم البائس الفقير والقانع والمعتز ، واما إذ لا فقير هناك ، واذا كان فاللحوم هي ملايين اضعاف نصيب الفقراء الحضور ، اذاً فلا هدي إلا على قدرهم ، اتراك حين تؤمر باحضار طعام لتأكل وتأكل معك ألف من الجوع ، فهل تحضره على نفس القدر حين لا تقدر ان تأكل ، ولا ان هناك ألف ولا مائة ولا عشرة من الفقراء ؟ .

بطبيعة الحال ليس القصد من إحضار طعام إلا ليطعم قدر الطاعمين ، لا ليهدر حين لا يؤكل ام يؤكل منه جزء قليل ، ثم البقية في تسعة وتسعين بالمائة تهدر ؟!

ولقد نحر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجة الوداع ذلك العدد الهائل لكثرة الفقراء ، حيث كانت الاكثريّة ممن حج معه مشاة وفقراء ، فقد كان هديه قدر الحاجة والمكنة .

ورعاية لحقوق الفقراء الحضور في منى ، كان إخراج اللحوم منه ممنوعاً

بعد ثلاثة ايام ، ثم سمح فيه لقلة الفقراء فيها ، فقد « كنا نهي عن إخراج لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام لقلة اللحم وكثرة الناس ، فأما اليوم فقد كثر اللحم وقل الناس فلا بأس بإخراجه »^(١) .

وهكذا ترون أن الأمر والنهي حول اللحوم دائر مدار الحاجة حيثما دارت ، دونما هدر أعمى بتضحية جزاف فوضى دون رعاية لحقوق الفقراء !

وهنا نتساءل : فماذا علينا في ظروفنا الحالية واللحوم ماثت اضعاف الفقراء الحضور في منى ؟

هنا طرق شرعية نتطرقها حفاظاً على أمر الاضحية وحقوق الفقراء فيها :

أولاً : تأسيس معامل لتعليب اللحوم الزائدة عن حاجة الفقراء الحضور والذين يمكن ايصالها اليهم حالاً ، ام بعد زمن ، حفاظاً لها في البرادات على مدى الحاجات ، فتُبعث هذه المعلبات الى اكناف العالم الاسلامي الاقرب الى الحرم فالاقرب ، والأحوج اليها فالأحوج ، رعاية لكامل حقوق الفقراء فيها ، توزيعاً بينهم دون ثمن إلا قدر تكاليف التعليب والتوزيع .

(١) الوسائل ١٠ : ١٤٩ ح ٦ قال الصدوق وقال ابو عبد الله (عليه السلام) وفيه ح (٤) عن ابي جعفر (عليه السلام) قال : كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نهي ان تحبس لحوم الاضاحي فوق ثلاثة ايام من اجل الحاجة فاما اليوم فلا بأس به و (٥) عن جميل بن دراج قال : سألت ابا عبد الله (عليه السلام) عن حبس لحوم الاضاحي فوق ثلاثة ايام بمنى ؟ قال : لا بأس بذلك اليوم ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انما نهي عن ذلك اولا لان الناس كانوا يومئذ مجهودين فاما اليوم فلا بأس .

ثانياً :- والحال عدم وجود هذه المعامل - ان يذبح قدر الحاجة يوم النحر ، ثم يذبح قدر الحاجات في البقية الباقية من ذي الحجة الحرام ، كما يمكن ايصالها الى الفقراء ، حفاظاً عليها في البرادات حسب الإمكانيات ، ومن ثم توزيعاً بين فقراء الحرم وما والاها من مملكة الحج وسواها ، ثم القدر الزائد من كل ذلك لا يذبح وانما تدفع اثمانها حسب السعر الحالي للفقراء في منى وسائر الحرم وسواها ، تقديماً للاقرب فالاقرب ، وهذا هو « ما استيسر من الهدي » حيث لا يمكن في صورة الذبح ، انتقالاً الى اثمانها العادلة .

وان ثمن الهدي كله للفقراء ، دون استثناء لما تأكلون حين تذبحون حيث السماح مختص بخصوص اللحم دون الثمن ، واذا اختلفت الاثمان حسب تصاعد السوق وتنازله فالقسم العادل بين الاثمان هو العدل المستحق للفقراء ، ف« انظروا الى الثمن الاول والثاني والثالث ثم تصدقوا بمثل ثلثه » (١) .

هذا - وبأحرى من فقدان الاضحية فقدان من ياكلها من الفقراء ام عدم امكان ايصالها اليهم فليصدق عليهم اثمانها العادلة المعتدلة .

فما امكن ايصال لحومها الى الفقراء فالذبح يوم النحر ، وإلا فالي ايام أخر حتى آخر ذي حجة الحرام ، ومن ثم تنتقل الاضاحي الى اثمانها ،

(١) الوسائل ١٠ : ١٧٢ ح ١ محمد بن يعقوب عن علي بن ابراهيم عن ابيه عن عبد الله بن عمر قال : كنا بمكة فأصابنا غلا في الاضاحي فاشترينا بدينار ثم بدينارين ثم بلغت سبعة ثم لم توجد بقليل ولا كثير فرفع هشام المكاري رقعة الى ابي الحسن (عليه السلام) فاخبره بما اشترينا ثم لم نجد بقليل ولا كثير فوقع : انظروا ... ورواه الصدوق باسناده عن عبد الله بن عمر والشيخ باسناده المتصل الصحيح ايضاً عنه .

رعاية في كل المراحل الثلاث كامل حقوق الفقراء ، دون ان ينتقص منها شيء ولا نقير، الا ما يشارك في اكلها مع الفقير، لحماً دون بديله الثمن، وكل ذلك تشمله « ما استيسر من الهدى » وللتفصيل يراجع آيتها .

وقد نتساءل كيف نخرج من الاحرام دون ذبح بتلك الأعذار ؟ والجواب بصورة عامة ان الضرورات تبيح المحظورات ، وخصوص النصوص فيمن لم يجد الاضحية يدفع ثمنها ، ام توديعه عند من يذبحها بعد ذلك ام في سنة قادمة^(١) فهل يبقى الحاج محرماً حتى السنة المقبلة حيث تذبح عنه ، وليس من الممكن في ظروفنا الحالية الذبح الصالح في عشرات من السنين المستقبلية .

ذلك ، وهل هنالك عذر عن الذبح اكثر من هدره هضماً لحقوق الفقراء العزل المظلومين ؟

ولان التقسيم عند الذبح ثنائي حسب النص « فكلوا منها واطعموا البائس الفقير - القانع والمعتر » فلا نصيب إذا لغير الفقراء جيراناً واصحاباً ، لا سيما وان اصحابك من غير الفقراء لهم أن ياكلوا من أضحياتهم ، فالتقسيم الثلاثي ، ولا سيما الأثلاث المتساوية ، يجعل نصيب الأغنياء ثلثي نصيب الفقراء، وهذا منكر من القول وزور من الفتوى ، المخالفة لنص الكتاب والسنة^(٢) وقضية الحال في الهدى وطبيعتها انه - فقط - للفقراء .

(١) وسائل الشيعة ١٠ : ١٥٣ باب افرد لذلك فيه اربعة احاديث ومنها صحيحة حريز عن ابي عبد الله (عليه السلام) في متمتع يحد الثمن ولا يحد الغنم ؟ قال : يخلف الثمن عند بعض اهل مكة ويامر من يشتري له ويذبح عنه وهو يجزي عنه فان مضى ذو الحجة اخر ذلك الى قابل من ذي الحجة .

(٢) المصدر ١٠ : ١٤٢ صحيحة معاوية بن عمار عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : اذا ذبحت او نحررت فكل واطعم كما قال الله : فكارا منها واطعموا القانع =

ولم يسمح للاغنياء الا مشاركتهم في اكلة اليوم مواساة معهم ونقضاً
لسنة جاهلية قاحلة ، ثم وفي الاثلاث حيث يُحسب القانع والمعتز اثنين ، لا
يعني ثلثك واقع الثلث المحدد ، وانما قسم من الثلاثة يكفيك ام ولاهلك
يومك ، وكما فعل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اتراه اختص بنفسه
واهليه اثنين وعشرين من هديه الستة والستين ، ثم البقية لسائر الفقراء
والمساكين^(١) ؟

والرواية القائلة بالاثلاث ، وان منه صديقك ام جارك^(٢) مؤولة
بالصديق او الجار الفقير ، ام مطروحة بخلاف نص القرآن ، كما والقائلة
بهدية ثلث قد تعنيها لغير البائس الفقير ، من قانع او معتز^(٣) .

= والمعتز، فقال : القانع الذي يقنع بما اعطيته والمعتز الذي يقربك والسائل الذي يسألك
في يديه والبائس الفقير ، ومثلها صحيحة سيف بن عمارة قال ابو عبد الله (عليه السلام)
ان سعيد بن عبد الملك قدم حاجباً فلقي ابي فقال اني سقت هدياً فكيف اصنع ؟ فقال
له ابي اطعم اهلك ثلثاً واطعم القانع والمعتز ثلثاً واطعم المساكين ثلثاً فقلت المساكين هم
السؤال ؟ فقال : نعم وقال : القانع الذي يقنع بما ارسلت اليه من البضعة فما فوقها
والمعتز ينبغي له اكثر من ذلك هو اغنى من القانع يعتريك فلا يسألك .

(١) الوسائل ١٠ : ١٤٢ ح ٢ عن ابي جعفر وابي عبد الله (عليه السلام) انها قالوا
ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) امر ان يؤخذ من كل بدنة بضعة فامر بها
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فطبخت فاكل هو وعلي وحسوا من المرق ...

(٢) المصدر ١٠ : ١٤٥ صحيحة ابي الصباح الكناي قال سألت ابا عبد الله (عليه
السلام) عن لحوم الاضاحي فقال : كان علي بن الحسين وابي جعفر يتصدقان بثلث
على جيرانهم وثلث على السؤال وثلث بمسكانه لاهل البيت .

(٣) المصدر عن شعيب العرقوني قال قلت لابي عبد الله (عليه السلام) سقت في
العمرة بدنة فاين انحرها ؟ قال : بمكة ، قلت اي شيء اعطي منها ؟ قال : كل ثلثاً
واحد ثلثاً وتصدق بثلث .

ونص القرآن لا يسمح بالأكل منها الا في الهدي ، واما الكفارة فهي - فقط - للفقراء حسب الضابطة العامة وكما في روايات مستفيضة^(١) .

فمن المضحك المبكي جداً دمج كفارات الاحرام - التي هي من خالص حقوق الفقراء - في هدي الأضحى هدراً في هدر ، رغم التوسعة القطعية في مكانها وزمانها^(٢) .

ولان السلطة تمنع عن الذبح في منى بعد الايام الثلاثة ، وان مكة - بل والحرم كله - منحر ، يجوز الذبح في مكة وفي أي الحرم شاء .

ومن الراجح او المتأكد جداً ان يشترك الحجاج ، كل جماعة منهم في هدي واحد جمعاً في شعيرة الهدي ، قدر الحاجة في منى ، ثم ما تبقى عليهم ، حكمه حكم المعذور كما قدمناه .

ثم « البائس الفقير والصانع والمعتز » هم شركاء ثلاث في هذه اللحوم قدر حاجياتهم ، وبعد ما تأكل منها قدر يومك ، فالبائس الفقير هو

(١) المصدر (١٤٣) صحيحة عبد الرحمن عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : سألت عن الهدي ما يأكل منه شيء يهديه في المتعة او غير ذلك ؟ قال : كل هدي من نقصان الحج فلا يأكل منه ، وكل هدي من تمام الحج فكل ، وفيه عن السكوني عن جعفر عن ابيه (عليهما السلام) قال : اذا اكل الرجل من الهدي تطوعاً فلا شيء عليه وان كان واجباً فعليه قيمة ما اكل .

(٢) الوافي ج ٢ ص ١١٩ ب ٨٧ من ابواب الحج عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال من وجب عليه هدي في احرامه فله ان ينحره حيث شاء إلا فداء الصيد فان الله عز وجل يقول : هدياً بالغ الكعبة ، اقول وفي احاديث عدة ان هدي الصيد اذا كان من العمرة فمكة وان كان من الحج ففي منى ، واما كفارة غير الصيد فحيث شاء . وفي صحيحة اسحاق بن عمار عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال قلت له الرجل يخرج من حجه شيئاً يلزمه في دم يجزيه ان يلذبه اذا رجع الى اهله فقال نعم .

أحوجهم ومن ثم القانع والمعتز، ثم القانع هو الذي يرضى بما أعطيته ولا يسخط ولا يكلح ولا يرتد شذقه غضباً، والمعتز المأربك تطعمه^(١) ولا ينبغي له أكثر من ذلك هو أغنى من القانع، يعتريك فلا يسألك^(٢).

وعلى أية حال فليكن التقسيم لحماً وثماناً عادلاً حسب الحاجة وقدر الأقدار، فالسائل بالكف يعطى أقل من غير السائل كـ «الفقراء الذين لا يسألون الناس إلحافاً يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف» فقد لا يسألون، وأخرى لا يجعلون انفسهم معرض السؤال وهم اعف من أولاء.

فالبائس الفقير الذي لا يسأل ولا يعرض نفسه معرض الحاجة والسؤال - فهو اخفهم سؤالاً وأكثرهم سؤالاً - يعطى أكثر ممن هو في معرض السؤال كالمعتز، أمن يسأل كالسائل بالكف، مهما كانوا على سواء.

فيا جماهير المسلمين، مقلدين ومقلّدين، الى كتاب الله وسنة رسول الله (ص) دون رعاية للشهرات وكل ما هو آت خلاف الكتاب والسنة، تطبيقاً للمنى الاسلامية السامية في منى، رمية على شيطان التمييز والإسراف سبباً سبباً، وتوزيعاً لحقوق الفقراء بينهم دون تمييز ولا تهدير.

إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٢٨﴾ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ

(١) نور الثقلين ٣ : ٤٩٩ صحيحة سيف التمار عن ابي عبد الله (عليه السلام) في حديث التقسيم

(٢) مضت هذه الجملة عن صحيحة سيف التمار الاخرى .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ
أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ
وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُلُوبُهُمْ
وَيَبِيعُوا صُلُوبَهُمْ بِبَعِثٍ يَبْعَثُ اللَّهُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا
وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١٧﴾
الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا
الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
الْأُمُورِ ﴿١٨﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَعَادٌ وَنَمُودٌ ﴿١٩﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٢٠﴾
وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّثْقَلًا وَعُكِّبُوا مُوسَىٰ فَأَمَلَتْ لِلْكَافِرِينَ
ثُمَّ أَخْلَتْنَاهُمْ فَأَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢١﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ
قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
وَبُيُوتٌ مُعْتَظَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ﴿٢٢﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَيَكُونُوا لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا

فَإِنَّمَا لَا تَعْمَىٰ إِلَّا بَعْسُكَ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي
فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ
وَعْدَهُ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾
وَكَايِنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا
وَأَمَّا الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَتَّيِّبُهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ
نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَأَلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِ مُّعْجِزِينَ
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ
فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ
لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ
مِّن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ

الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ
كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ يَّوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ أَلَمْ لِكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ بِحَكْمٍ بَيْنَهُمْ
فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٧﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿٥٨﴾

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ
كَفُورٍ ﴾ ٣٨ .

إعلام صارخ في هذه الأذاعة القرآنية يُطمئن الذين آمنوا في حياة
المعارضة الدائبة بين كتلي الكفر والايمان « ان الله يدافع عن الذين آمنوا »
فليدافعوا هم عن ايمانهم صامدين ، دون تزعزع ولا تلعك في تلكم العقبات
والعقوبات ودوائر السوء المتربصة بهم ، حيث الله هو الدافع عنهم ما لا
يستطيعون ، وهو القائم بامرهم ما لا يقدرُونَ ، شرط ان يوفوا بشرائط
الايمان ، ويقدموا أشراطه جاهرين متجاسرين امام الكفر الطاغوي اياً كان
« ان الله لا يحب كل خوان كفور » وهو لا يدافع إلا عمن يحب ، ثم يذر
من لا يحب في طغيانهم يعمهون ، ويكلهم الى انفسهم « ولا تحسبن الله
غافلاً عما يعمل الظالمون » .

وليست هذه المدافعة الربانية - فقط - كما يزعمه البطالون ان شرعة الله
هي لله الذي يدافع عنها ، والمؤمنون بالله هم أهل الله ، فهو الذي

يدافع عنهم ، دون ان تكون منهم دفاع .

انها دفاع رباني بعد دفاعهم كما يستطيعون كما هنا بفاصل آية « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ... » وفي البقرة « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين » (٢٥١) ثم ونفس « يدافع » دون « يدفع » لمكان المفاعلة حيث تقتضي فعل الدفاع من الذين آمنوا كما من الله ، ان يدفع عنهم كما يدفعون ، وكما الشياطين يدفعون عن غير المؤمنين كما يدفعون ، واين دفاع من دفاع ، واين مدافعة من مدافعة ؟ .

ثم و « كل خوان كفور » تاييد ثالث بالتزام شريطة الايمان الدفاع ، فالؤمن الذي حُل امانة الايمان، عليه ان يؤديها سليمة فلا يخون ، وان يحوطه شاكراً لنعمته بنفسه ونفيسه فلا يكفر به كفراناً ، اذا ف « يدافع » قدر حفظ امانته والشكر له ، و « لا يجب » قدر الخيانة والكفران ، من اي كان مهما يدعي الايمان و « ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم » (٤٧ : ١١) .

اذا فعليك الحركة وعلى الله البركة ، دون بطالة للايمان وعُطالة لاهل الايمان ، متكلين كلياً على الله دون ان يأتوا بشرائط الايمان ، وبالصمود والحركة اللاتقة في مجالات الامتحان : « ... وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنون - وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواهم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتُمون ، الذين قالوا لايخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل فادروا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين » (٣ : ١٦٨) .

اجل وهذه قضية امان الله لاهل الايمان في هذه المعركة الصاخبة

المستمرة بين قوى الخير والايمان ، وقوى الشر والطغيان ، فالشر جامع مسلح ، وهو يبطش غير متحرج ، ويضرب غير متورع ، ويسانده كل الطاقات الشريرة داخلية وخارجية ، فلا بد - اذن - للايمان من قوة تدفعه من بطشه ، وتمنعه عن طيشه ، وقاية للايمان من فتنة الدوائر ، وحراسة له من الأشواك في كل المحاور .

وليست قوة الايمان في النفوس - فقط - لتكفي مكافأة ومكافاة ، فللمصبر حدٌ وللاحتمال أمدٌ ، والله اعلم بما في النفوس من أصالة الضعف والطموس ، فلذلك يعدهم - إن قاموا بشرائط الايمان - أن يدافع عنهم قدر ما يدافعون ، وإن ينصرهم كما ينصرون : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » .

ولقد صبر المؤمنون طيلة العهد المكي وقاية لكيانهم الجديد كيلا يهدر بَدَدًا ، لحد غلى رجل اصطبارهم^(١) فكان يُطْمِئِنُّهم الله انه هو ناصرهم وسوف ينصرهم ، والآن وقد حان حين الدفاع الجاهر في العهد المدني ، يجدد لهم وعد المدافعة ، ثم يأذن لهم في الدفاع لأول مرة ، وهم في استعداد لائق للقيام بشروطات الدفاع ، إذا ف :

﴿ اِذْ لِلْمَدِينِ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَأَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ ٣٩ .

(١) في المجمع كان المشركون يؤذون المسلمين لا يزال يحيي مشجوج ومضروب الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويشكون ذلك اليه فيقول لهم : اصبروا فاني لم أومر بالقتال حتى هاجر فاتزل الله هذه الآية بالمدينة وهي اولى آية نزلت في القتال .
وفي الدر المنثور ٤ : ٣٦٣ - اخرج جماعة عن ابن عباس قال : لما خرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن مكة قال ابو بكر اخرجوا نبهم انا لله وانا اليه راجعون ليهلكن القوم فنزلت هذه الآية .

« لم يؤمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقتال ولا أذن فيه حتى نزل جبرئيل بهذه الآية .. وقلده سيفاً^(١) فهي أول آية نزلت في الدفاع والقتال ، وكل حروب الاسلام مصبوغة بصبغة الدفاع مهما اختلفت صورها وظروفها وبواعثها ، حيث يجمعها « بانهم ظلموا » طيلة العهد المكي ، ومن ثم في العهد المدني ، « وان الله على نصرهم لقدير » حين هم قلة قليلة ، ولكنهم وهم خارجون عن مكة ، قائمون على سوقهم في المدينة ، « أذن لهم » حينئذ بالدفاع - فعلاً - دون الهجوم البدائي وان لم يُظلموا بل حين ظلموا وقوتلوا .

ذلك هو الذي يبرز خوضهم للمعركة حيث هم متدبون لمهمة انسانية كبرى ، يعود خيرها اليها كلها، ولا سيما الكتلة المؤمنة المظلومة بين الكتل ، ضماناً لحرية الأنفس والأعراض والعقائد والعبادات الإسلامية حيث ظلمت وأهينت في بداية عهدها ، مستمرة حتى الدفاع الصارم .

فليس الدفاع الإسلامي صراعاً على عرض من اعراض هذه الأرض المتشجرة فيها الأطماع ، دفاعاً وحرباً توسعياً لمكسب أكثر مُتعة في هذه الأدنى ، وإنما هي عرض الانسانية المؤمنة المظلوم في جو الظلمات .

هكذا « اذن للذين يقاتلون » دفاعاً اذا ظلموا وقوتلوا دون افراط المتوسعين المهاجمين ، ولا تفريط التنابلة الكسالى القاعدين اولي الضرر باسترخاء ، نظراً ان ينزل عليهم النصر والرخاء سهلاً هيناً بلا عناء ، لمجرد انهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويرتلون القرآن ترتيلاً ، فانها على فرضها ورجاحتها لا تؤهلهم وحدها لحمل دعوة الله وحمايتها وحياطتها .

ذلك ، وقد ينمو الايمان في ثنايا المعركة وهي في سبيل الله ، كما ينمو

(١) مجمع البيان وروي عن الباقر (عليه السلام) انه قال : لم يؤمر .

اللايمان في ثناياها وهي في سبيل الله وزخرفة هذه الأدق « وان الله على نصرهم لقدير » اذا هم مضحون في سبيله ، فعليهم الحركة وعلى الله البركة وهم منتصرون قاتلين ومقتولين .

اذاً فالمدافعة الربانية عن الذين آمنوا انما تتم عن طريقهم هم أنفسهم ، دون لقية تهبط عليهم من السماء بلا عناء إلا الدعاء .

انها حين تذوب الغايات والحميات وابداء الشجاعات ثم ليس كيانهم الدفاعي إلا « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله »^(١) فالقاتلون المظلومون هم :

﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَيَعٍ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ »^(٢)

فـ « اخرجوا من ديارهم » ذلك تصوير لغاية الظلم ، وهم قبل الاخراج كانوا في العهد المكي في كل إحراج وارتجاج في كل متطلبات الحياة ، فقد أخرجوهم حتى أخرجوهم مرة الى الحبشة واخرى الى المدينة المنورة .

فالآن وقد ظلموا من قبل حتى أخرجوا ثم ظلموا من بعد أن قوتلوا ، أذن لهم بدفاع صارم ، حيث الصبر على الظلم مع امكانية الدفاع ، هو ضيمٌ وظلم على ظلم ، ظلم بالعقيدة وظلم بالمعتقدين وظلم بالآخرين حيث يعبد عليهم طريق الظلم فـ « لا يكون مأذوناً له في القتال حتى يكون

(١) رواه الشيخان البخاري ومسلم في الصحيحين انه سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الرجل يقاتل حية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى فأيها في سبيل الله فقال : ...

مظلوماً ولا يكون مظلوماً حتى يكون مؤمناً ولا يكون مؤمناً حتى يكون قائماً
بشرائط الايمان التي اشترط الله تعالى على المؤمنين والمجاهدين فاذا تكاملت
فيه شرائط الله تعالى كان مؤمناً واذا كان مؤمناً كان مظلوماً واذا كان
مظلوماً كان مأذوناً له في الجهاد،^(١)

(١) نور الثقلين ٣: ٥٠٢ عن الكافي في الصحيح عن ابي
عمر الزبيدي عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال قلت له اخبرني عن الدعاء
الى الله والجهاد في سبيله اهل لقوم لا يحمل الا لهم ولا يقوم به الا من كان منهم ، ام هو
مباح لكل من وحد الله عز وجل وآمن برسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن كان
كذلك فله ان يدعو الى الله عز وجل والى طاعته وان يجاهد في سبيل الله ؟ فقال (عليه
السلام) : ذلك لقوم لا يحمل الا لهم ولا يقوم بذلك الا من كان منهم ، قلت : من
اولئك ؟ قال : من قام بشرائط الله تعالى في القتال والجهاد على المجاهدين فهو المأذون
له في الدعاء الى الله عز وجل في القتال والجهاد على المجاهدين فهو المأذون له في الدعاء
الى الله عز وجل ومن لم يكن قائماً بشرائط الله في الجهاد على المجاهدين فليس بمأذون
له في الجهاد والدعاء الى الله حتى يحكم في نفسه بما اخذ الله عليه من شرائط
الجهاد بين يدي برحكم الله . فقال فقال : ان الله عز وجل اخبر في كتابه
الدعاء اليه ووصف الدعاء اليه فجعل ذلك لهم درجات يعرف بعضها بعض ويستدل
بعضها على بعض - الى ان قال - (عليه السلام) ثم اخبر تبارك وتعالى انه لم يؤمر
بالقتال الا اصحاب هذه الشروط ، فقال سبحانه وتعالى : اذن للذين يقاتلون بانهم
ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا
ربنا الله ، وذلك ان جميع ما بين السماء والأرض لله عز وجل ولرسوله ولاتباعهم من
المؤمنين من اهل هذه الصفة فما كان من الدنيا في ايدي المشركين والكفار والظلمة
والفجار من اهل الخلاف لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والمولى عن طاعتها
مما كان في ايديهم ظلموا فيه المؤمنين من اهل هذه الصفات وغلبهم عليه مما افاء الله
على رسوله فهو حقهم افاء الله عليهم وردة اليهم وانما معنى النفي كلما صار الى
المشركين ثم رجع مما كان غلب عليه او فيه فما رجع الى مكانه من قول او فعل فقد فاء
مثل قول الله عز وجل : فان فاؤا فان الله غفور رحيم ، اي رجعوا ، ثم قال : وان
عزموا الطلاق فان الله سميع عليم ، وقال « وان طائفتان من المؤمنين اقتلوا فاصلحوا

« أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » استثناء منقطع ،

= بينهما فان بغت احدهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله » اي ترجع « فان فاءت » اي رجعت « فاصالحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين » يعني بقوله : تفيء - ترجع فذلك الدليل على ان التفيء كل راجع الى مكان قد كان عليه او فيه ، ويقال للشمس اذا زالت قد فاءت الشمس حين يفيء التفيء عند رجوع الشمس الى زوالها ، وكذلك ما افاء الله على المؤمنين من الكفار فائئاً هي حقوق المؤمنين رجعت اليهم بعد ظلم الكفار اياهم فذلك قوله : اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا » ما كان المؤمنون احق منهم .

وانما اذن للمؤمنين الذين قاموا بشرائط الايمان التي وصفناها وذلك انه لا يكون مأذوناً في القتال لقوله عز وجل : اذن للذين وان لم يكن مستكملاً شرائط الايمان فهو ظالم ممن ينبغي ويجب جهاده حتى يتوب وليس مأذوناً له في الجهاد والدعاء الى الله عز وجل لانه ليس من المؤمنين المظلومين الذين اذن لهم في القرآن في القتال فلما نزلت هذه الآية في المهاجرين الذين اخرجهم اهل مكة من ديارهم واموالهم احل لهم جهادهم بظلمهم اياهم واذن لهم في القتال .

فقلت : فهذه نزلت في المهاجرين بظلم مشركي اهل مكة لهم فما بالهم في قتال كسرى وقيصرو ومن دونهم من مشركي قبائل العرب ؟ فقال : لو كان اذن لهم في قتال من ظلمهم اهل مكة فقط لم يكن لهم الى قتال جموع كسرى وقيصرو وغير اهل مكة من قبائل العرب سبيل لان الذين ظلموهم غيرهم وانما اذن لهم في قتال من ظلمهم من اهل مكة لاخراجهم اياهم من ديارهم واموالهم بغير حق ولو كانت الآية انما عنت المهاجرين الذين ظلمهم اهل مكة كانت الآية مرتفعة من الأرض عمن بعدهم اذ لم يبق من الظالمين والمظلومين احد وكان فرضها مرفوعاً عن الناس بعدهم اذ لم يبق من الظالمين والمظلومين احد وليس كما ظننت وكما ذكرت ولكن المهاجرين ظلموا من جهتين ظلمهم اهل مكة باخراجهم من ديارهم واموالهم فقاتلوهم باذن الله لهم في ذلك وظلمهم كسرى وقيصرو ومن كان دونهم من قبائل العرب والعجم بما كان في ايديهم مما كان المؤمنون احق به منهم فقد قاتلوهم باذن الله تعالى لهم في ذلك (٣) .

بحجة هذه الآية يقاتل مؤمنوا كل زمان وانما اذن الله للمؤمنين الذين قاموا بما وصف الله تعالى من الشرائط التي شرطها الله على المؤمنين في الايمان والجهاد ومن كان قائماً =

فان القول « ربنا الله » لا يُحق ذلك الإخراج الإخراج ، فهو - اذاً - يستغرق سلب كل حق في ذلك الإخراج .

= بتلك الشرائط فهو مؤمن وهو مظلوم وما ذون له في الجهاد بذلك المعنى ومن كان على خلاف ذلك فهو ظالم وليس من المظلومين وليس بمأذون له في القتال ولا بالنبه عن المنكر والأمر بالمعروف لأنه ليس من أهل ذلك ولا مأذون له في الدعاء إلى الله تعالى لأنه ليس يجاهد مثله وأمر بدعائه إلى الله ولا يكون مجاهد آمن قدام المؤمنين بجهاده وحضر الجهاد عليه ومنعه منه ولا يكون داعياً إلى الله تعالى من أمر بدعائه مثله إلى التوبة والحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يأمر بالمعروف من قدامه ان يؤمر به ولا ينهى عن المنكر من قدامه ان ينهى عنه فمن كانت قد تمت فيه شرائط الله تعالى التي وصف بها أهلها من اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو مظلوم فهو مأذون له في الجهاد وكما اذن لهم في الجهاد لأن حكم الله تعالى في الأولين والآخرين وفرائضهم سواء الا من علة او حادث يكون والأولون والآخرين ايضاً في منع الحوادث شركاء والفرائض عليهم واحدة يسأل الآخرون عن أداء الفرائض عما يسأل عنه الأولون ، ويحاسبون عما به يحاسبون .

ومن لم يكن على صفة من اذن الله له في الجهاد من المؤمنين فليس من أهل الجهاد وليس بمأذون له حتى يفى بما شرط الله تعالى عليه فاذا تكاملت فيه شرائط الله تعالى على المؤمنين والمجاهدين فهو من المأذون لهم في الجهاد فليقت الله تعالى عبداً ولا يفتر بالامان التي نهى الله تعالى عنها من هذه الاحاديث الكاذبة على الله التي يكذبها القرآن وتبرء منها ومن حملتها ورواتها ولا يقدم على الله بشبهة لا يعذر بها افانه ليس وراء المعترض للقتل في سبيل الله منزلة يؤتى الله من قبلها وهي غاية الاعمال في عظم قدرها ، فليحكم امره لنفسه وليبرها كتاب الله تعالى ويعرضها عليه فانه لا احد اعرف بالمرء من نفسه فان وجدها قائمة بما شرط الله عليه في الجهاد فليقدم على الجهاد وان علم تقصيراً فليصلحها وليقمها على ما فرض الله عليها من الجهاد ثم ليقدم بها وهي طاهرة مطهرة من كل دنس يحول بينها وبين جهادها ولنا نقول لمن اراد الجهاد وهو على خلاف ما وصفنا من شرائط الله عز وجل على المؤمنين والمجاهدين لا تجاهدوا ولكن نقول قد علمناكم ما شرط الله تعالى على أهل الجهاد الذين بايعهم واشترى منهم انفسهم واموالهم بالجنان فليصلح امره ما علم من نفسه من تقصير عن ذلك ويعرضها على شرائط الله فان رأى انه قد وفى بها وتكاملت فيه فانه ممن اذن الله تعالى له في الجهاد =

اترى « ان يقولوا » هو - فقط - قول بالأفواه والاعمال لاهية والقلب لاه؟ ذلك القول الهازيء قوله المنافقين ، وهي تتطلب الإفراج دون الاخراج ، بل هو قول ينبي عن عقيدة صارمة ظاهرة في الافعال والاحوال على اية حال ، حيث يُخرج غير الموحدين لحد اخراجهم من ديارهم : « وما تقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد » (٨٧ : ٨) .

فإذن الله لهم بالدفاع دفاع ، وأمرهم إياهم بالدفاع دفاع ، ونصرته إياهم زاوية ثالثة من الدفاع قد يعنها كلها « ان الله يدافع .. » وهكذا الامر « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض .. » .

فذلك الدفع يجمع مثله تكويناً وتشريعاً ، تطبيقاً منهم ونصرة من الله ، لولاه لكان مسرح الحياة كله للشر والطغيان ، دون اية مجالة للخير والايان « ولكن الله ذو فضل على العالمين » .

هنا « دفع الله الناس بعضهم ببعض » تعم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع والجهاد ، فالناس الآخرون هم المؤمنون القائمون بشرائط الايمان في الأمر والنهي والدفاع والجهاد ، وليس كل الناس ، فـ « لا يأمر بالمعروف من قد أمر أن يؤمر به ولا ينهى عن المنكر من قد أمر ان ينهى عنه » (١) .

= وان ابى ان لا يكون مجاهداً على ما فيه من الاصرار على المعاصي والمحارم والاقدام على الجهاد بالتخطيط والعمى والقنوط على الله عز وجل بالجهل والروايات الكاذبة فلقد لعمرى جاء الاثر فيمن فعل هذا الفعل ان الله تعالى ينصر هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فليتنق الله امرء وليحذر ان يكون منهم فقد بين لكم ولا عذر لكم بعد البيان في الجهل ولا قوة الا بالله وحسبنا الله عليه توكلنا واليه المصير ، اقول : الارقام الاخرى راجعة الى مقتطفات من الحديث فلتراجع .

(١) - نور الثقلين ٣ : ٥٠١ في روضة الكافي عن ابي جعفر (عليه السلام) في قول =

ثم لا تختص هذه الآية بزمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ككل الآيات حيث تحلق على العالمين الى يوم الدين ، و« لو كانت الآية انما عنت المهاجرين الذين ظلمهم اهل مكة كانت الآية مرتفعة من الأرض »^(١) .

« ويحجة هذه الآية يقاتل مؤمنوا كل زمان »^(٢) ولها مجالات متدرجة منذ حروب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الإمام علي (عليه السلام) والحسين (عليه السلام)^(٣) والى حروب صالحة اخرى ، حتى حرب القائم المهدي (عليه السلام)^(٤) حيث تتحقق هذه الآية حقها وكما لها الشاسع دون إبقاء لكل خوأن كفور .

« ولولا دفع الله .. لهدمت .. » وذلك تهديم عميم لكل آثار الحق واهله وذكر الحق واهله :

﴿ هُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبُيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ .

تهديماً لأمكنة الذكر والصلاة لاهل الملل الثلاث وهم هامة اهل

= الله تبارك وتعالى : الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله قال : نزلت في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي وحمة وجعفر وجرت في الحسين (عليهم السلام) اجمعين وفي كتاب المناقب عنه (عليه السلام) في الآية قال : نحن - نزلت فينا .

(١) المصدر في تفسير القمي حدثني ابي عن ابن ابي عمير عن ابن مكيان عن ابي عبد الله (عليه السلام) في قوله عز وجل : اذن للذين يقاتلون .. قال : ان العامة يقولون نزلت في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما اخرجته قريش من مكة وانما هو القائم (عليه السلام) إذا خرج يطلب بدم الحسين (عليه السلام) وهو يقول : نحن اولياء الدم وطلاب العترة .

الكتاب بل وعامتهم ، اليهود والنصارى والمسلمون .

فـ « صوامع » هي الامكنة الخاصة المنعزلة عن الناس لعبادة النصارى حيث تتخذ من البراري والجبال ، و « بيع » معابد اليهود والنصارى ، « ومساجد » هي معروفة للمسلمين فما هي « صلوات » ؟

أهي العبادة المعروفة الخاصة بالمسلمين مقرونة بذكر أمكتتها « مساجد » ؟ ام إنها صلوات كل الفرق الثلاث فان لكل صلاة ، فحين تُذكر معابدهم « صوامع وبيع ومساجد » فلتذكر المعنى منها كلها وهي « صلوات » فيعني تهديمها كما يناسبها من المنع عن إقامتها في محالها ، ام في كل المحال مختصة وسواها ، ام انها من صلوات العبرانية ، اماكن عبادة اليهود ، او الصابئين .

انها قد تعني كل صلة بالله ، ظاهرة وباطنة ، ولأن الامكنة الثلاث او الاربع هي المحال والمجاور المعدة لعمودها الصلاة ، لذلك افردت بالذكر ، وكلها تجمعها الصلاة كعبادة خاصة لكل شرعة ، ثم « صلوات » تجمعها وكل صلة بالله ، فردية وجماعية اما هي ، فان دوائر السوء المستديرة على اهل الحق من طغات التاريخ لا تبقي ولا تذر أية صلة بالله « لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض » بمختلف المدافع في مختلف الميادين والجهات ، عقائدية وثقافية وسياسية واقتصادية واخلاقية وعسكرية أما هي ، فـ « اعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » ! .

هذه ، ولا سيما الصلاة الإسلامية السامية ، وقد قرنت « صلوات » بـ « مساجد » عناية لهذه المعنى بين كل الصلوات والمساجد عبر الشرائع طول التاريخ الرسالي .

« ولينصرون الله من ينصره ان الله قوي عزيز » من ينصره في نفسه تحلقاً باخلاق الله ، وفي الحفاظ على دينه دفاعاً عن حرمانه : مساجده

سورة الحج / آية ٣٨ - ٥٧ ١٣٣

وصلواته وكل صلواته ، ذلك هو الذي « لينصرون الله » ان الله قوي عزيز ، ينصر كل قوي في ايمانه ، عزيز في الدفاع عن ايمانه ، وهم :

﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾^١

وترى ما هو المعنى « مكَّنَّاهم في الأرض » حيث هو شرط الوجوب او السماح لهذه الفروع الهامة من الشرائع كلها : « اقام الصلاة - ايتاء الزكاة - الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » ؟

ان تطبيق هذه الفرائض الثلاث - كسائر الفرائض والواجبات - مشروط بالامكانية والتمكن .

وكما انها مرحليات كذلك الامكانيات طبقاً عن طبق ، فلا تعني « مكَّنَّاهم في الأرض » فقط تمكين السلطة الزمنية والروحية المخلقة على البلد الذي يعيشه المتمكنون فيه ، فلا يجب - اذاً - اقام الصلاة وايتاء الزكاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر على من ليست لهم تلك السلطة ! فنظراً الى الواقع المستمر في التاريخ ان السلطات ليست الا بأيدي النمرات والفرعنات تسقط هذه الواجبات الاصلية عن المؤمنين العائشين تحت وطأة هذه السلطات ! .

وانما تعني ان هذه الفرائض تقدر في تطبيقاتها المرحلية بقدر الامكانيات ، فاذا لا إمكانية لمرحلة عليا لم تجب على من لا يتمكنها ، فانما على كل كما يستطيع « وما جعل عليكم في الدين من حرج » .

فهناك مكنة عامة تعم كافة المكلفين منذ بداية الرسالات الى يوم الدين : « ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاش قليلاً ما تشكرون » (٧ : ١٠) فـ « ان » بالنسبة لذلك التمكين وصلية لا شرطية

حيث الشرط لكل من يعيش على هذه الأرض حاضراً ماثلاً أمامهم ، مهما اختلفت امكانياتهم في تطبيق واجباتهم : « ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه » (٤٦ : ٢٦) .

ثم مُكنة خاصة كما كان لذي القرنين « قال ما مكنتني فيه ربي خير فأعينوني بقوة .. » (١٨ : ٩٥) حيث مكن في مطلع الشمس ومغربها ، ففرضه - اذاً - في مرحلة عليا قدر الإمكانية والمكنة « إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً » (١٨ : ٨٤) .

وكما حصل ليوسف : « وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوء منها حيث يشاء » (١٢ : ٥٦) ومثلها التمكين الموعود في الأرض للمستضعفين المؤمنين شرطاً ان يجتهدوا طاقاتهم وامكانياتهم للحفاظ على الايمان : « ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون » (٢٨ : ٦) .

وذلك الوعد مستمر التحقيق للذين يطبقون شروطه في انفسهم ، والى يوم القائم المهدي (عليه السلام) حيث يمكن الله له وللمؤمنين معه في الأرض كلها^(١) « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » (٢٤ : ٥٥) - « ولقد كتبنا

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٠٦ في تفسير القمي عن ابي جعفر (عليه السلام) في آية التمكين ، فهذه لال محمد الى آخر الآية والمهدي واصحابه يملكونهم الله مشارق الأرض ومغاربها ويظهر الدين ويميت الله به وياصحابه البدع والباطل كما امارت الشقاة الحق حتى لا يرى ابن الظلم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون ،
(٢١ : ١٠٥) .

ثم وإقام الصلاة حقها له مراتب ودرجات حسب الامكانيات ، وإقامها كما تنهى عن الفحشاء والمنكر لفاعلها ومجتمعها الذي يعيشه هي القمة المعنية منها ، وإيتاء الزكاة كما تكفي لمصلحة الدولة الاسلامية ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيث يخلقان على كل معروف متروك وكل منكر مفعول ، هذه المرحلة من تلك الفرائض القمة تقتضي الامكانية القمة بتمكين مكين في الأرض كلها ، ثم وما دونها لما دونها ، وكما ان هذه الثلاث مفروضة كذلك المحاولة للتمكن من تطبيقها حسب المستطاع مفروضة ، وكما الله ينصر من ينصره في الدفاع عن حوزته ، كذلك ينصره - وبأحرى - في خلق جو فيه يتمكنون من ذلك الدفاع والتطبيق لشرعته « والله عاقبة الأمور » - « والعاقبة للمتقين » دون المتخاذلين البطالين والتنازلة المهملين .

مركز تحقيق كتاب توير علوم راسدي

اجل - انه النصر القائم على اسبابه ومقتضياته ، المشروط بتكاليفه وأعباءه ، والامر بعد ذلك لله « والله عاقبة الأمور » .

﴿ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ۚ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۚ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۚ ﴾ .

« وان يكذبوك » بسردي من نظائره من المكذبين السبعة كالسبعة من ابواب الجحيم المفتحة طول التاريخ الرسالي على المرسلين ، ذلك تسليية لحاطر الرسول الاقدس (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فهؤلاء هم اشد المكذبين للمرسلين إلا ان طبيعة الرسالة الإلهية في هذه الأدنى ان تجتاز هذه المعارض ، وهي سليمة لا تزداد الا تشعشعاً وتلالوةً فلست انت بدعاً من

الرسل في سنة التكذيب فانها مطردة عبر الرسالات كلها .

ثم « ثم اخذتهم » تنديد شديد بهؤلاء الأغباش الأنكاد ، وقد كانوا من سبقوهم أشد منهم وأقوى ، اخذ شديد بعد إملاء وإمهال شديد ، وأمدهم قوم نوح ثم فرعون ثم اخوانهم « ان اخذ ربك لشديد » .

ولماذا يفرد موسى في جملة خاصة بتكذيب مجهول دون « قوم موسى » ؟ لانه كذبه القبط الفرعوني كاصل ، مهما كذبه قومه احياناً عن جهالة وغباوة دون فرعنة وعناد ، كذبه هؤلاء واولاء رغم آياته البينات التي هي اكثر من آيات الرسل الذين قبله ! وضخامة الأحداث التي صاحبته ، فعليك بالتصبر يا حامل الرسالة الأخيرة لتجتاز كل العقبات وتتحمل كل العقوبات فانك موعود بالنصر كمن سبقوك من حملة الرسالات ، والمكذبون موعدون بالاخذ النكير « ثم اخذتهم فكيف كان نكير » ؟ : نكراني عليهم عملياً في هذه الأدنى وهي ليست دار جزاء ، فويلاهم إذاً من الأخرى ، وانه هنا نكير الطوفان والغرق والتدمير ، والخسف والهلاك والزلازل والعواصف والترويع ما يعجز عنه التعبير .

فتلك مصارع الغابرين المذكورين في صحائف التاريخ أمام الحاضرين والأتين ، انذاراً للمكذبين وتبشيراً للمؤمنين ، ولهم نظائر دونهم او امثالهم :

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْسُرُ مُعْتَلَّةٌ وَقَصِيرٌ مُشِيدٌ ﴾ .

قرى كثيرة في الطول التاريخي والعرض الجغرافي « اهلكناها » مساكن بساكنيها « وهي ظالمة » اهلها ، لحد كأنها هي الظالمة بجوها ، « اهلكناها » فهي خاوية على عروشها ، والعروش هي كل السقوف القائمة على الجدران ، والاشجار الجنات القائمة على العمدان ، وعرش السلطان ام ايأ

كان من سقف العمران ، والخواوية هي الخالية كالمنزل الخاوي ، وهي الساقطة كالنجم الخاوي ، فمنها ما هي خالية عن ساكنيها على بقاء عروشها ، ومنها ما هي ساقطة على عروشها حيث خوت وتهدمت فخلت من ساكنيها .

ثم وكأين « من بشر معطلة » : لا استفاد منها حيث هلك اهلوها « وقصر مشيد » محصن بالوان الجص وأشكاله ، وهي كسائر عروشها بين ساقطة مهدومة و خالية محرومة .

مناظر موحشة كثيبة تدعو الى التأمل في صورها الخاوية وربوعها الخربة ، تستجيش للعبرة ، والى جوارها الأبار المعطلة المهجورة الخواء ، والقصور الخالية البواء، تطوف بها الرؤي والأشباح والذكريات والأطياف ، والله من اهلها براء ! .

وقد يجري « بشر معطلة » في الإمام الصامت او الغائب و « وقصر مشيد » في الامام الناطق^(١) أهلك هذه القرى وفيها حجج الله صامته تنقي أم ناطقة تهدي أم غائبة ترنجي .

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٠٦ ف كتاب كمال الديني وتمام النعمة باسناده الى ابي بصير عن ابي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : البشر المعطلة الإمام الصامت والقصر المشيد الإمام الناطق ومثله في معالي الاخبار باسناده الى ابراهيم بن زياد عنه (عليه السلام) وثالثة فيه عن نصر بن قابوس عنه (عليه السلام) ورابعة في الكافي موسى بن القاسم البجلي عن علي بن جعفر بن اخيه موسى (عليه السلام) وفيه عن تفسير القمي قال هو مثل لآل محمد (عليهم السلام) قوله « وبشر معطلة » هو الذي لا يستقي منها وهو الإمام الذي قد غاب فلا يقتبس منه العلم الى وقت ظهوره « وقصر مشيد » هي المرتفع وهو مثل لأمير المؤمنين (علي السلام) والائمة منه صلوات الله عليهم وفضائلهم المنتشرة في العاملين المشرقة على الدنيا وهو قوله : ليظهره على الدين كله .

والمعنيان معنيان في ظاهر التفسير وباطن الجري والتأويل ، تنديداً بمن يهلكون عطاشاً وعندهم بشر ، ويسكنون بواءً دون ظل وعندهم قصر مشيد ، فليهلكوا - اذاً - بقريتهم « خاوية على عروشها » !

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾^(١)

وَيُلْهِم ! إن مصارع الغابرين أمامهم ماثلة ، وحيالهم شاخصة موحية ، تتحدث بالعبر ، ما بين مرئية بالبصر ومسموعة بالخبر ، « أفلم يسيروا في الأرض » سيراً تاريخياً وسيراً جغرافياً ، سيراً في أرض الحياة الغابرة والحاضرة ، ام ساروا دونها سمع ولا بصر من إجماعات الأرض بآثارها من الصالحين والتطالحين ، ليروا عواقب أولاء وهؤلاء هنا في الأولى ، فضلاً عن الأخرى .

فالسير في الأرض تحريماً عن نبهات واعتبارات يكون لتحريها قلباً به يعقل ، واذناً به يسمع ، آيات آفاقية بين مسموعة ومبصرة ، تنضم إلى أخرى أنفسية ، فتكمل الحجة بما تبين المحجة ، أرض معروضة للسامعين الذين يعقلون ، والعقلاء الذين يسمعون ، أرض التكوين ، وأرض التدوين وفضلها القرآن^(١) فانه معارض لكل غابر ومستقبل وحاضر ، وهو خير

= وقد قال الشاعر في ذلك :

بشر معطلة وقصر مشرف مثل لال محمد متطرف
فالقصر مجدهم الذي لا يرتقى والبشر علمهم الذي لا ينزف

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٠٧ في كتاب الخصال وسئل الصادق عن قول الله تعالى « أولم يسيروا في الأرض » . قال : معناه أولم ينظروا في القرآن .

تأريخ يخبر عن اخبار الماضين وارض الرسالات وفاعلياتها ، وارض المرسل اليهم وانفعالاتهم ، ام اي ارض هي عرض لمن يستعرض .

هناك قلوب لا يُعقل بها ، مقلوبة عن ان تعقل انسانياً ، وآذان لا يُسمع بها ، صماً أن تسمع انسانياً ، فأصحابها لا يهتدون بهدي آياتهم الأنفسية ، فليسيروا في الأرض ، في معرض الآيات الأفاقية « فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها » قلوب تعقل ما تراه من حقائق ، ام اذا لا تعقل في انفسها بالمعادل الأفاقية ، فـ « آذان يسمعون بها » ممن يعقل ، فانما الاصل ان تعقل الحقائق بالقلوب البصيرة ، غير المقلوبة العمي الحسيرة « فانها لا تعمى الابصار » الشاهدة لمشاهد الأرض ، حيث ابصار العيون فاتحة « ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » وعلى حد المروي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : ليس الاعمى من يعمى بصره ولكن الاعمى من تعمى بصيرته (١) .

فالاعمى البصر الذي له بصيرة يبصر ما لا يبصره من ليست له بصيرة ، كما الاصم المفتوح اذن قلبه له سمع ليس لمن يسمع باذنه ، فانما العمى عمى القلب حيث لا ينفع معها بصر العين ، والبصر هو بصيرة القلب التي لا تضر معها عمى العين .

وانما الاصل في سير الأرض اياً كان آفاقياً ، وسير النفس ، وهو بصيرة

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٦٥ - اخرج الحكيم الترمذي في نوادر الاصول وابو نصر السجزي في الابانة والبيهقي في شعب الايمان والديلمي في مسند الفردوس عن عبد الله بن جرادة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . وفي نور الثقلين ٣ : ٥٠٨ عن روضة الكافي عن ابي عبد الله (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : واعى العمى عمى القلب ، وفيه قال ابو جعفر (عليه السلام) انما الاعمى عمى القلب .

القلوب التي في الصدور ، فالقلوب العمي هي ميتة مقلوبة لا تنفع معها الابصار والأذان ، حيث تسمع كحيوان وتبصر كحيوان ، وهذه من صفات الدنيا « من ابصر اليها اعمته ومن ابصر بها بصرته » فاصحاب القلوب العمي يبصرون اليها كغاية ونهاية فيركنون اليها، واصحاب البصيرة يبصرون بها الى غايتها الاخرى ونهايتها فلا يركنون اليها .

والقرآن يعبر عن ليس له بصيرة كما هنا « ولكن تعمي القلوب التي في الصدور » وانهم صم عمي : « والذين اذا ذكروا آيات ربهم لم ينجسوا عليها صماً وعمياناً » (٢٥ : ٧٣) « افأنت تسمع الصم او تهدي العمي » (٤٣ : ٤٠) واحياناً يزيد عليها البكم « صم بكم عمي فهم لا يرجعون » (٢ : ١٨) .

هذا - ولكننا اصل البلاء في ذلك الثالوث المنحوس هو « العمي » وانها لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور ، حيث السمع مدخل لتبصر القلب ، واللسان مذياع لما يعتقد القلب ، فالقلوب العمي التي لا تحن الى البصيرة ، لا مدخل اليها سمعاً فاصحابها « صم » ولا مذياع لحق فيها فاصحابها « بكم » !

فقد « تاه من جهل واهتدى من ابصر وعقل »^(١) « ولا يضح الاعتبار الا لأهل الصفا والبصيرة »^(٢) : « اذا اراد الله بعبد خيراً فتح

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٠٧ - في اصول الكافي عن ابي عبد الله (عليه السلام) ... فانها لا تعمي ... وكيف يهتدي من لم يبصر وكيف يبصر من لم يتدبر ، اتبعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واهل بيته عليهم السلام واقروا بما نزل من عند الله واتبعوا آثار الهدى فانهم علامات الامانة والتقوى .

(٢) المصدر في مصباح الشريعة قال الصادق (عليه السلام) ... قال الله تعالى : فاعبروا يا اولي الابصار وقال عز من قائل : فانها لا تعمي الابصار .. فمن فتح الله عين قلبه وبصر عينه بالاعتبار فقد اعطاه منزلة رفيعة وملكاً عظيماً .

عيني قلبه فيشاهد بها ما كان غائباً عنه»^(١) .

فقلب مقلوب واه ، ذاهل عن التفكير في آيات الله فلا يعقلها ، انه اعمى « وشر العمى عمى القلب »^(٢) وهنا معنى عجيب وسر لطيف في « فانها لا تعمي الأبصار » حيث لا يعني نفي العمى عن الأبصار جملة ، فقد تعمي وقد لا تعمي ، وانما يعني ان الأبصار اذا كانت معها آلة الرؤية من سلامة الأحداق واتصال الشعاعات لم يجز ألا ترى ما يُرى ، ولكن القلوب هي على خلافها ، اذ تكون فيها آلة التفكير والنظر وهي معذلك لاهية عن النظر ، متشاغلة عن الفكر ، إلا من هدى الله .

وهنا « في الصدور » بيان لعنوان القلوب ومكانها من الأرواح ، فالعقل الأول مكانه المخ ، والثاني المغربل الأصفي مكانه الصدر وهو براني القلب ، والثالث المصفي مكانه القلب ، فكما ان قلب الجسم هو محور حياة الجسم ، كذلك قلب السروح المستكن في قلب الجسم الكائن في صدره ، انه محور حياة الروح ، ولا يحیی الروح الا ببصره وبصيرته ، فاذا عمي فالروح ميت انسانياً وإيمانياً ، مهما كانت له أحظى حظوة الحياة حيوانية .

(١) المصدر في عوالي اللثالي وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(٢) المصدر علي بن ابراهيم في خطبة لعلي (عليه السلام) واعمى العمى الضلالة بعد الهدى وشر العمى عمى القلب .

وفيه عن الخصال عن علي بن الحسين عليهما السلام حديث طويل يقول فيه : ان للعبد اربع اعين عينان يبصر بهما امر دينه ودنياه وعينان يبصر بهما امر آخرته فاذا اراد الله بعبد خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه فابصر بهما الغيب وامر آخرته واذا اراد به غير ذلك ترك القلب بما فيه .

« فتكون لهم قلوب يعقلون بها » لا عقول ام صدور يعقلون بها ، رغم ان العقل هو الذي يعقل في البداية ، فقد يعقل العقل والصدر ضيق لا ينشرح به « وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم » فانه استيقان العقول فقط .

ام يعقل الصدر وينشرح بما عقله العقل ، والقلب بعد غير عاقل كما يحق ، فهو عوان بين الكفر والايمان ، فقد يفسق وقد لا يفسق .

واما اذا عقل القلب ما عقله الصدر عن معقول العقل ، فهناك الايمان القمة المرموقة ، سواء أكان عقله ما عقل ظناً فهو من اصحاب اليمين ، ام علماً فهو من السابقين والمقربين : « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة إلا على الخاشعين . الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون » (٤٥: ٢) وذلك ظن القلب عقلاً راجحاً فيه ، دون ظن الصدر أو العقل !

فلان ابصار القلوب هي قلوب الابصار ، لذلك اختصرت هنا فيها كأنها احتصرت ، فما تفيد سائر الابصار فوائدها المرغوبة منها إلا اذا انتشأت من ابصار القلوب ، فما يبصره البصر او يسمعه الأذن يتنقل الى بصيرة العقل ، وما يبصره العقل في نفسه أم يبصر العين او الاذن يتنقل الى بصيرة الصدر ، ومن ثم الى بصيرة القلب « وانها لا تعمي الابصار » عيناً وسمعاً وعقلاً وصدراً « ولكن تعمي القلوب التي في الصدور » التي لا تنفع معها سائر الابصار ، مهما كانت ابصار العقول او الصدور فضلاً عن ابصار العيون .

فالمعرفة ما لم تصل شغاف القلب فهي متقلبة ، مهما اختلفت الدرجات ، فاذا وصلت الى القلب واخذ شغافه فهناك البصيرة التامة الطامة دون تزعزع ولا تلکع .

سورة الحج / آية ٣٨ - ٥٧ ١٤٣

بل وعمى القلوب تصد الصدور عن الانشراح ، والعقول عن
التعقل ، كما الإبصار عن الأبصار ، فتعطل في عماها كل الأبصار عن
الإبصار « وانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » !

اللهم أنر ابصار قلوبنا بضياء نظرها اليك حتى تحرق حجب النور
فتصل الى معدن العظمة ، ولا تجعلنا ممن لهم « قلوب يومئذ واجفة .
ابصارها خاشعة » (٧٩ : ٩) فانها عميت وكلت يوم الدنيا ثم « وبصرك
اليوم حديد » .

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ
كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (١٧) -

« يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره
الف سنة مما تعدون » (٣٢ : ٥) .

وترى كيف تتجاوب الآيات هاتان وآية المعارج : « تعرج الملائكة
والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبراً جميلاً . انهم
يرونه بعيداً ونراه قريباً . يوم تكون السماء كالمهل . . . » (٦ - ٩) ؟ فاين
الف سنة من خمسين الف سنة !

علّ المعني من ألف الحج انه في شدة العذاب كالف سنة مما تعدون
اي ٣٥٥٠٠٠ ضعفاً ، فلماذا يستعجلون العذاب وكل يوم منه عند ربك
في شدته كذلك الضعف الهائل .

ثم والف السجدة - علّه - هو واحد الزمان لعروج الامر اليه عند
الساعة ، فقد يعني انه يعرج امره اليه في واحد من الزمان قدر ما كان
يفعله يوم الدنيا من تدبير الامر في الف سنة مما تعدون ، فالف الحج يصور
شدة العذاب ، والف السجدة تصوير لسرعة النفاذ ، وعلّ الألفين - كل فيما

يعنيه - هما تصويران للكثرة الهائلة ، والألف تعبير عن الكثرة، دون تحديده بحده ، أم وبهذا الاعتبار يعني أن « يوماً عند ربك - و- ألف سنة مما تعدون » على سواء حيث الزمان لا يبعد له قريباً ولا يقرب بعيداً ، فسواء استعجل في عذابهم أم استأجل فهما عنده سيان .

أم لأنها سيان عنده في قدرته وعلمه فإن أخركم ألف سنة مما تعدون فكأنه أخركم يوماً ، فإن بُعد الزمان ليس بعيداً عنده ، فلماذا تستعجلون في العذاب ؟

وخمسون ألف المآرج مفصلة في المآرج بتفصيل منقطع المثل في الفرقان قدر المستطاع من التحصيل ، وعلى الله يحدث بعد ذلك أمراً « وفوق كل ذي علم عليم » !

وعلى أية حال فذلك الاستعجال ليس من صالحهم أو تعجيزاً لرب العالمين فلماذا يستعجلون ؟

وليس الله ليعجل باستعجالهم أم يؤجل باستأجالكم ، وإنما يعجل من يخاف الفوت ، وليس املاءه الظالمين الا امتحاناً ومزيد بلاء :

﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أُمْلَيْتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ ١٨

فلماذا يعجل وهم في قبضته واليه مصيرهم عاجلاً أم آجلاً على سواء : « وان يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون » ؟

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ ١٩ .

لست رباً ولا أن الأمر بيدي حتى تستعجلوني بالعذاب أم تستأجلون و« إنما أنا لكم نذير » من ربي كما أنذر « مبين » في انذارى كما أبين فماذا تطلبون !

انما انا رسول وليس لي من الامر شيء ! ممحض كياني بالنسبة لكل
اني نذير ، ثم للمهتدين بشير ، ومن بشارتي ونذاري :

﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٥٠) .

﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (٥١) .

« لهم مغفرة » من الله عما اخطأوا « ورزق كريم » وهو جنة النعيم
« والذين سعوا » مسرعين « في آياتنا معاجزين » يصارعونها سراعاً لإبطالها
بكل سرعة « أولئك اصحاب الجحيم » .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ
فِي أَمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴾ (٥٢) .

هذه الآية من معارك الآراء بين المفسرين المسلمين وسواهم من
مستشرقين طاغين بها وباضرابها من مشابهات في ذلك الدين المتين ورسوله
النبي الامين ، فقد اثاروا حولها عجاجة من القيلات التي هي ويلات على
هذه الرسالة السامية وعلى كل الرسائل ، وسانده جماعة من المسمين
مسليمن ظاهرين بمظاهر المفسرين والمحدثين^(١) حيث تناقلوا مختلفات
وثنيات ، ام اسرائيليات وكنسيات جهلاً او تجاهلاً ، قصوراً او تقصيراً
بحق القرآن العظيم .

ولو ان هذه الفرية الجاهلة القاحلة على هذا الرسول (صلى الله عليه

(١) لقد احدث رواة من الفريقين احدثة كاذبة حول الآية ، فرواة من العامة
تناقلوا حديث الفرائيق ، واخرون من الشيعة تناقلوا حديث « محدث » في الآية كانها
ساقطة عنها ، والكل محجوجون بالقرآن والسنة .

وآله وسلم) ثبتت انه قال : تلك الغرائق العلى منها الشفاعة ترنجى ، تجلباً
لخواطر المشركين ، اختلاقاً وثنياً يناقض جذور الرسالة التوحيدية ، لكانت
إذا فاشية في كافة الرسل والنبیین ، حيث الآية تعم مادة القرية المتخيلة
لكل رسول ونبي دون ابقاء .

ولكن الآية نفسها ، بعسكر مجند من آيات سواها وبراهين اخرى
معها ، تذود هذه الوصمة الوقحة عن ساحتها وساحة الرسالة السامية ، لو
ان الناظر اليها تأملها كما هيه ، دون تحميل للأراء والروايات عليها .

فالذي يبدو أولاً من وجه الآية صارحة انها تعرض سنة رسالية شاملة
لا تشذ عنها أية رسالة صغيرة ولا كبيرة « وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي . . » وطبيعة الحال في السنة الرسالية على اية حال ان تكون
بمصلحة الدعوة ، دون خصوص الداعية ، او مصلحة الرعاية لناكرها
المعارضين ، فانها ليست تجارة تحلق عليها المصلحيات الخاوية من مكائد
واكاذيب واحتلالات ، فانها تملك من البراهين القاطعة اقواها ومن السبل
الجادة اعبدها واصفاها ، دونما حاجة الى سياسات زمنية تحوم حولها
شيطانات وإغرائات ، فلا تجدد في قاموس الدعوات الرسالية شيئاً من هذه
المصلحيات القاحلة التي يعبدها اصحابها كاصنام ، وهي من الأخطار الهامة
في الدعوات الحققة انحرافاً عن نهجها السليم المستقيم غير الملتوي ،
وانحرافاً الى هوات السياسات الإبليسية التي يلعب بها الساسة الزمنيون .

فلا مسايرة في الرسالات الإلهية ولا أنصاف حلول بجعل البلد
شطرين ، والدعوة في واجهتين ، فانما هي شطر واحد منذ بدايتها الى
ختامها ، صدقاً صارماً دونما خليط ، حتى في لفظة قول مهما كانت ثورية
وتقية ، واليكم البحث والتنقيب حول الفاظ الآية :

« من رسول ولا نبي » وهما هنا مرسلان « وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي » ذلك دليل افتراقهما في بعض الشؤون مع الاشتراك في اصل الرسالة ، وذكر « نبي » بعد « رسول » مما يجعله في قمة اعلى من اصل الرسالة وكما في آيات عدة : « وكان رسولا نبيا » (١٩ : ٥١ و ٥٤) في موسى واسماعيل ، « والرسول النبي » (٧ : ١٥٨) في محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ولو كان كل رسول نبيا لكان ذكر « نبيا » بعد « رسولا » زائداً بائداً ، إلا ان تكون النبوة مرحلة راقية من الرسالة وكما تلوح من آياتها .

وعلى الروايات المعاكسة بينها تعني النبوة من النبأ ، دون النبوة من النبوة والرفعة : « نبي مُنبئ في نفسه لا يعدو غيره . . » وحين يخاطب يا نبي الله يرده قائلاً : لست انا نبي الله ، انا نبي الله .

إذا فـ « من رسول ولا نبي » يخلق على كل اصحاب الرسالات بدرجاتهم ، من مرسل دون كتاب او بكتاب ، من رسالة هامشية بكتابتها كغير اولي العزم ام رسالة اصلية كهؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وهم اصول النبوات وقواعد الرسالات .

إذا فـ « إذا تمنى » تشملهم كلهم في التمنيات الرسالية ، التي تحصل احياناً منها دون كل ادوارها لمكان « اذا » .

ثم التمني هو تقدير وجود المحبوب ، وصورته قبل حصوله عند المتمني هي أمنيته واصله المني : التقدير ، وتمنيات الرسل هي بطبيعة الحال التمنيات الرسالية تقوية لها وتطبيقاً بعد حصولها ، وتلك التمنيات بما هي مصحوبة بمحاولات لتحقيقها تُعرقل في مسيرها ومصيرها بإلقات الشيطان من جن وانسان ، وكما تعرقل اصل الرسالات منذ بزوغها ، وكلما ازدادت انتشاراً وتقبلاً وازدهاراً ازدادت ضدها العرقلات « فينسخ الله ما يلقي

الشيطان » في تمنيات ودعوات او كتابات الرسل « ثم يحكم الله آياته » الملقاة فيها ما يناحرها « والله عليم » تلك الالتقاءات « حكيم » في تحقيق تمنيات الرسل نسخاً لما يلقي الشيطان .

ولقد حصلت هذه الالتقاءات الشيطانية كلها في كل الرسائل ، خلقاً لأجواء معرقة دونها ، وتضليلاً لمن لا يحن إلى الايمان تمام الحنان ، وإلقاء في كتاباتهم تحريفاً وتجديفاً ، ولكن الشرعة الاخيرة سليمة من ذلك الاخير .

إذا ففي ذلك العرض الشامل تسلية لخاطر الرسول الاقدس (صلى الله عليه وآله وسلم) ان الله هو الذي ينسخ ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته .

وهكذا نرى كل كتاب رسالي ينسخ التحريفات التي القيت فيما قبلها من كتاب^(١) حتى وصل الدور الى القرآن فاصبح مهيمناً على كافة كتب الوحي .

ونرى ان الاجواء المضللة الملقاة من الشياطين تتبدل صالحه هادية زمن الرسل وبعد كل رسول برسالة تالية وتأيدات ربانية ، والقلوب المزعزعة

(١) تفسير البرهان ٣ : ١٠٢ - عن الاحتجاج للطبرسي في حديث عن امير المؤمنين (ع) قال : فذكر عز اسمه لنبه ما يحدثه عدوه وفي كتابه من بعده بقوله « وما ارسلنا . . » يعني انه ما من نبي يتمنى مفارقة ما يعاينيه من نفاق قومه وعقوقهم والانتقال عنهم الى دار الاقامة الا القى الشيطان المعرض بعداوته عنه - عند فقد - بعده في الكتاب الذي انزل اليه ذمه والقدح فيه والطنع عليه فينسخ الله ذلك من قلوب المؤمنين فلا تقبله ولا تصفى اليه غير قلوب المنافيين والجاهلين ويحكم الله آياته بان يحمي اوليائه من الضلال والعدوان ومتابعة اهل الكفر والطغيان الذي لم يرض الله ان يجعلهم كالانعام حتى قال بل هم اضل سبيلاً .

بهذه الإلقآت تثبت على ما كانت من الايمان واليقين شرط ان ننحو منحى
الإيمان واليقين ، وذلك هو النظر الموعد للرسول والمؤمنين :

« انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد »
(٤٠ : ٥١) « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون .
وان جندنا لهم الغالبون » (٣٧ : ١٧٢) .

فليست امنية الرسل هي فقط آيات الوحي الرسالية حتي يفسر إلقاء
الشيطان فيها بزيادة عليها ، فانها حاصلة دفعة واحدة ام تدريجية طيلة كل
رسالة دون حاجة الى تمن ، فـ « تلك الغرائيق العلى منها الشفاعة ترحى »
ليست من تلك الإلقآت في آيات الوحي المحمدي ، بل هي من إلقآته
على مختلفيها ، مردودة اليهم ومضروبة عرض الحائط ، حيث تضاد طبيعة
الرسالة ولا سيما هذه الأخيرة السامية .

وتراه كيف ينطق هكذا عن أضل الاهواء الشركية « وما ينطق عن
الهُوى . ان هو الا وحي يوحى » (٥٣ : ٤) تصون تنطقاته كلها كتاباً وسنة
عن كل هوى حتى العقل ، حاصراً لها في وحي يوحى ؟!

ام كيف يقول على الله هكذا « ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا
منه باليمين . ثم لقطعنا عنه الوتين » (٦٩ : ٤٦) ولم نره حيناً مأ مقطوع
الوتين او مأخوذاً باليمين ، إلا في مزيد من التامين المكين ، والتأييد
الرصين ! : « قل ما يكون لي ان ابده من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما
يوحي الي » (١٠ : ٢٥) ثم « وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك
لتفترى علينا غيره واذا لا تأخذوك خليلاً . ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن
اليهم شيئاً قليلاً » (١٧ : ٧٤) هذه ، تجتث عنه جذور هذه الفتن ، والمسايرة
بها ليتخذوه خليلاً كما افتراه عليه مختلفوا الغرائيق العلى ! .

ثم الله ضمن له ألا ينسى الوحي فلا يزيد عليه ولا ينقص منه ،

« سنقرئك فلا تنسى » (٨٧ : ٦) وليست امثال قصة الغرائق الا من سلطان الشيطان شر سلطان ، وليس الا على الغاوين : « ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين » (١٥ : ٤٢) « قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين . الا عبادك منهم المخلصين » (٣٨ : ٨٢) ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو من أخلص المخلصين ، وهو أول العابدين .

وفرية الغرائق تعارض هذه الآيات وطبيعة الرسالات ، وتكذب هذه التضمينات والصيانات لأبعاد الرسالات ، فهي باطلة متناً مهما كثرت فيها الروايات ، كما هي ضعيفة سنداً ، حيث رواها المطعون فيهم ، وحتى لو صحت أسنادها فهي كاذبة المتون لمعارضة القرآن ، وان الآية نفسها لا تتحملها .

هؤلاء المخلتقون هم من اعداء الرسل وكما قال الله : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين » (٢٥ : ٣١) « وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً . ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون . ولتصفى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتربوا ما هم مقتربون » (٦ : ١١٣) والافئدة هنا هي القلوب المتفتدة بنيران التكران حيث تستزيد نكراناً على نكران .

فإيحاء زخرف القول غروراً منهم هو - فقط - إلقاءهم ، سواء في الأجواء والقلوب ، ام في كتب السماء ، والقرآن مصون عن ذلك الإلقاء ، ثم لا تصفى الى زخرفاتهم إلا « الذين لا يؤمنون بالآخرة » .

ولماذا « القى الشيطان في امنيته » اذ « يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً » ثم الله لا يصد عن ذلك الإلقاء الزخرف ؟ :

﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ

قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٣٨﴾ -

« ولتصفي اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة . . »

فذلك - إذا - بالنسبة للقاسية قلوبهم والمرضى الناكرين للآخرة ، امتحان الإمتهان ليزدادوا مرضاً على مرض ونكراناً على نكران ، وكما « انما نملي لهم ليزدادوا اثماً ولهم عذاب مهين » .

وهو في نفس الوقت مزيد علم وإيمان لأولي العلم والإيمان « فيؤمنوا به » أكثر مما كان « فتخبث له قلوبهم » إيماناً فوق إيمان ، حيث الإيمان يتبلور بالامتحان ، فلما يرى المؤمنون تلك العرقلات الشيطانية ضد الدعوة القرآنية واضرابها ، يتأكدون أكثر مما كان « انه الحق من ربك » .

إذا فليس ما يلقي الشيطان فتنة إلا للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم والذين لا يؤمنون بالآخرة ، ولو كان ذلك الإلقاء مثل ما يفترى على رسول الهدى من قصة فرية الغرائيق لكان هو (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه من هؤلاء المرضى الكافرين ، خارجاً عن الذين اوتوا العلم ! بل هو خارج عن القبيلين حيث المرسلون هم ملء العلم والإيمان والإخبات الى ربهم ، لولاها لما ارسلوا الى العالمين ، فلقد اجتازوا مراحل الإخلاص من العلم والإيمان بالله والإخبات لله حتى اخلصهم الله واصطفاهم على علم على العالمين: « الله يضطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس » (٢٢ : ٧٥) « وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار » (٣٨ : ٤٧) « ولقد اخترناهم على علم على العالمين » (٤٤ : ٣٢) .

انهم عليهم السلام كلهم خارجون عن ذلك الثالوث المنحوس ، وحتى عن اولي العلم المتدرجين الى ايمان الإخبات ، فهم في قمة الإسلام بعدما اجتازوا درجات الايمان والإخبات الى ربهم فاصطفاهم ربهم على العالمين .

« ان الظالمين لفي شقاق بعيد » بينهم وبين الحق ، فليسوا ليكتفوا بنفاقهم العام وكفرهم الصارم ، فيستزيدون نفاقاً على نفاق وكفراً على كفر بما يلقي الشيطان ، صاغية اليه افتدتهم « وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون » - « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً » (١٧ : ٨٢) ف « كلاً غد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً » (١٧ : ٢٠) .

ف « الذين في قلوبهم مرض » هم مرضى القلوب لعدم استقامتها في التعقل ، فلا تدع عن بما به يُدعَن اذا استقامت وصحت القلوب ، ثم تقسوا لحد لو ارادت الإذعان لما تيسر لها حيث ختم الله عليها بكفرهم وهم « القاسية قلوبهم » ويجمعهما « الذين لا يؤمنون بالآخرة » حيث تصغى إلى ما يلقي الشيطان وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون « وان الظالمين » وهم هؤلاء الصاغون اليه « لفي شقاق بعيد » غارقون فلا ينجون ، واصحاب الشقاق القريب قد ينجون ، ثم الرفاق للحق المحتارون الفاحصون عنه اولئك هم يؤمنون :

﴿ وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

ان المهديين الى صراط مستقيم هم الراسخون في العلم ، ويتلوهم « الذين اوتوا العلم » حيث الامتحان يستدرجهم الى الرسوخ في العلم فالى صراط مستقيم ، حيث العلم هنا هو الايمان على بينة فانه مغزى المعرفة بالله دون العلم فقط ، وهكذا « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم . . » (٣ : ١٨) « بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم » (٢٩ : ٤٩) « ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق » (٣٤ : ٦) « يرفع الله الذين آمنوا والذين اوتوا العلم درجات »

(٥٨ : ١١) .

ذلك هو العلم الذي يزيد في الايمان ويحقق الإخبات الى الرب
و « انه » ما يتمناه الرسل وهي مادة الرسالة اصلاً وتطبيقاً وخيرها أخرها
وهي الرسالة الاخيرة . « انه الحق من ربك » لا سواء ، وان ما يلقي
الشيطان هو الباطل « فيؤمنوا به » بالحق « فتخبت له » الله « قلوبهم » حيث
يصبحون لهم رفاقاً في أمنياتهم دون فراق ولا شقاق ، متسابقين الى مزيد
الايمان في ميدان السباق « وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم » !

وهنا في محتملات المراجع لضمير الغائب « انه - به - له » وجوه عدة ،
فقد يرجع الاول الى ما يتمناه الرسل « انه الحق من ربك فيؤمنوا » بالحق
« فتخبت له » : الحق الرب « قلوبهم » ام الى خير ما يتمنونه وهو الوحي الاخير
« القرآن » مائلاً فيه الحق كله ، ممثلاً لكل أمنيات الرسالات « فيؤمنوا به » :
القرآن « فتخبت له » القرآن - او - منزله « قلوبهم » : « وان الله لهاد الذين
آمنوا الى صراط مستقيم » قد يقوم كون المرجع هو الصراط المستقيم ، فانه
أمنية الرسل كلهم ، فـ « انه الحق » نفس الصراط المستقيم ، « فيؤمنوا
به » بالصراط ، ام - وبأحرى - صاحب الصراط وهو الله « فتخبت له
قلوبهم » او ان نسخ ما يلقي الشيطان او جعل ما يلقي الشيطان فتنة « انه
الحق من ربك » .

اجل انه ليس للشيطان إلقاء الا باذن الله تخيراً دون تسيير امتحاناً
للمكلفين « ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون » .

كما وان نسخه بعد سماح الإلقاء « انه الحق من ربك » القاء « ليجعل
ما يلقي الشيطان . . » وإلقاء ونسخ « ليعلم الذين أوتوا العلم . . » .

ولان قرآن محمد ومحمد القرآن هما الصراط المستقيم القمة ، تعريفاً
بالله ومعرفة بالله وتجسيداً لشرعة الله ، فالحق من ربك هو القرآن

ورسوله ، وإخبات القلوب ليس إلا الى الرب : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم » (١١ : ٢٣) « فالحكم آله واحد فله اسلموا وبشر المحبتين » (٢٢ : ٣٤) .

هذه قضية العلم والايمان في كتلة العلم الايمان ، ان ما يلقي الشيطان لا يزيدهم الا نوراً :

﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ٥٥ ﴾ .

هؤلاء في مزيد الإيمان وإخبات القلوب ، وأولاء « في مرية منه » : الحق - أيا كان ، فانهم في شقاق بينهم وبين الحق أينما حلّ « حتى تأتاهم الساعة بغتة » وهي ساعة الموت « او يأتاهم عذاب يوم عقيم » وهو ساعة القيامة الكبرى، والآخرين هم الذين تقوم الساعة في حياتهم الدنيا ، والأولون في حياتهم البرزخية ، فهذه الكتلة الكافرة لا يزالون في مرية منه حتى تأتاهم قيامتهم الصغرى أو الكبرى ، وهم في هذه الساعات أحياء لم تقدمهم حياة التكليف إيماناً إلا مرية .

فـ « الذين كفروا » هنا هم عامة كفار التاريخ الذين « سواء عليهم ان نذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون » في حياة التكليف « حتى تأتاهم الساعة بغتة » بمباغتة الموت حيث لا ينفع الايمان « أم يأتاهم عذاب يوم عقيم » وهو اليوم الآخر .

فتفسير الساعة بالقيامة تفسير عقيم ، اذ لا تبقى المرية حتى القيامة لمن مات قبلها « وبصرك اليوم حديد » ! حيث تكشف الحقائق فلا تبقى أية مرية الا زالت مهما لم ينفع الايمان لمن لم يؤمن من ذي قبل .

فالما الساعة هي ساعة انقضاء التكليف بقيامة صغرى هي الموت ، ام كبرى هي الكبرى، وقد يعني « عقيم » انه لا ينفع فيه عمل ولا ايمان ، ولا

يوم بعده فانه اليوم الاخير خلاف اليومين الاولين ، وانه لا رجوع فيه عنه الى حياة التكليف ، وقد كان بالامكان من قبل وان بصورة خاصة كما يرجعون يوم الرجعة وقد رجع قبلهم افراد وجماعات .

﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ يَكْفُلُ بَيْنَهُمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥٧﴾

« الملك » كله ، ظاهره وباطنه، اذ كان لهم الملك قبل « يومئذ » استخلاقاً ظاهراً وعارية مضمونة « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من قبل ان يأتي يوم ... » (٥٧ : ٧) .

ظاهر كأن يتظاهر لأهل الظاهر أنه لمن يملك ظاهراً وباطناً ، و« يومئذ » يعلمون انه كان لله ولم يكن لهم إلا ظاهر مستخلف فيه ابتلاءً وامتحاناً .

« يومئذ » حين انقضاء التكليف برزخاً وقيامة ، اذ اذ « جنات النعيم وعذاب مهين » نعم النشاطين مهما اختلفت جنات عن جنات وعذاب من عذاب .

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا
لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾
لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾
* ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُنِيَ عَلَيْهِ

لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ
يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٧﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ
مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٨﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٩﴾ أَلَمْ
تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ
إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ وَهُوَ
الَّذِي أَحْبَبَكُمْ ثُمَّ يَمِينُكُمْ ثُمَّ يُخَيِّكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَكَفُورٌ ﴿٢١﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ
فَلَا يَنْتَرِ عُنْكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلى
هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا

تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ
فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾
وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَمْ يَكُنْ
لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَى
عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا
قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مَنِ ذَلِكُمْ أَلَمْ تَكُنْ السَّارِعِينَ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَرَبَّنَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ
فَأَسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ
يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۚ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْعًا
لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾
مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ
يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا
وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾
وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ
عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا
عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى
وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

في هذه الآيات تعقيبات لما سلفت من الاذن في القتال ، مهاجرة في
سبيل الله مع وعد النصر في ختام بأمر الجهاد حق الجهاد واعتصام بالله
« ونعم النصير » .

والمهاجرة في سبيل الله - وحياة المؤمن كلها مهاجرة - هي تجرّدة كاملة
شاملة من كل ما تهفو له النفس في سبيل غير الله ، إثارة لتلك السبيل على
كل سبيل .

ولا تعني المهاجرة هنا - فقط - ترك الوطن السكن إلى سواه كما حصل

مرتين في مكة المكرمة ، تارة الى الحبشة واخرى الى المدينة ، حيث المهاجرة في الله لا تحمل معها صورة خاصة ، ولا سيما ان السورة مدنية وقد تمت تلك المهاجرات الخاصة ، وانما تعني التباعد عن كل ما يعرقل المسير في سبيل الله ، واهمه المهاجرة الانفسية ، ثم الافاقية هي من مظاهرها ، فقد تقتضي الهجرة عن ارض الوطن ، واخرى البقاء في ارض الوطن ، كما قد تنتهي الى القتل واخرى الى الموت .

ومن مميزات هذه الآيات ان تسعاً منها متتالية تحمل ثمانية عشر من اسماء الله تعالى ، نُحْتَم كل واحدة باسمين من اسماء الله الحسنى بعد الجلالة : وان الله هو خير الرازقين - العليم الحليم - العفو الغفور - السميع البصير - العلي الكبير - اللطيف الخبير - الغني الحميد - الرؤوف الرحيم ، أحياكم ثم يميتكم .

وهذه ظاهرة منقطعة النظير في الذكر الحكيم ، مما يدل على عظم الموقف للمهاجرين في سبيل الله : *كاتب علوم إسلامي*

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ٥٨ لِيَدْخُلْتَهُمْ مُدْخُلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ٥٩ ﴾ .

هنا « هاجروا في سبيل الله » هو الأصل « ثم قتلوا او ماتوا » دون تفاضل ، فقد يُقتل في سبيل الله ، وقد يُقتل ثم يموت ، ام لا يُقتل ولا يُقتل ثم يموت ، والمهاجر في سبيل الله هو في اي من هذه الحالات الثلاث على سواء في « ليرزقنهم الله رزقاً حسناً » بعد القتل او الموت ، وهو حياة طيبة عند الله ، ممتازة عن سائر الحياة لسائر القتل او الاموات الذين لم يهاجروا في سبيل الله ، ثم لم يقتلوا او يموتوا في سبيل الله ، مهما كانوا مؤمنين ، فان المهاجرة في سبيل الله تصبغ القتل او الموت بنفس الصبغة الالهية

« صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون » (٢ : ١٣٨) .

إذاً فلا يفضل القتل في سبيل الله على الميت في هذه السبيل ويفضل ذلك الميت على القتل في غير هذه السبيل^(١) وقد سمع سلمان الفارسي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : من مات مرابطاً أجرى الله عليه مثل ذلك الأجر وأمن الفتانين ، واقرؤا ان شئتم « والذين هاجروا - الى قوله - حلیم »^(٢) بل والآيتان نزلتا بشأن الميت في هذ السبيل^(٣) .

وهذه التسوية هي قضية « ان الله لهو خير الرازقين » حيث المفاضلة هنا خلاف الخير ، كما هي قضية انه « حلیم » باحوال المهاجرين في سبيل الله ، ولو كان بينهم تفضيل فهو على حد السبيل ، وانه « حلیم » بعباده ، فلا يختص رزقه بخصوص القتل في سبيله ، حيث الأصل هو المهاجرة في هذه السبيل ، فمن يعيش حياته مهاجرة في سبيل الله ، فهو من اهل هذه الآية على قدر نصيبه من هذه السبيل : « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً » (٤ : ١٠٠) .

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٦٩ - اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن فضالة بن عبيد الانصاري الصحابي انه كان برودس فمروا بجنازتين احدهما قتيل والاخر متوفى فمال الناس على القتل فقال فضالة : مالي ارى الناس مالوا مع هذا وتركوا هذا ؟ فقالوا : هذا القتل في سبيل الله ، فقال : والله ما ابالي من اي حفريتها بعثت اسمعوا كتاب الله : « والذين هاجروا ... » .

(٢) المصدر اخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه عن سلمان الفارسي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول :

(٣) في جوامع الجامع وروى انهم قالوا : يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك ، فانزل الله هاتين الآيتين .

فهنا الموت وهو اعم من القتل ، وهناك القتل او الموت ، مما يدل على
الآ فارق بينهما ما هما مشتركان « في سبيل الله » اللهم إلا تفارقاً في درجات
السبيل ، فقد يفضل قتيل على ميت او قتيل ، او ميت على ميت او قتيل
« ولكل درجات مما عملوا وما ربك بظلام للعبيد » .

ذلك ترغيب عام هام بالنسبة للمهاجرة في سبيل الله ، ولان طبيعة
الحال في حياة المهاجرة ان يترصد بها دوائر السوء ، يتلوه وعد النصر :

﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْنَاهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
لَعَفْوٌ غَفُورٌ ﴾ (٦٠) .

فهذه ضابطة عامة هي السماح في المعاقبة بالمثل في سبيل الله ، وأما
المعاقب في غير سبيل الله فلا سماح له بالمثل اذا كان تأديباً ام ردة فعل لما
أخطأ ، اللهم إلا من ظلم .

فالمعاقب بالمثل إذا بغى عليه ، انه موعود بالنصر ، حيث عوقب في
سبيل الله ، وعاقب بالمثل باذن الله ، فاذن : « لينصرنه الله ان الله لعفو
غفور » .

اترى ما هي الصلة بين وعد النصر لمن بغى عليه وبين عفو الله
وغفره ؟ عله بمناسبة شأن النزول حين دافع سرية الرسول في الشهر الحرام
عن انفسهم فتخرجوا (١) .

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٦٩ - اخرج ابن ابي حاتم عن مقاتل في الآية قال : ان النبي
(صلى الله عليه وآله وسلم) بعث سرية في ليلتين بقيتا من المحرم فلقوا المشركين فقال
المشركون بعضهم لبعض قاتلوا اصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فانهم
يحرمون القتل في الشهر الحرام وان اصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)
ناشدوهم وذكرهم بالله ان يعرضوا لقتالهم فانهم لا يستحلون القتال في الشهر الحرام
الا من بداهم وقتلواهم فاستحل الصحابة قتالهم ونصرهم الله عليهم .

ثم المعاقبة بالمثل مسموحة كضابطة وليست واجبة الا احياناً ، وهي مرجوحة اخرى على سماحها ، « وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى واصلح فاجره على الله » (٤٢ : ٤٠) « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » (١٦ : ١٢٦) .

كيف لا « فمن اضطر في غمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم » (٥ : ٣) فالغفر شامل حتى موارد السماح بالاضطرار فضلاً عن غير الاضطرار مهما كان مسموحاً ، حيث الاصل المحلّق على كل الاصول هو التغامض عن المعاقبة بالمثل ، ما كان دفعاً للسيئة بالحسنة « ادفع بالتي هي احسن السيئة » ام دون دفع ما لم يخلف تطاولاً من الظالم عليه وعلى من سواه من المظلومين علّه ينتبه .

فقد يتلى المؤمن بالمعاقبة بالمثل والظرف ظرف رجاحة العفو والإصلاح ، فالتصرة الإلهية تشمل كظروف الرجاحة والوجوب « ان الله لعفو غفور » عن مثل ذلك اللمم .

ثم الغفر لا يختص برفع اثر العصيان بعدما كان ، بل ودفع العصيان عن المعفو ، من نفسه ام سواه ، فحين يعاقب المؤمن بالمثل ثم يُغْفى عليه يعفو الله عما فعل ويغفر له دفعاً عنه من نفسه ام سواه عن التطاول ، حيث المعاقبة تخلف تطاولاً طائلاً من المعاقب عليه والله يغفره ويستره عن المظلوم فـ « ان الله لعفو غفور » تتبع في معناها موارد ، وهذه المعاني معنية حسب الموارد المختلفة .

﴿ ذَلِكْ بِأَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾^{٦١} .

ايلاج الليل في النهار وايلاج النهار في الليل سنة كونية تشبه هذه السنة الشرعية والكونية في المعاقبة بالمثل ، فكما ان الله يولج كلاً في الآخر كظاهرة طبيعية تمر بالبشر ليل نهار وصيف شتاء ، فلا تطاول لليل على نهار ام لنهار على ليل ، اللهم إلا تساوياً لردح قصير في ليال وانهار ، مصلحة دائبة قد تخفى على الناس .

كذلك الأمر بين المتعاقبين ، سماحاً تكوينياً لمن يَظْلِم ، ثم سماحاً شرعياً في معاقبته بالمثل ، ثم نصرة للمتضرر بعد ظلمه إذ بُغِيَ عليه « وان الله سميع » قيلات المعترضين ، ومقالات المظلومين « بصير » بحالات اولاء وهؤلاء ، فلا يعاملهم في احكامه التكوينية والتشريعية الا بالعدل ، كما يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ، قصراً في كل ومزيداً في الآخر كمصلحة كونية وناموس مطرد طبيعي ، كذلك الله يفعل بخلقه « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت ... »

هنا الليل - عله - كناية عن ليل الظلم على المظلوم ، والنهار هو الظالم ، حيث يصيب من حق المظلوم انتقاصاً منه ، ثم يولج النهار في الليل ، معاقبة بالمثل المسموحة للمظلوم ، ايلاجاً لكل في كل على سواء فكما الليل يزوي سلطان النهار ، كذلك ليل المظلومين يزوي بظلامه سلطان المتجبرين وينشر سلطان المؤمنين المظلومين .

وفيما نراه لا يعاقب الظالم بمثل ما ظلم واقعياً مهما كان الحكم هكذا شرعياً ، وهو الاكثرية الساحقة من الظلامات ؟ فالنشأة الآخرة هي المجالة الاخرى الوافية الموفية لذلك الانتصار ، ف « لينصرنه الله » ليست لتختص بالاولى ، والآخرة خير وأبقى ، وقد جمعت النصرة للحسين (عليه السلام) بين النشأتين ، فهنا النصرة لمرامه ومرماء حيث يقود مدرسة الشهادة والنضال في سبيل الله ، مستمراً به القتال ضد الفرعة اليزيدية الاموية

طوال التاريخ .

ثم نصرة ثانية عالمية بولده القائم المهدي (عليه السلام)^(١) ثم في
الآخرة النصرة الأوفى « والآخرة خير وأبقى » . فعلى المظلوم أم له ان
ينتصر ، وهو منصور هنا أم في الآخرة أم فيها كما وعد الله ، والآخرة
أوفى فأنها هي دار الجزاء .

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ
هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾^{١٢} .

« ذلك » العدل والتعديل في التكوين وفي التشريع ، دوغما تخلف هنا او
هناك قيد شعرة « بان الله هو الحق » فلا يأتي منه إلا الحق ، بحكم العلم

(١) سور الثقلين ٣ : ٥١٨ في تفسير القمي وأما قوله عز وجل « ذلك ومن
عاقب .. » فهو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما أخرجه قريش من مكة
وهرب منهم الى الغار وطلبوه ليقتلوه فعاقبهم الله تعالى يوم بدر وقتل عتبة وشيبة والوليد
وابو جهل وحنظلة ابن ابي سفيان وغيرهم فلما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
طلب يزيد بدمائهم فقتل الحسين وآل محمد صلوات الله عليهم بغياً وعدواناً
وظلماً وهو قول يزيد حين تمثل بهذا الشعر :

ليت اشيأخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الاسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً	ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لست من ختد ان لم انتقم	من بني احمد ما كان فعل
قد قتلنا القرم من ساداتهم	وعدلناه ببدر فاعتدل
وكذاك الشيخ اوصاني به	فاتبعتم الشيخ فيما قد سال

فقال الله تبارك وتعالى « ومن عاقب » يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
« بمثل ما عوقب به » يعني الحسين (عليه السلام) ارادوا ان يقتلوه « ثم بغى عليه
لينصره الله » يعني بالقائم صلوات الله عليه من ولده .

والقدرة والحكمة البالغة ، العادلة الفاضلة ، « وان ما يدعون من دونه »
من آلهة واحكام « هو الباطل » متارجفاً في الحكم ، « وان الله هو العلي
الكبير » عليّ عن ان تناله الاوهام ، ومن تطاول في الاحكام ، وكل ما لا
يناسب ساحة الرب الملك العلام ، فـ « هو العلي » لا سواء ، وهو
« الكبير » في علوه لا سواء ، فرب علي غير كبير ، علواً جعلياً مؤقتاً ، او
استعلاءً دون حق ، « وان الله هو العلي الكبير » لا يأتي منه إلا الحق العالي
الكبير .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ
لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ ٦٣ .

وكما هنا الأرض الموطوءة بالأقدام ، اليابسة الواطئة تحت الأقدام ، تصبح
مخضرة بماء السماء ، كذلك الله يفعل بالمظلومين المحطمين حيث ينزل ماء
الحياة النصره اليهم تكويناً وتشريعاً في الاولى ، وانتصاراً وافياً في الاخرى ،
كما ويتنصر لهم احياناً في الدنيا ، وفي آخر احيائها يوم المهدي (عليه
السلام) « والعاقبة للتقوى » حين تصبح ارض المستضعفين مخضرة بماء
الرحمة والقوة والسلطة العالمية .

ولماذا « تصبح » مستقبلاً استمرارياً بعد « انزل » ماضياً ؟ حيث ان
اخضرارها نتيجة متأخرة عن انزال ماء السماء ، هي في نفس الوقت
مستمرة حيث الماء النازل اليها هو نصيبها الدائب ، مهما يتبخر صاعداً
ويرجع نازلاً على طول خط الحياة الارضية ، وهكذا الله يفعل
بالمستضعفين المؤمنين ، ثم الانتصار الوفي في دولة المهدي (عليه السلام)
ومن ثم الاوفى في الاخرى « وان ليس للانسان إلا ما سعى ، وان سعيه
سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى » (٥٣ : ٣٩ - ٤٠) .

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ٦٤ .

« له » مُلكاً ومُلْكاً ، قدرة وعِلْماً ، ايجاداً واعداماً ، خلقاً وتديباً « ما في السماوات وما في الأرض » صيغة راثجة عن الكون كله ، وهما يشملان ما بينهما وما عليهما « وان الله هو » لا سواه « الغني » دون فقر « الحميد » بكل مدح ودون اي ذم وقذح ، فطبيعة الغنى لمن سوى الله هي الطغيان « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » وهي في الحق أفقر من كل فقر ، فغنائه تعالى كسائر صفاته رحمة كلها .

فالغني قد يكون ذمياً حيث يَطْغى ، ام لا ذمياً ولا حميد وهو الذي يتاجر بغنائه ، فاذا انفق يرجو منه عائدة مادية ام روحية ، ام هو حميد اذ لا ينتفع بما ينفق وهكذا الله دون من سواه ، فانه « الغني » المطلق « الحميد » المطلق ، دون حاجة في غناه ولا لزوم .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُّوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ٦٥ .

« الم تر » يا رسول الهدى ، أم أي راء كان ، رؤية العلم والاحساس « ان الله سخر لكم ما في الأرض » من جماد ونبات وحيوان ، مما يرى وما لا يرى ، ما على ظاهر الأرض سطحاً او جواً ، برأ او بحرأ ، ام في باطنها ، تسخيراً بعلم موحي ام مستفاد ، وبقدرة موحاة ام مستفادة ، لولا تسخيره لما تسخرت لنا الأرض بما فيها

فلولا التناسق بين طينة الانسان وطينة الارض لما استطاع الحياة عليها فضلاً عن ان يستفيد منها ، ولو اختلفت كثافة الأرض بجوها عن كثافته وما يحتاجه من جو لما استقرت قدماء عليها كما لا تستقر في كرة اخرى مثل القمر .

فهناك آفات الموافقات بين الأرض وانسانها سخرت بها الأرض له ،

وكل ما هنا منه ان يسعى كيف يستفيد منها !

وسخر « الفلك » حال انها « تجري في البحر بامره » حيث الماء المنتظم ، والرياح المحتدم ، هما بامر الله ، كما الفلك بموادها وشكلياتها مصنوعة بامر الله ، فصانعها بما يعقل ويعلم هو من امر الله ، فلا حول ولا قوة الا بالله ، فالفلك مسخرة لنا بامره مهما كانت لنا محاولات في امرها ، حيث النصيب الاوفر في امرها هو امره تعالى ، بل الكل في امره لحد الاختيار دون الاجبار .

وليست الفلك هي - فقط - السفن الشراعية التي تجري بالارياح والشراعات بل هي كل جار في البحر ، سواء اكانت تلك السابقة ، ام كل لاحقة تجري بقوات بترولية وكهربية اما هي من طاقات مرئية وغير مرئية هي مما سخرها لنا ربنا .

« ويمسك السماء » بانجمها « ان تقع على الأرض » فانها بانجمها محيطة بالأرض مرفوعة عنها دون عمد ترونها : « الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها » (١٣ : ٢) اذا فثم عمد ولكن لا ترونها ، فـ « ويمسك السماء » بتلك العمد مما نعلمه اولا نعلمه ، وهما بما لا يرى ، فلو لم تكن هناك عمد لتساقطت السماء بانجمها على ما في مركزها ، والأرض من مراكزها حيث هي محاطة بها ، فهي ممسكة بإمساكه تعالى ، لا تقع على الأرض « الا باذنه » فقد يأذن ان تقع اجزاء سماوية على الأرض كالأحجار السماوية التي تصيبها احياناً كعذابات مؤقتة يسيرة ، ثم يأذنها كلها ان تقع كما يأذن الأرض ، ان تقع عليها وتتساقط كل على كل حين ينفرط عقد الكون كله : « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار » .

إذا ففوقنا بليارات الانجم بشهبها وأحجارها وسائر ما فيها ، هي كلها

تهددنا بالسقوط لولا رأفته تعالى بنا ورحمته « ان الله بالناس لرؤوف رحيم » .

فيا ويله لولا رافة الله ورحمته بنا ، وهالك بليارات من السواقط السماوية تهدفنا ، من نيازك نارية تهدف الشياطين ، ومن احجار تهدف ارضنا ، ولكن الله لا يأذن لها ان تقع على الأرض ، إلا باذنه يوم الطامة الكبرى ، ام طرف ضئيل من ذوق العذاب قبلها ! .

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴾ ٦٦ .

« وهو الذي احياكم » في هذه الدنيا « ثم يميتكم » عنها فتظلون احياء بالحياة البرزخية « ثم يحييكم » للحياة الاخرى بعد النفخة الاولى المميتة عن الحياة البرزخية : « ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض الا من شاء الله » وكل من هذه وما سخر لنا مما في الأرض ، والفلك تجري وعمسك السماء ، كلها نعم تتطلب الشكر ، و « ان الانسان لكفور » علمياً حين يتجاهل هذه النعم ، وعقيدياً حين ينكرها ، وعملياً حين لا يصرفها في مرضات الله تعالى .

﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ٦٧ .

المنسك كما اسلفناه هو منسك الحج ومنه الذبح^(١) ام هو كل عبادة

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٦٩ - اخرج احمد والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الايمان عن علي بن الحسين عليهما السلام : لكل امة جعلنا منسكا هم ناكسوه قال : ذبحاً هم ذابحوه حدثني ابو رافع ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان اذا ضحى اشترى كبشين سميين املحين اقرنين فاذا خطب وصلى ذبح احدهما ثم يقول : اللهم هذا عن امتي جميعاً من شهد لك بالتوحيد ولي بالبلاغ ثم اتى بالآخر فذبحه وقال : =

حين اطلاقه كما هنا و « كل امة » تستغرق الامم الخمس في الشرائع الخمس ، وكل الشرائع هي ناشئة من الأمر « شرع لكم من الدين . . » - « فلا ينازعنك في الأمر » حيث الامر كله لله « وآتيناهم بينات من الامر ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون » (٤٥ : ١٧ - ١٨) .

فبمجرد ان منسكاً - في هذه الشريعة أم أية شرعة بعد اخرى - يختلف عما قبلها ، لا يحق لأهل الشريعة السابقة ان يعترضوا على هذه اللاحقة رمية لها بالفرية اذ لا يجدونها في شرعتهم ، كما ليس لأهل اللاحقة ان يعتبروا سابقتها ناقصة غير لائقة ، فان الشرائع بمناسكها هي سلسلة متواصلة ، موصولة باصل الدين الطاعة ولا واضح لها الا الله ، فكيف يعترض متشرع على الله « فلا ينازعنك في الأمر » امر الدين - امر الرسالة - امر الشريعة او اي امر تحمله من الله صاحب الأمر « وادع الى ربك » بدل الاشتغال بمنازعتهم ف « انك لعلى هدى مستقيم » دون اي عوج ، فعليك يا حامل الرسالة الاخيرة بمواصلة الدعوة دون تلفت الى من ينازعونك ، ولا تفلت عنها « انك لعلى هدى مستقيم » .

﴿ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ٦٨ .

انهم - ايا كانوا - كتابيين او مشركين ، كانوا يتركزون ما يعملون ويقيسون عليه - كأصل - اعمال من سواهم ، فكانوا يجادلون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في منسكه اذ كان غير منسكهم ، فيؤمر الرسول - اذن - ان يحول امر الله الى الله : « فقل الله اعلم بما تعملون »

= اللهم هذا عن محمد وآل محمد ثم يطعمها المساكين وياكل هو واهله منها فمكتناستين .
قد كفانا الله الغرم والمؤنة ليس احد من بني هاشم يضحى .

من عمل ، جدالاً في الأمر وسواه من امر ، وما انا الا رسول فـ « ان اتبع
الا ما يوحى الي » .

ومما كان يجادل فيه المشركون قولهم اعتراضاً عليه « اما ما ذبح الله
بيمينه فلا تأكلون واما ما ذبحتم بايديكم فهو حلال »^(١) وهم ليسوا من
هذه الامم المجعول لهم منسك هم ناسكوه ! .

وكذلك سار الجدال معه بالنسبة لشرعته الخاصة الناسخة لما قبلها ،
من المشركين ومن اهل الكتاب وكأنه بدع من الرسل ، حيث المنسك مهما
يستعمل في الاضحية ، يعم مناسك الحج كلها ، ثم ومناسك الشريعة كلها
فتجواب الآية آية الشريعة : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ليلوكم
فيما آتاكم . . . » .

وقد تكون العبادة والمنسك كالظرف والمجرور اذا اجتمعا افترقا واذا
افترقا اجتمعا ، فأية المنسك السابقة تذكره ردف عبادات وقرن الذبح ، مما
يدل على معنى خاص ، وهنا « منسكاً » وهو لكل امة دون قرين ، قد
يشمل كافة الطقوس الشرعية .

« وان جادلوك فقل . . » وقل :

﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾^{٦٩} .

وهكذا يامر الله تعالى ألا يدع لهم فرصة لينازعوه او يجادلوه مضياً على

(١) البدر المنثور ٤ : ٣٦٩ - اخرج ابن المنذر عن مجاهد « فلا ينازعنك في الامر »
قول اهل الشرك . . . وفي نور الثقلين ٣ : ٥١٩ عن جامع الجوامع في الآية روى ان
بديل بن ورقاء وغيره من كفار خزاعة قالوا للمسلمين : ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا
تأكلون ما قتله الله ؟ يعنون الميتة .

نهجه دون التفات ولا انشغال بنزاع المنازعين ولا جدل المجادلين ، فانهم اغلقوا ابواب قلوبهم فهم عن الحق عمون فلا ترجع في جدالهم الى هدى لهم الا اصراراً على ضلالهم واستكباراً وفراراً .

ان الجدل قد تعني ارشاد المجادل وهم لا يرشدون ، ام استرشادك فـ «إنك لعل صراط مستقيم» ثم لا تعني - بعد - إلا ما يُعنى فليس عليك يا رسول الهدى ولا لك الانشغال بذلك الجدل ، بعد أنك على هدى مستقيم وعلى بينات من الأمر لا مزيد عليها فانها كالشمس في رابعة النهار .

ونهاية المطاف معهم تحويلهم الى الله : الله اعلم بما تعملون ، والله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ، وذلك من مرور الكرام باللغو : « واذا مروا باللغو مروا كراماً » .

﴿ اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اِنَّ ذٰلِكَ فِي كِتٰبٍ اِنْ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ ﴾ (٧٠)

« الم تعلم » يا رسول الهدى ! وهو يعلم فاستفهام تقرير ، او « الم تعلم » ايها المجادل مع الرسول . فاستفهام تنكير « ان الله يعلم » لا سواء ، ولا انا الرسول الا ما علمني - يعلم « ما في السماء والارض » وهما الكون كله ، فهو العالم بما نعمل وتعملون ، وهو الحاكم يوم القيامة بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون .

« ان ذلك » العلم المحيط « في كتاب » مكتوب ثابت في الذكر الحكيم لدى الله العزيز العليم ، « ان ذلك » العلم المكتوب « على الله يسير » مهما كان على من سواه عسير .

ام « ان ذلك » البعيد المدى من العلم المحيط « في كتاب » فـ « ان ذلك » القليل القليل مما تعملون ، علمه « على الله يسير » فما هو الا قطرة

من يَمُّ وذرة من طَمِّ .

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ ٧١ .

العبادة وسواها من الامور المشابهة لها بحاجة الى برهان قاطع لا مرد له ، من سلطان الوحي القاطع ام سلطان العلم اياً كان ، فطرياً او عقلياً او علمياً او حسياً .

« و » هؤلاء المجاهيل « يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً » يثبت السماح فيها « وما ليس لهم به من علم » اياً كان حيث العلم حجة وقمته سلطان الوحي ، فنحن نعلم فطرياً وعقلياً وعلمياً ان المعبود الحق هو الله لا سواه ، وقد نزل به سلطان الوحي تقويماً وتبييناً وتفصيلاً لما علمناه من سواه ، اذا فعبادة غير الله بحاجة الى علم وسلطان يسامي ذلك العلم والسلطان ، وهما قائمان على بطلانها انحصاراً في الله وانحصاراً عما سوى الله ان « لا اله الا الله » .

والباء في « به » لمجرد التعدية ، فان « ينزل » معدى الى مفعول واحد هو « سلطاناً » وذلك السلطان يعم الوحي ، والسلطة الربوبية لمن سواه ، فالمعبودون من دون الله يفقدون كل علم وسلطان تستصلحهم لان يعبدوا فعبادتهم - اذا - من دون الله ظلم ما اظلمه « ان الشرك لظلم عظيم » - « وما للظالمين من نصير » في آية نشأة من النشآت وأي مسرح من المسارح اذ لا يملكون على ما يفتعلون اي برهان عاذر .

﴿ وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشُرِّ مِنْ ذَلِكُمْ النَّارُ وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِشْرِ الْمُنْصِرِ ﴾ ٧٢ .

لا فحسب انهم يعبدون من دون الله دون اي برهان ، بل « واذا تتلى عليهم آياتنا » وهي سلطان الوحي حاملاً كل برهان وسلطان ، لما تمر بأسماعهم يظهر في وجوههم من النكرة لسماعها والاعراض عن تأملها ما يعرفه الناظر اليهم ، و « المنكر » هو الحالة المنكرة التي ينكرها الناظرون ، وإنكارهم بسطوة منكرة حيث « يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا » سطوة الإخافة وسطوة البطشة واذا استطاعوا فسطوة الإسكات والإماتة .

اجل ! انهم ليسوا بمن يناهضون الحجة بالحجة او يقرعون البرهان بالبرهان ، فهم يلجأون الى البطش والعنف حين تعوزهم الحجة ويخذلهم البرهان ، وتلك هي سنة الطغاة لا يملكون أمام حجج الله وبياناته الا هياج البطشات والغوغائيات والوان التهديدات .

انهم يزعمون آيات الله شراً يستنكرونه فتظهر على وجوههم حالة النكران لحد السطوة على المؤمنين ، فيناسبهم التهديد الشديد « قل أفأنبئكم بشر من ذلك » الذي تحسبونه شراً ، وبشر من خالتكم الشريرة هذه والمنكر الظاهر في وجوهكم من قلوبهم المقلوبة كأنكم محترقون بلهب الأفتدة؟ « النار وعدها الله الذين كفروا وبش المصير » .

فان كنتم تتقون الاستماع الى آيات الله البيئات هنا فهل انتم تتقون هذه النار الناجمة عن تقواكم الطغوى هناك ؟ وانها تسطوبكم اكثر مما كنتم تسطون ، وتحرقكم أشد مما كنتم تحرقون .

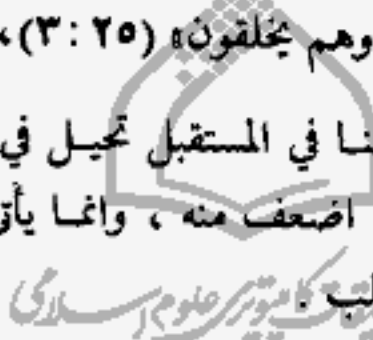
﴿ أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴾ ٧٣ .

المثل هو النموذج من الشيء يمثل به ويرزه أمام الممثل لهم ، وهذا أمثل مثل لتزييف « الذين تدعون من دون الله » ضعفاً في خلقهم لأضعف

الكائنات : « ذباباً » وأضعف منه أنهم لا يستطيعون استنقاذ سَلْبِهِم منه ،
ضعفاً في بُعديه ما أضعفه وهم يدعونهم من دون الله القادر المتعال !

و « الذين تدعون من دون الله » دون « التي » مما تدل على شمولها لكل
معبود دون الله ، ملائكة وأنبياء ، أم طواغيت واصناماً ، وما خلق المسيح
طيراً بأذن الله خلقاً له حتى تنتقض به تلك الضابطة المستغرقة للمعبودين
من دون الله ككل و « هل من خالق غير الله » ؟ !

« أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون » (١٩١: ٧) « والذين يدعون
من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون » (٢٠: ١٦) « واتخذوا من دون
الله آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون » (٣: ٢٥) ،

و « لن » المحيلة هنا في المستقبل تحيل في مثلث الزمان خلق كائن ذي
حياة مهما كان ذباباً أم أضعف منه ، وإنما يأتي الذباب مثلاً لأنه معروف
لدى الكل بسَلْبِهِ ما يستلب  ما يستلب

« ولو اجتمعوا له » إحالة لاجتماعهم على إحالة خلقهم للذباب « لو
اجتمعوا له » فلو اجتمعت كافة القدرات الخلقية على خلق ذباب أو
بعوضة فما فوقها في الصغر لن يخلقوه : « ان الله لا يستحي ان يضرب
مثلاً ما بعوضة فما فوقها .. » (٢: ٢٦) .

لا فحسب بل ولا يستطيعون خلق ذباب او بعوضة اما هيه بلا روح
لو خلقت فيها الروح لطارت او تحركت .. بل ولا خلق حبة من حنطة في
كل المعامل الكيماوية إن أدخلت في تراب صالح نمت ! .

إن خلق الحياة وما دونها ، ذلك مما يختص بخالق الحياة وما دونها ، لا
يعدوه الى سواء مهما كان مسيحاً أم سواء ، وخلق البعوضة والذباب
مستحيل كخلق الجمل والفيل والانسان حيث يشترك الكل في سر

الحياة ، وهنا اختيار الذباب كما هناك البعوضة مثلاً لتلك الإستحالة يلقي ظل اضعف الضعف ضعف ما يلقيه غيره من مثل .

والواجهة الثانية منه « وان يسلبهم . . » سلباً لمتاع او لصحة وعافية ، ام لعيون وجوارح ، ام للحياة ، حيث الذباب على ضعفه يحمل اخطر الأمراض اذ يحمل ميكروب السل والتيفود والدستاريا والرمم .

ومن الطريف فيما يروى من شأن نزولها سلب الذباب من المسك والعنبر حيث لطخوا بهما الاصنام حول البيت الحرام فم يبق من ذلك شيئاً الا اكله^(١) .

عجباً من هؤلاء الالهة غير الله انهم على عجزهم ان يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، هم اضعف من الذباب حيث « ان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه » وان كانوا احياء فضلاً عن اصنامهم الأموات ، فقد « ضعف الطالب والمطلوب » طالباً لعبادتهم ومطلوباً ، وطالباً استنقاذ سلبهم ومطلوباً هو المستلب ، والي اين يصل هذا الانسان الظلوم الكفار ، اذ يترك خالقه ويعبد مخلوقاً مثله نفسه ام ارذل وادنى ! و :

﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ٧٤ .

(١٢٥) نور الثقلين ٣ : ٥١٩ في الكافي بسند متصل عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : كانت قریش يلطخ الاصنام التي كانت حول الكعبة بالمسك والعنبر وكان ينفث قبال الباب ويعفوق عن يمين الكعبة وكان نسر عن يسارها وكانوا اذا دخلوا خروا سجداً ليغوث ولا ينحنون ثم يستدبرون بحيالهم الى يعوق ثم يستدبرون عن يسارهم بحيالهم الى نسر ثم يلبون فيقولون : لييك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك قال : فبعث الله ذباباً اخضر له اربعة اجنحة فلم يبق من ذلك المسك والعنبر شيئاً الا اكله وأنزل الله هذه الآية .

فمن انحس الباطل وابطله تسوية الخلق برب العالمين ، بل وهم يقدمونهم عليه فيما يعبدون : « وما قدرُوا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة » (٣٩ : ٦٧) « وما قدرُوا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء » (٦ : ٩١) .

فحق قدره في الوهيته، هو توحيده لمكان قوته وعزته وضعف من دونه وذلكه ، وحق قدره في عدالته إقامة قيامته ، وحق قدره في فضله ورحمته أن يوحى الى بشر من خلقه ، اذا فنكران توحيده وقيامته ووحيه ثالث من الكفر به ونكران لحق قدره ومنزلته في هذه الجهات الثلاث من ربوبيته، فقد نزلوه عن قدر الربوبية ومنزلتها توحيداً وعدلاً ورحمةً، وهكذا يكون كل من لا يُقدّر الله حق قدره قالاً او حالاً او فعلاً ، مهما كان عدم قدره حق قدره دركات ، كما ان قدره حق قدره درجات .

فما أنحسه من يسوى بينه وبين خلقه ثم رجحهم عليه حيث يعبدهم دونه ، ودونه من يخاف عباده كما يخافه ثم لا يخاف إلا عبده ، ثم ومن دونه من دونه، ورأس الزاوية هو الذي يشرك به جاهراً ، ومن ثم الرثاء وهو شرك خفي داخل في نطاق الآية بصورة هامشية ، وكذلك كل قولة او فعلة او حالة تنافي منزلة الربوبية ، جهلاً او تجاهلاً ، قاصراً ام مقصراً .

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ٧٥ .

« الحمد لله فاطر السماوات والارض جاعل الملائكة رسلاً .. » (٣٥ : ١) .

آيتان تحملان رسالة للملائكة ، أولاهما وكثير مثلها تحمل رسالة من الناس، ولكن ملائكة الفاطر مطلقة في جعلها رسلاً كأنهم هم كلهم دونما استثناء ، وملائكة الحجج « يصطفي من » تبعيضاً لمكان الفعل والجار ،

تتجاوبان باختصاص آية الفاطر بخاصة آية الحج « جاعل الملائكة رسلاً » دون فوضى ، بل كما في الحج اصطفاً منهم كما من الناس ، ام يعني اصطفاً الحج رسالة الوحي الى رسل الناس ، و « جاعل » الفاطر يعني مطلق الرسالة حيث تعم أمور التكوين والتشريع ، اذاً فين رسالة الملائكة والناس عموم مطلق ، فمن رسول ملائكي من لا يحمل وحي الشرعة ومنهم من يحمله ، ورسل الناس انما يحملون وحي الشرعة مهما كانوا يحملون آيات تكوينية حجة على رسالاتهم باذن الله .

والتجاوب مع ذلك الإصطفاء الرباني سرّاً واعلاناً ، ذلك من قدر الله حق قدره في ربوبيته ، حيث الرسالة كونية وشرعية هي من قضايا رحمته تعالى وعلمه وقدرته وقوته وعزته « ان الله سميع » ما تسألون من حاجة بلسان قال او حال ، وما تقولون من نكران للرسالة « بصير » بحاجاتكم ومصلحياتكم ، فلولا علمه سمعاً وبصراً بؤلكم لما ارسل ، ولولا قدرته ورحمته على علمه لما ارسل ، ولكنه لقوي عزيز سميع بصير ، مما يفرض الرسالة المصطفاة هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان « فبأي آلاء ربكما تكذبان » .

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ ٧٦ .

« ما بين ايديهم » هو ما يستقبلونه من تصرفات وحالات ومقالات صالحة لرسالة السماء ، « وما خلفهم » هو ما يستدبرونه من ماضيهم المشرق المشرف ، ظرفاً صالحاً « ما بين ايديهم وما خلفهم » لذلك الإصطفاء الرسالي ، فليسوا - اذاً - ليتخلفوا عن صالح الرسالة وامانتها ، وذلك قضية علمه المحيط وحكمته المحلقة على كل ما دق وجل ، جل جلاله وعظم شأنه .

اجل « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً الا من ارتضى من رسول

فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ، ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم « (٧٢ : ٢٨) » وما ننزل إلا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما كان ربك نسياً « (١٩ : ٦٤) .

فلا احد من رسل الله ملائكية ام بشرية يتخلف عن امر الله ، فانهم كلهم بعين الله ورعايته ، عالماً باحوالهم في مثلث الزمان ، وان مزعمة الخطأ في رسل الله هي بنفسها تخطئة لله في رسالته ، ومزرئة في علمه او قدرته وحكمته « والى الله ترجع الامور » في كافة النشآت ، فليس لأحد سواه استقلال بجنبه ولا استغلال لربوبيته ، سبحانه وتعالى عما يشركون .

ولان الرسالة الالهية هي من اهم الامور الربوبية ، فهو - لا سواه - المرجع له ، يصطفي لها من يشاء من عباده ، من الملائكة ومن الناس ، فانه رب الناس وملك الناس وآله الناس ، فلا بد وانه ينجيهم برسالاته وسائر تأييداته عن الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ، اللهم إلا الشياطين الذين هم يحاربون الناس وآله الناس .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ٧٧ .

أوامر اربعة توجه الى الذين آمنوا ، من خاص « اركعوا » وعام حين لا يقرن بركوع « واسجدوا » واعم من السجدة : « واعبدوا ربكم » ثم واعم من العبادة المصطلحة « وافعلوا الخير » حيث تتحول كل حالات المؤمن ومقالاته وفعالاته عبادة لله لو انه راقب كل ما دق وجل من تصرفاته لتكون بمرضات الله وتقرباً وزلفى الى الله .

اترى « اركعوا واسجدوا » هما ركوع الصلاة وسجودها ، والتعبير الخاص الحاصر عنهما هو الصلاة ، فانها ولا سيما « اسجدوا » اعم من الصلاة ،

حيث السجدة عبادة طليقة في صلاة وسواها ، بل والركوع حيث يذكر مفرداً « وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون » (١٧ : ٤٨) « وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخرّ راکعاً واناب » (٣٨ : ٢٤) .

هذا ، مهما تعنى منها الصلاة احياناً في ردف دون عطف ، « وظهر بقي للطائفين والقائمين والركع السجود » (٢٢ : ٢٦) « .. والعاكفين والركع السجود » (٢ : ١٢٥) ولائها اظهر مظاهرها واهم مواقعها .

إذا فالركوع كما السجود عبادة مطلقة في الصلاة وسواها ، اللهم إلا بقرينة تخصها بها ، مثل « واقموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين » (٢ : ٤٣) حيث المعية فيه دليل انه في الصلاة جماعة ، مهما قرن بالصلاة قبله ، فانها مطلق الصلاة ، وهذه هي في جماعة .

ولان ظاهر الامر هو الوجوب ما لم تحوّل قرينة قاطعة ، إذا فالركوع والسجود واجبان عند هذه التلاوة المباركة ، قراءة وسماعاً واستماعاً ، وكما تجب السجدة في الآية (١٨) « من نفس السورة وفي فصلت » واسجدوا لله الذي خلقهن « (٣٧) والنجم » فاسجدوا لله واعبدوا « (٦٢) والعلق » كلا لا تطعه واسجدوا واقرب « (١٩) والسجدة » انما يؤمن بآياتنا الذي اذا ذكروا بها خروا سجداً .. « (١٥) والنمل » ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض « (٢٧ : ٢٥) آيات سبع تتطلب السجدة واجبة ، مهما ترك مجتهدون كثير سجدتي الحج ، خلاف الظاهر من آيتها ، ونص المروي من روايتها عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) « فمن لم يسجدهما فلا يقرءهما »^(١) وكذلك آية النمل ، واختصوا الوجوب

(١) نقلناها بسندين عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وثالث عن علي (عليه السلام) في بداية الحج فراجع وفي جوامع الجامع عن عقبه بن عامر مثلها قال قلت =

بالباقية المعروفة بالعزائم الأربع .

وقد يحمل الامر في رواية بخصوص الأربع بحالة الصلاة ، وكما تؤيده اخرى^(١) ومهما يكن من شيء فالظاهر هو وجوب السجدة في هذه السبع مهما تأكدت في العزائم الأربع او اختص وجوب السجدة في الصلاة بها فلا تجب فيها للثلاث الأخرى ، تأمل .

وقد تلحق بهذه الثلاث آية الرعد والنحل « والله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً » : (١٥ - ٤٨) إلا ان الفرض في هذه التسع درجات حسب الدلالات ، والعزائم الأربع مجمع عليها ، والاحوط وجوباً الحاق آيات الحج والنمل بها ثم الأولى أكيداً آية الرعد والنحل .

والحكم في القراءة والسماع والاستماع على سواء ، واللاوسط

= يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في سورة الحج سجدتان قال : نعم ان لم تسجدنهما فلا تقرأهما *بمركز تحقيق كتاب تيسر علوم إسلامي* وأما ما في نور السائلين ٣ : ٥٢٠ عن الكافي بسند متصل عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث : وفرض على الوجه السجود له بالليل والنهار في مواقيت الصلاة فقال : يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم . . فقد يعني اهم مصاديق واجب السجدة ، لمكان اطلاق الآية متأيذاً بنص الرواية .

(١) ومثلها ما في البرهان ٣ : ١٠٤ - الشيخ بسند متصل عن سماعة قال سألته عن الركوع والسجود هل نزل في القرآن ؟ فقال : نعم قول الله عز وجل : يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا . . فقلت : فكيف حد الركوع والسجود ؟ فقال : أما يجزيك من الركوع والسجود ثلاث تسيحات تقول : سبحان الله سبحان الله ثلاثاً ومن كان يقوى على ان يقول في الركوع والسجود . فليطول ما استطاع يكون ذلك في تسيح الله وتحميده وتمجيده والدعاء والتضرع فان اقرب ما يكون العبد الى ربه وهو ساجد وأما الامام فاذا أم بالناس فلا ينبغي ان يطول بهم فان في الناس الضعيف ومن له الحاجة فان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اذا صلى بالناس خفف عنهم .

اوسطها ، والآخر ان أولها ، وتعاوض الروايات في السماع ايجاباً ونقياً
مردود الى القرآن الظاهر في شموله للسمع .

والفقه الطليق عن أسر الشهرة والاجتماعات ، حيث يتمحور القرآن
والسنة الموافقة للقرآن ، ذلك هو الفقه الحري بالتصديق والتطبيق والله
المستعان على ما يصفون .

« .. اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم » في ركوع وسجود وسواهما من
مظاهر العبادة ، وقد اختص بالذكر من بينها لاختصاصهما القمة في ذلك
المظهر ، ثم « وافعلوا الخير » وهو اعم من العبادة المرسومة تحليقاً لأفعال
المؤمنين على كل خير ، ولتصبح كلها عبادة لله وركوعاً وسجوداً لله « لعلكم
تفلحون » وتشقون امواج الفتن وافواج العراقل بسفن النجاة ، فان الخير
الصامد يذيب الشر ويذبله مهما زُمز وعربد ، فان للحق دولة وللباطل
جولة ، وقد يروى عن رسول الهدى (صلى الله عليه وآله وسلم) خير ما
في فعل الخير من قوله : « رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس
واصطناع الخير الى كل بر وفاجر »^(١) و « اصطنعوا الخير الى من هو اهل له وإلى
من هو ليس من اهل له فان لم تصب من هو اهل فانت اهل »^(٢) .

و « الخير » علاقة عامة مع عباد الله ، بغير الركوع والسجود والعبادة
لله ، فالؤمن هو الذي يصلح علاقاته مع عباد الله كما يصلحها مع الله .

(١) و (٢) نور الثقلين ٣: ٥٢١ في عيون الاخبار باسناده قال قال رسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم) وفيه عن ابي جعفر (عليه السلام) من هم بشيء من
الخير فليعجله فان كل شيء فيه تاخير فان للشيطان فيه نظرة ، وعن ابي عبد الله (عليه
السلام) جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا .

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِثْلَ أُمِّيَّتِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾^{٧٨} .

ترى من هم المراجع للضمائر الجامعة الاحدى عشر ؟ أهم كل « الذين آمنوا » المأمورون في سابقة الآية ؟ وليس حق الجهاد إلا لأحق المجاهدين ! ولا يشمل الإجتباء كل المؤمنين ! ولا أنهم كلهم من ولد ابراهيم ! وما هم مسلمين ككل مسلمين من قبل مهسما سُمُوا في هذا مسلمين ! ولا أنهم شهداء على الناس ككل بمن فيهم من غير العدول ! .

وصل هذه الخمس تكفي دليلاً باهراً ان المخاطبين في هذه الاحدى عشر هم جماعة خصوص من المؤمنين ، تناسبهم هذه المواصفات وكما في آية البقرة : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » . (١٤٣) .

١ « وجاهدوا في الله حق جهاده » الجهاد هو بذل المجهود واستفراغ الوسع في دفع العدو، وهو في الله عبارة عن دفع ما سوى الله الذي يمانع عن سبيل الله ويصد عنها ، وهو كل شيطان مريد ، انفسى كالفنفس الامارة بالسوء والهوى وآفاقي ككل شياطين الجن والانس فهكذا « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » (٢٩ : ٦٩) وذلك هو تقوى الله حقاً : « واتقوا الله حق تقاته » (٣ : ١٢٤) الجهاد القِمة الطليقة والتقوى القِمة المطلقة .

وعلى حد المروي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) « المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله »^(١) وكما سماه الجهاد الأكبر حين سمي

(١) الدر المنثور ٤ : ٣٧١ - اخرج ابن مردويه عن فضالة بن عبيد قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

القتال في سبيل الله الجهاد الاصغر ، فلا يخص القتال وهي اصغر الجهاد ، مهما كان اظهر مظاهر جهاد النفس ان يبذل نفسه في الله فان رأس النبعة هنا هو جهاد النفس لحدّ يفتدي المجاهد بها في سبيل الله ^(١) .

وكما المجاهدون في الله درجات كذلك الجهاد في الله درجات اعلاها حق الجهاد ، وهي للمؤمنين القمة كالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة عليهم السلام ومن نحى منحاهم وحذى محذاهم .

^٢ « هو اجتباكم » والجباية هي الجمع فالإجتباء هو الجمع على طريق الإصطفاء ، وهو هنا جمع الطاقات اصطفاً في الله ، دون تبعثر فيها ولا تفرق ، فهو - اذاً - تجنيد كل الطاقات في الله ، دون ان يكون لغير الله منها نصيب ، وتلك هي العصمة أمّا يقاربها ، كما ولم يأت في القرآن فيما اتي لغير المعصومين ^(٢) وكيف يعم الإجتباء كل الأمة وقليل منهم عدول

(١) نور الثقلين: ٣ : ٥٢٣ عن الفضيل بن عياض عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال سألته عن الجهاد اسنة هو ام فريضة قال : الجهاد على اربعة اوجه ، فجهادان فرض وجهاد سنة لا يقام الا مع فرض وجهاد سنة فاما احد الفرضين فمجاهدة الرجل نفسه عن معاصي الله وهو من اعظم الجهاد ومجاهدة الذين يلونكم من الكفار فرض واما الجهاد الذي هو سنة لا يقام الا مع فرض فان مجاهدة العدو فرض على جميع الامة ولو تركوا الجهاد لأتاهم العذاب وهذا هو من عذاب الامة وهو سنة على الامام ان يأتي العدو مع الامة فيجاهدهم واما الجهاد الذي هو سنة فكل سنة اقامها الرجل وجاهد في اقامتها وبلوغها واحياءها فالقمل والسعي فيها من افضل الاعمال لانه احياء سنة قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من غير ان ينقص من أجورهم شيء .

(٢) « شاكرأ لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم » (١٦ : ١٢١) « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » (٢٠ : ١٢٢) « فاجتباه ربه فجعله من الصالحين » (٦٨ : ٥٠) « ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء » (٣ : ١٧٩) « واجتبيناهم وهديناهم الى صراط =

فضلاً عن العصمة الخاصة بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة من آل الرسول (١) .

٣ « وما جعل عليكم في الدين من حرج » والخرج هو الذي ليس له مخرج من الحرجة الشجرة التي ليس لها مخرج فهو « اشد من الضيق » (٢) والعسر، وقد وصف الضيق بالخرج « يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد الى السماء » (٦ : ١٢٥) فليس - اذاً - مطلق الضيق ، والرواية المفسرة (٣) له بالضيق تؤول رداً على الآية .

« مستقيم » (٦ : ٨٧) « الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب » (٤٢ : ١٣) « وكذلك يجتبيك ربك » (١٢ : ٦) « ومن ذرية ابراهيم واسرائيل ومن هدينا واجتبتنا » (١٩ : ٥٨) .

فترى كل هؤلاء المجتبيين هم من المرسلين دونما استثناء ، افلا يكفي هذه شهود صدق على ان « اجتباكم » هنا لا تعم كل الامة .

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٢١ في اصول الكافي عن بريد العجلي قال قلت لأبي جعفر (عليه السلام) وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم « قال : ايانا عنى ونحن المجتبون . . . »

(٢) الدر المنثور ٤ : ٣٧١ - اخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر من طريق سعيد بن جبير ان ابن عباس سئل عن المخرج فقال : ادعولي رجلاً من هذيل فجاءه فقال ما المخرج فقال : المخرجة . . فقال ابن عباس هذا المخرج الذي ليس له مخرج ، وفي نور الثقلين ٣ : ٥٢١ في اصول الكافي عن الباقر (عليه السلام) في حديث حول الآية : فالخرج اشد من الضيق .

(٣) المصدر - اخرج ابن جرير وابن مردويه والحاكم وصححه عن عائشة انها سألت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن هذه الآية « وما جعل عليكم في الدين من حرج » قال : من ضيق وفي قرب الاسناد للحميري باسناده الى ابي عبد الله (عليه السلام) عن ابيه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : مما أعطى الله امي وفضلهم به على سائر الامم . . . « وما جعل عليكم في الدين من حرج » يقول : من ضيق

« وما جعل » يعم الجعل البدوي ، جعلاً لأحكام محرجة ، والاستمراري ، ان يتطلب تطبيق حكم غير محرج حرجاً في خاصة الظروف ، فكل حرج أما يستلزم الحرج سواء أكان حكماً أم سلباً لحكم ، كل ذلك منفي عن هذا الدين .

فلو ان زوجاً يؤذي زوجته ناشراً عما يتوجب عليه . فلا يقيم صلبها ، ولا يقوم بواجب الزوجية معها ، فيذرهما كالمعلقة لا ذات زوج ولا أيم ، ثم ولا يطلقها مضارة اياها ، نظراً اخذ مال منها أمّا ذا ، جاعلاً اياها في حياة محرجة ، فان بقيت هكذا كان حرجاً عليها ، فليس - اذاً - بقاءها كما هي مفروضاً عليها بحكم الشرعة ، فللحاكم الشرعي تطليقها دون اشتراط اذن من زوجها وهو على حالة المضارة دون تنازل عن احراج اياها .

فضابطة الأخرج محلقة على كافة الظروف ، نافية للحكم المحرج او العمل المحرج ، او الترك المحرج ، فلا إحراج في الدين اطلاقاً من ناحيته ، اللهم الا من أخرج نفسه فإنه ليس من الدين في شيء .

فالواجب المحرج ، والمحرم المحرج ، لا يبقى على وجوبه او حرمة ، فضلاً عما يحرج ولا يعرف حكمه كطلاق المحرّجة في زواجها ، فـ « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون » (٥ : ٦) .

فهذا الدين كله ، باحكامه العبادية والسياسية والاقتصادية والحقوقية أما هي ، ملحوظة فيه فطرة الانسان وطاقته ، قد لوحظ فيه تلبية الفطرة الطليقة والاتجاه الى البناء والاستعلاء فلا تبقى حبيسة كالبخار المحتبس ، ولا تنطلق انطلاق الحيوان الغشم .

لذلك ترى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة من آل الرسول يستندون في نفي الاحراج بهذه الآية ، ويرجعون الامة اليها

كضابطة عامة لا تستثنى^(١) .

وإذا كان العسر والضيق منفيين في شرعة الاسلام فبأحرى للخرج أن يُنفي ، و « في الدين » دون « الشرع » مما يلحق كتصريحه ان الخرج منفي عن كافة الشرائع من الدين ، فلا خرج في دين الله اطلاقاً ، في اية شرعة من الدين دونها استثناء ، مهما كان في بعض الشرائع عسر كشرعة التورات ، كما ويعم الدين أصله الى فرعه والاصل أخرى ، فلا خرج في اصول الدين كما في فروعه .

« ملة ابيكم ابراهيم » ألزموا ملة ابيكم ابراهيم ، والجهاد في الله حق جهاده ، وعدم جعل الخرج في الدين ، هما يعنيان « ملة ابيكم ابراهيم » .

أترى « كم » هنا تعم الامة الاسلامية ؟ وليس هو أباهم ، اللهم الا قليلاً منهم هم من ذرية ابراهيم واسماعيل ! وليست هذه الأبوة هي الروحية فانها تأويل دون دليل ، ثم وأحرى بهذا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يكون اباً للامة الاسلامية روحياً كما هو أب لكافة المرسلين فد « النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم » (٣٣ : ٦) !

فإنما الأبوة هنا هي النسبية مضافةً إلى الروحية ، فد « كم » ليسوا هم

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٢٤ عن تهذيب الاحكام في صحيحة عبد الاعلى مولى آل سام قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) عثرت فانقطع ظفري فجعلت على اصبعي مرارة كيف اصنع بالوضوء ؟ قال : يعرف هذا واشباهه من كتاب الله عز وجل قال الله : « ما جعل عليكم في الدين من حرج » . امسح عليه ، وفيه عن الكافي في الصحيح عن ابن مسكان قال حدثني ميسر قال سألت ابا عبد الله (عليه السلام) عن الرجل الجنب يتيمى إلى الماء القليل في الطريق ويريد ان يغتسل منه وليس معه اناء يغرف به ويداه قد ذرتان ؟ قال : يضع يده ثم يتوضأ ثم يغتسل هذا مما قال الله عز وجل « ما جعل عليكم في الدين من حرج » .

إلا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة من آل الرسول عليهم السلام^(١) دون الامة ككل ، ولا ذرية ابراهيم المسلمين ككل إذ لا يصدق عليهم حق الجهاد ولا الاجتباء مهما شملتهم الابوة الابراهيمية نَسَباً ، فهي الابوة الروحية الى جانب النسبة وكما في دعاءه (عليه السلام) لهم « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك » .

* « هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا » وترى من « هو » أهو ابراهيم اذ سماهم مسلمين في دعاءه من قبل عندما دعى : «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك » (١٣٨:٣) فكيف سماهم « في هذا » الدين ؟ فهل هي تسميتهم من قبل ؟ فـ « في هذا » زائد ، ام سماهم بعد القبل وليس هو معهم في هذا !

فحقاً إنه هو الله^(١) إذ سماهم المسلمين من قبل « في الكتب التي

(١) المصدر في كتاب كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى سليم بن قيس الهلالي عن امير المؤمنين (عليه السلام) انه قال في جمع من المهاجرين والانصار بالمسجد ايام خلافة عثمان : انشدكم الله اتعلمون ان الله عز وجل انزل في سورة الحج « يا ايها الذين آمنوا . . وافعلوا الخير » الى آخر السورة فقام سلمان فقال يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من هؤلاء الذين انت عليهم شهيد وهم شهداء على الناس الذين اجتباهم الله ولم يجعل عليهم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم ؟ فقال : عني بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصة دون هذه الامة قال سلمان : بينهم لنا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : انا واخي واحد عشر من ولدي ، قالوا اللهم نعم وفيه عن بريد المعجلي قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) قال الله عز وجل : ملة ابيكم ابراهيم ؟ قال : ايانا عني خاصة .

اقول : وفي تفسير البرهان ٣ : ١٠٦ في رواية قيس « اسباطاً » بدل « رجلاً » وهو اليق تناسباً لدعاء ابراهيم ، ويدل « من ولدي » من ولد علي .

(٢) نور الثقلين : ٣ : ٥٢٢ الكافي عن بريد المعجلي قال قلت لأبي جعفر (عليه السلام) قوله تعالى هو سماكم المسلمين « الله عز وجل سمانا المسلمين من قبل في الكتب =

مضت»^(١) منذ صحف ابراهيم إلى تورات موسى وإلى الانجيل « وفي هذا » الدين المتين حيث السمة البارزة المتميزة في القرآن لخاصة المسلمين وعامتهم هي « المسلمين » .

ونموذجاً مما في كتابات السماء من هذه التسمية المباركة من التورات حسب الأصل العبراني : « وَلِشَمْعِيلِ شِمْعَتِيخَا هَيْئَهُ إِبْرَخِي أُوْتُو وَهِيْفَرِي أُوْتُو وَهِيْرَبِّي أُوْتُو ثَمُّثُ مَثُثُ شِنِيم عَاسَار نِسِيْثُم يُولُذ وَنَتِّيُو لِفُورِي غَادُلْ » (تكوين المخلوقات ١٧ : ٢٠) =

« ولإسماعيل سمعته (ابراهيم) ها انا اباركه كثيراً وأثميهِ كثيراً وأثمره كثيراً وأرفع مقامه كثيراً بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واثنى عشر إماماً يلدهم اسماعيل وأجعله أمة كبيرة»^(٢) .

وطالما التورات لا يذكر في هذا النص دعاء ابراهيم الا اشارة ، فالقرآن ينص عليه قائلاً : « وَرَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذَرَيْتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرْنَا مَنْسَكَنَا تَتْبَعْنَا اِنَّكَ اَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ اِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (٢ : ١٢٩) .

ومن الإنجيل ما في لوقا ٣ : ١٤ : « وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوين يسبحون الله ويقولون : الحمد لله في الأعالي وعلى الأرض

= التي مضت وفي هذه القرآن .

(١) المصدر في اصول الكافي عن بريد العجلي قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) « ملة ابيكم ابراهيم » قال : ايانا عنى خاصة « هو سماكم المسلمين من قبل » في الكتب التي مضت « وفي هذا » القرآن ...

(٢) راجع كتابنا رسول الاسلام في الكتب السماوية ٤٠ - ٤٣ .

إسلام ، وللناس « أحمد » ..

فالأصل المنقول عنه « إسلام » هو « إيريني » و « أحمد » = « أيودكيا » كلمتان يونانيتان ، وقد ترجموا « إيريني » بـ « سلامة - مسالمة - سلام » وهي في السريانية « شلم » وفي العبرانية « شالوم » ومن المعلوم ان لفظة « إسلام » تفيد معاني واسعة كالسلم والسلام والصلح والمسالمة والأمن والراحة ، فالإسلام الذي هتفت به الملائكة هو ذلك الإسلام حيث يضمن كل معاني السلم والسلام^(١) .

وقد يعني « هو » - ضمن المعنى منها - إبراهيم الخليل حيث سماهم المسلمون من قبل ، وليس ذلك إلا بوحى من الله وكما أوحى الى نبيين آخرين .

ترى ولماذا اجتباكم مجاهدين في الله حق جهاده دون حرج ، وسماكم المسلمين من قبل وفي هذا ؟ :

« ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس » -

« وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول الرسول عليكم شهيداً » (٢ : ١٤٣) فهؤلاء المسلمون الأكارم الخصوص المعصومون من ذرية إبراهيم وإسماعيل ، هم وسط بين الرسول وبين الناس ، وهم شهداء على الناس والرسول شهيد عليهم .

فما كل مسلم حتى العدول منهم شهيداً على الناس مهما كانوا كافرين ، حيث الشهادة هي على الأحوال والأقوال والأعمال ، وهي تتطلب حضوراً لتلقيها ، واستحضاراً لإلقاءها ، حضوراً دائباً عند ما دق وجل من

اعمال الناس ، ما كان الشهداء احياء وامواتاً ، وذلك خارج عن قاصر العلم والحضور لكل عالم من المسلمين وحاضر ، اللهم الا بإشهاد الله ، وليس ليشهد إلا رجالات السوحى والعصمة كما هو مسرود فى آيات الشهادة ومن أشملها « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » (٤ : ٤١) فهو إذاً شهيد الشهداء ، حيث الأمة الوسط شهداء على الناس كافة والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) شهيد عليهم تحليفاً على الشهداء والمشهود لهم وعليهم .

« ويوم نبعث من كل أمة شهيداً عليهم من انفسهم وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » (١٦ : ٨٩) .

ف « الناس »- فى تلكم الشهادة- هم كل الناس ، مسلمين وسواهم ، وهذه الأمة الوسط هم شهداء على كل الناس والرسول شهيد عليهم^(١) وقد تحلق شهادة الأمة الوسط : الأئمة الاثني عشر ، على شهداء كل أمة حيث

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٢١ عن الكافى بسند عن الباقر (عليه السلام) فى الآية ، فرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الشهيد علينا بما بلغنا عن الله تبارك وتعالى ونحن الشهداء على الناس يوم القيامة فمن صدق يوم القيامة صدقناه ومن كذب كذبناه وعن بريد العجلي مثله عن الصادق (عليه السلام) . وفيه عن المناقب فى خبر ان قوله تعالى : « هو سماكم المسلمين من قبل » فدعوة ابراهيم واسماعيل لآل محمد (عليهم السلام) فانه لمن لزم الحرم من قريش حتى جاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم اتبعه وآمن به واما قوله : ليكون الرسول عليكم شهيداً « النبي يكون على آل محمد عليهم السلام شهيداً ويكونون شهداء على الناس وفيه عبد الله بن الحسن عن زين العابدين (عليه السلام) فى قوله تعالى : لتكونوا شهداء على الناس قال : نحن هم وفيه عن كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى ابراهيم بن ابي محمود عن الرضا (عليه السلام) حديث طويل وفيه : نحن حجج الله فى خلقه ونحن شهداء الله واعلامه فى بريته .

هم داخلون هنا في نطاق الناس .

وهذه قضية ذلك الإجتباء القمة بالجهاد في الله القمة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة ، أن تختصر الشهادة المحلقة على الناس كلهم فيهم ، فأية الحج والبقرة حاكمتان على ساير آيات الشهادة .

وهؤلاء الشهداء هم افضل الشهداء على الاعمال من المرسلين والنبين والملائكة ، ومن الجوارح والأجواء ومن الأرض وما عليها ، فانها عساكر مجندة تتحمل شهادات ثم تلقىها يوم القيامة ، وكما هي مسرودة مشروحة في آيات انعكاسات الاعمال في سجلاتها الأربع .

أترى بعد أن المخاطبين بهذه الخطابات هم كل الامة الإسلامية بمن فيهم فسقة ومنافقون ، فحقى العدول منهم وعلماءهم الربانيون غير المعصومين لا تشملهم هذه الخطابات ، اللهم إلا هامشياً ، أم في بعضها « وكان زيد والله ممن خوطب بهذه الآية » كما يروى (١) .

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٢٢ في عيون الاخبار باستناده الى ابن ابي عبدون عن ابيه قال لما حمل زيد بن موسى بن جعفر الى المأمون وقد كان خرج بالبصرة واحرق دور ولد العباس وهب المأمون جرمه لأخيه علي بن موسى الرضا (عليه السلام) وقال له يا ابا الحسن لئن خرج اخوك وفعل ما فعل لقد خرج زيد بن علي (عليه السلام) فقتل ولولا مكانك مني لقتلته فليس ما اتاه بصغير فقال الرضا (عليه السلام) يا امير المؤمنين لا تقس اخي زيدا الى زيد بن علي (عليه السلام) فانه كان من علماء آل محمد ، غضب الله تعالى فجاهد اعداءه حتى قتل في سبيله ولقد حدثني ابي موسى بن جعفر (عليه السلام) انه سمع ابا جعفر بن محمد (عليه السلام) يقول : رحم الله عمي زيدا انه دعا الى الرضا من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولو ظفر لوفى بما دعا اليه ، ولقد استشارني في خروجه فقلت له : يا عمي ان رضيت ان تكون المصلوب بكناسة فشأنك فلما ولي قال جعفر بن محمد عليهما السلام ويل لمن سمع داعيته فلم يجبه ، فقال المأمون يا ابا الحسن إليس قد جاء فيمن ادعى الامامة بغير حقها =

٧» فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير»^{٧٨} .

تلك الأمانة الكبرى تتطلب علاقة دائبة بالله : « فاقيموا الصلاة » وصلة بعباد الله : « وآتوا الزكاة » واعتصاماً بالله على أية حال : « واعتصموا بالله » لكي يعصمكم عن الزلات في هذه السبيل الشائكة ، المليئة بالأشلاء والدماء والعرقلات « هو مولاكم » لا سواء « فنعم المولى ونعم النصير » .

ومن لطيف الامر في هذه الآية الاخيرة من السورة ، ان واجهات الخطابات فيها تعم المسلمين في ظاهر الحال ، وهي خاصة بالقيادة المعصومين عند التأمل والتعمل ، وذلك لكي يدرس المسلمون في مدارس العصمة والطهارة هذه الدروس القيمة القمة .

فالصلاة المقامة بشروطها الظاهرية والباطنية هي صلة الفرد الضعيف الفاني بمصدر القوة والزاد ، والزكاة هي صلة الجماعة المؤمنة بعضها ببعض والتأمين من الحاجة والفساد ، والاعتصام بالله هو العروة الوثقى التي لا انفصام لها بين المعبود والعباد .

وبهذه العُدات وما سبقتها تمثلك الامة المسلمة بقياداتها الصالحة - معصومة وعادلة - ان تقود البشرية جمعاء .

« ما جاء ؟ فقال الرضا (عليه السلام) ان زيد بن علي (عليه السلام) لم يدع ما ليس له بحق وانه كان اتقى الله تعالى من ذلك إنه قال : ادعوكم الى الرضا من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وانما جاء ما جاء فيمن يدعي ان الله تعالى نص عليه ثم يدعو الى غير دين الله ويضل عن سبيله بغير علم وكان زيد والله ممن خوطب بهذه الآية « وجاهدوا في الله حق جهاده وهو اجتياكم » .

(۳۳) سُوْرَةُ الْمُؤْمِنُوْنَ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ثَمَانِي عَشْرَةٌ وَمِائَتَانِ
مَرْكَزُ تَحْقِيقِ كِتَابِ پَوْتِرِ عِلْمِ اِسْلَامِ



مرکز تحقیقات کاپیویر علوم اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ① الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ
خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③
وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ
حَافِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ فَلَا تَنْهَاهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ
رَاعُونَ ⑧ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⑨
أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ⑪

سورة « المؤمنون » وكل سور القرآن هي للمؤمنين ، الا ان الجو
الشامل فيها هو جو الايمان ، صفات الايمان ، ودلائل الايمان في الآفاق
والأنفس ، وحقيقة الايمان وحده وتفرق الناس عنها ، وما للمؤمنين من
فضائل الاخلاق والاعمال ، ولمن سواهم من رذائل الاخلاق وسفاسفها .
فهي تبده بفلاح المؤمنين الحاملين شروطات الايمان في آيات عشر « من
اقامهن دخل الجنة »^(١) و « الذين يرثون الفردوس » توضيحة للعاشرة دون
ان تحمل مواصفة زائدة .

ثم عرضاً لخلق الانسان وخلق الطرائق السبع وإنزال نصيب الأرض
من ماء السماء ثم قصصاً من دعوات الرسل وعرقلات الناكرين منذ نوح
ورسل بعده الى موسى وهارون وعيسى بن مريم ، توحيداً لدعواتهم
وامهم ، والى خاتم النبيين ، بما يظمها ويتمها من دلائل التوحيد والوحي
والمعاد ، وكلها تحول حول صالح الايمان وطالح الايمان .

وفي بعض الروايات القيمة ان علياً (عليه السلام) قرء هذه الاحدى
عشر عند ولادته أمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢) وفي لطيمة انه

(١) الدر المنثور ٥ : ٢ - اخرج جماعة عن عمر بن الخطاب قال : كان اذا انزل على
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل فانزل
عليه يوماً فمكثنا ساعة فسرى عنه فاستقبل القبلة فرفع يديه فقال : اللهم زدنا ولا
تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعظنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا ثم
قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ : قد افلح المؤمنون حتى
ختم العشر واخرج آخرون عن يزيد بن بابنوس قال قلنا لعائشة كيف كان خلق رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قالت : كان خلقه القرآن ثم قالت : تقرأ سورة
المؤمنون فقرأ حتى بلغ العشر فقالت هكذا كان خلق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

(٢) بحار الانوار ٣٥ : ١٧ في رواية شعبة عن قتادة عن انس عن العباس بن عبد =

قرء حينذاك كافة الكتب السماوية ومنها القرآن من اولها الى آخرها^(١) .

= المطلب ورواية الحسن بن محبوب عن الصادق (عليه السلام) والحديث مختصر - انه انفتح البيت من ظهره ودخلت فاطمة فيه ثم عادت الفتحة والتصقت وبقيت فيه ثلاثة ايام فاكلت من ثمار الجنة فلما خرجت قال علي (عليه السلام) السلام عليك يا ابيه ورحمة الله وبركاته ثم تنحس وقال : بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون الآيات فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد افلحوا بك انت والله اميرهم تميزهم من علمك فيمتارون وانت والله دليلهم ويك والله يهتدون ووضع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لسانه في فيه فانفجرت اثنتا عشرة عينا قال فسمى ذلك اليوم يوم التروية فلما كان من غده وبصر علي برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وضحك في وجهه وجعل يشير اليه فاخذه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت فاطمة : عرفه فسمى ذلك اليوم عرفة فلما كان اليوم الثالث وكان يوم العاشر من ذي الحجة اذن ابو طالب في الناس اذاناً جامعاً وقال : هلموا الى وليمة ابني علي ونحر ثلاثمائة من الابل والالف رأس من البقر والغنم واتخذوا وليمة وقال هلموا طوفوا بالبيت سبعاً وادخلوا وسلموا على علي ولدي ففعل الناس ذلك وجرت به السنة ووضعت امه بين يدي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ففتح فاه بلسانه وحنكه واذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى فعرف الشهادتين وولد على الفطرة .

اقول وفي الحديث من الغرائب ما يعجز عنها التعبير ، وكأن يختلق الحديث نسي ان النبي بعد لم ينأ فكيف اذن واقام ، وابو طالب كان فقيراً ذا عيال فكيف قدم هذه الوليمة التي كانت تكفي اهل مكة اياماً عدة وسنة الطواف هي كانت منذ آدم الى ابراهيم والى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فكيف كانت منذ هذه الولادة ... ورواه مثله الشيخ الطوسي في اماليه .

(١) بحار الانوار ٣٥ : ١٩ ح ١٥ خمس ضه روي عن مجاهد عن ابي عمرو وابي سعيد الخدري قالوا كنا جلوساً عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اذ دخل سلمان الفارسي وابو ذر الغفاري والمقداد بن الاسود وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وابو الهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وابو الطفيل عامر بن واثلة فجثوا بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والحزن ظاهر في وجوههم فقالوا : فديناك بالآباء والامهات يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انا نسمع من قوم =

ذلك ! مع العلم ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه لم ينبأ

= في اخيك وابن عمك ما يحزننا وانا نستأذنك في الرد عليهم فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) وما عساهم يقولون في اخي وابن عمي علي بن ابي طالب ؟ فقالوا يقولون : اي فضل لعل في سبقه الى الاسلام ، وانما ادركه الاسلام طفلاً ونحو هذا القول ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) فهذا يحزنكم ؟ قلل : اي والله فقال : بالله اسألكم هل علمتم من الكتب السالفة ان ابراهيم هرب به ابوه من الملك الطاغى فوضعت به امه بين اثلال بشاطيء نهر يتدفق يقال له حزر ان من غروب الشمس الى اقبال الليل فلما وضعت واستقر على وجه الأرض قام من تحتها بمسح وجهه ورأسه ويكثر من شهادة ان لا اله الا الله ثم اخذ ثوباً واتشح به وامه تراه فذعرت منه ذعراً شديداً ثم هرول بين يديها ماداً عينيه الى السماء فكان منه ما قال الله عز وجل : وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض - ثم نقل قصة موسى وعيسى فقال - : وقد علمتم جميعاً ان الله عز وجل خلقني وعلياً من نور واحد - الى قوله - ولقد هبط حببي جبرئيل في وقت ولادة علي ويقول : هذا اوان ظهور نبوتك واعلان وحيك وكشف رسالتك اذ ايدتك باخيك ووزيرك وصنوك وخليفتك ومن شددت به ازرك واعلنت به ذكرك فقم اليه واستقبله بيدك اليمنى فانه من اصحاب اليمين وشيعته الغر المحجلون فقامت مبادراً فوجدت فاطمة بنت اسد ام علي وقد جاء لها المخاض وهي بين النساء والقوايل حولها فقال حببي جبرئيل يا محمد نسجف بينها وبينك سجفاً فاذا وضعت بعلي تتلقاه ففعلت ما امرت به ثم قال لي امدد يدك يا محمد فمددت يدي اليمنى نحو امه فاذا انا بعلي على يدي واضعاً يده اليمنى في اذنه اليمنى وهو يؤذن ويقيم بالخفية ويشهد بوحدانية الله عز وجل ويرسالاني ثم انثنى الي وقال : السلام عليك يا رسول الله ، ثم قال لي يا رسول الله أقرء ؟ قلت : إقرء ، فوالذي نفس محمد بيده لقد ابتداء بالصحف التي انزلها الله عز وجل على آدم فقام بها ابنه شيث فتلاها من اول حرف فيها الى آخر حرف فيها حتى لو حضر شيث لأقر انه احفظ له منه ثم تلا صحف نوح ثم صحف ابراهيم ثم قرأ توراة موسى حتى لو حضر موسى أقر له بانه احفظ لها منه ثم قرأ زبور داود حتى لو حضر داود لأقر بانه احفظ لها منه ثم قرأ انجيل عيسى حتى لو حضر عيسى لأقر بانه احفظ لها منه ثم قرء القرآن الذي انزله الله علي من اوله الى آخره فوجدته يحفظ كحفظي له الساعة من غير ان اسمع منه آية ثم خاطبني وخاطبته بما يخاطب الانبياء =

سورة المؤمنون / آية ١ - ١١ ١٩٩

بعد ولما ينزل عليه القرآن ، الا بعد اثنتي عشر سنة، فما كان يعلم من القرآن شيئاً : « ما كنت تعلمها انت ولا قومك » (١١ : ٤٩) « وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذا لارتاب المبطلون » (٢٩ : ٤٨) « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان » (٤٢ : ٥٢) !

فهل نزلت على علي (عليه السلام) هذه الآيات ، أم القرآن كله بسائر كتابات السماء ، قبل ان ينزل القرآن على رسول القرآن ، فأصبح - اذا - رسولاً قبل الرسول ، ام علمها دون وحي حياًداً عن رسالته ، ولم يكن الرسول يعلمها دون وحي ، إذاً فهو اعلم من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) !

ومما لا ريب فيه أن علياً علم ما علم بتعليم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فكيف علم ما قرأه قبل تعليمه بوحي أم دون وحي ! إذاً فهذه الروايات اليتيمات لطيمات من اسرائيليات وكنسيات ووثنيات ، والهدف من اختلاقها القضاء على سيادة القرآن وكرامته ، والجهلة البسطاء من الشيعة المتطرفين يتقبلونها زعماً انها ترفع من كرامة الإمام ، غفلة او تغافلاً عن انها من واجهة اخرى تمس من كرامة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

لا نقول ان الصبا تمنع عن نزول الوحي فان يحيى « وآتيناه الحكم صبياً » والمسيح قال في مهده : « اني عبد الله . . » فليس من المستحيل ذاتياً ان يقرء الامام علي حين ولادته هذه الآيات ام القرآن كله ، ام كتب السماء كلها .

= والاوصياء ثم عاد الى حال طفوليته ، وهكذا احد عشر اماماً من نسله فلم تحزنون وماذا عليكم من قول اهل الشك والشك بالله . . .

ولكنه من المستحيل ان يوحى وحي الرسالة الى من ليس برسول ،
وقبل ان يوحى الى الرسول !
والنظر الصائب المجرد ، المتحلل عن العصبية العمياء الجهلاء يُطمئن
الناظر اليها انها من المختلقات الزور ، وساحة الرسول (صلى الله عليه وآله
وسلم) واهل بيته الطاهرين براء من هذه التقولات التي تمس من كرامة
الرسالة والشرعة القرآنية .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(١)

الفلاح هو الشق ، والفلاح : الأكار الذي يشق الأرض للزراعة ،
والفلاح الظفر وإدراك بغية دنيوية او أخروية او الطليقة الشاملة لهما ، والآخرة
خير وأبقى .

فالإفلاح هو بالغ الفلاح وحولاً فيه^(١) تشقيقاً لأرض الحياة ،
وسحقاً لكافة الشهوات والحيونات ، وإزالة لكل العرقلات ، فوصولاً الى بغية
الإيمان في الدارين وكما وعد الله « إِنَّا لَنَنصِرَ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ » (٤٠ : ٥١) .

ثم « المؤمنون » هنا وفي سواها لا يخص الذكور ، بل هم كل من حمل
الإيمان ذكراناً واناثاً ، اللهم إلا في البعض من هذه المواصفات التالية التي
لا تناسب الأنثى كـ « ما ملكت أيمانهم » .

وترى « المؤمنون » هنا تشمل كل من آمن أياً كان، مهما حمل في قلبه
- فقط - صورة الإيمان ، دون ان يأتي بسيرته ؟ كلاً ! بل هم المؤمنون
الموصوفون بهذه الثمان عدد أبواب الفردوس :

(١) كأبشر دخل في البشارة ويقال افلحه صيره الى الفلاح .

﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾^١

فالصلاة فيها هي البداية بعد الايمان خشوعاً فيها ، وهي النهاية حفاظاً عليها ، وبينهما متوسطات ، وهكذا تكون الصلاة قاعدة الايمان وعموده ، ورائدة لسائر شروط الايمان .

وهنا عنصر الخشوع هو القلب لقلب الصلاة ، كما هو قلب لسائر العبادات والطاعات : « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين » (٢ : ٤٥) « ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين » (٢١ : ٩٠) « خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً » (٣ : ١٩٩) .

والخاشع في صلاته وهي قلب العبادات ، هو بطبيعة الحال خاشع لله في سائر الحالات ، فحياته اذا حياة الخشوع لله في كافة التصرفات ، فلا يخشع لما سواه ، ولا يترك الخشوع لله .

والخشوع هو ضراعة القلب كما الخضوع هو ضراعة القلب ، واذا ضرع القلب ضرع سائر جوانج الانسان وجوارحه فان « القلوب ائمة العقول والعقول ائمة الافكار والافكار ائمة الحواس والحواس ائمة الأعضاء » فخشوع امام الأئمة خشوع وخضوع لسائر الأئمة والمأمومين ، وقد رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رجلاً يعبد بلحيته في صلاته فقال : « اما انه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه »^(١) .

ثم وخشوع المؤمن هو خشوع الايمان تسوية فيه بين القلب والجسد

(١) الدر المنثور ٥ : ٣ وفي نور الثقلين ٣ : ٥٢٨ في المجمع روي ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رأى رجلاً . . وفيه عن الخصال عن امير المؤمنين (عليه السلام) ليخشع الرجل في صلاته فانه من خشع قلبه لله عز وجل خشعت جوارحه فلا يعبد بشيء .

دون نفاق ، فـ « ما زاد خشوع الجسد على ما في القلب فهو عندنا نفاق »^(١) . واما اذا زاد خشوع القلب على الجسد فما هو بنفاق مهما كانت التسوية اولى ، اللهم الا في مظان الرثاء او مرجح سواء هو قضية خشوع القلب .

فـ « اذا قام احدكم في الصلاة فليسكن اطرافه لا يتميل ثميل اليهود فان سكون الأطراف من تمام الصلاة »^(٢) والالتفات في الصلاة « هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد »^(٣) فـ « لا يلتفت احدكم في صلاته فان كان لا بد فاعلاً فقي غير ما افترض الله عليه »^(٤) .

فالـي من تلتفت في صلاتك وانت امام ربك وهو خير لك ممن تلتفت اليه وما يلفتك اليه ! اللهم إلا لفظة غير قاصدة فيما تضطر اليه .

ولان الخشوع هو في الاصل فعل القلب ، فله النصيب الأوفر بالنسبة

(١) المصدر في الكافي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ... وفي الدر المنثور ٥ : ٣ اخرج الحكيم الترمذي والبيهقي في شعب الايمان عن أبي بكر قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تعوذوا بالله من خشوع النفاق قالوا يا رسول الله وما خشوع النفاق قال خشوع البدن ونفاق القلب .

(٢) الدر المنثور ٥ : ٣ - اخرج الحكيم الترمذي من طريق القاسم بن محمد عن اسماء بنت أبي بكر عن أم رومان والدة عائشة ، قالت رأيت أبو بكر أتميل في صلاتي فزجرتني زجرة كدت انصرف من صلاتي قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : اذا قام ..

(٣) المصدر اخرج ابن أبي شيبة والبخاري وأبو داود والنسائي عن عائشة قالت سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الالتفات في الصلاة فقال : هو اختلاس ..

(٤) المصدر - اخرج ابن أبي شيبة عن أبي هريرة انه قال في مرضه اقعدوني اقعدوني فان عندي وديعة اودعنيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : لا يلتفت ..

للقالب ، والصلاة تنقسم حسب درجات الخشوع وكما يروى عن رسول الهدى (صلى الله عليه وآله وسلم)^(١) « انما الخشوع لمن تمكن وتواضع »^(٢) فالصلاة الخاشعة لله هي قطع كافة الصلوات عما سوى الله ، فيصبح المصلي موصول القلب وبكليته الى الله ، بإعظام المقام وجمع الإهتمام . عارفاً ذلّه أمام العز المطلق الذي لا يرام ، « وانها لكبيرة الا على الخاشعين . الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون » .

فخشوعك في صلاتك هو على قدر معرفتك بالله وعقلك عن الله^(٣) وحضورك بحضره ، فمن المصلين من هن غيب في صلاتهم فما صلاتهم هذه - إذا - بصلاة ، ولولا امر الله لكانت مزرئة ومسخطة ، وعليهم ان يستغفروا من هذه الصلاة الغائبة غير الخاشعة .

والمصلون هم الذين تستشعر قلوبهم رهبة الموقف بين يدي الله بلقاء الله ، فتسكن وتخشع لله ، فيسري خشوعهم الى الجوارح واللامح ، ويغشى ارواحهم جلال الله في حضرته ، ويتوارى عن مشاعرهم وحواسهم كل ما سوى الله ، فلا يشهدون الا الله ، ولا يتذوقون الا حظوة لقاء الله ، وعندئذ تتصل هذه الذرة التائهة بمصدرها ، وتجد الروح الحائرة طريقها ، ويعرف القلب المتقلب مثواه وماواه ، وتتضاءل كل القيم والأقدار الا قدر الله « وما قدروا الله حق قدره » ! والصلاة معراج المؤمن ، والمصلي يناجي ربه^(٤) فكيف تكون نجوى ومعراجاً الصلاة الفاضية عن الخشوع ، الخاوية عن الخشوع لله ؟ وافحش الفحشاء وانكر المنكر لمن لا تنهاه صلاته

(١) الدر المنثور ٥ : ٤ - اخرج احمد عن ابي اليسر ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : منكم من يصلي الصلاة كاملة ومنكم من يصلي النصف والثالث والرابع حتى بلغ العشر .

(٢) تفسير الفخر الرازي ٢٣ : ٧٧ قوله (عليه السلام) :

(٣) (٤) المصدر عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس للعبد من صلاته الا ما عقله

عن التفكك ، والتلقت الى من سوى الله .

فـ « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون » (٢٩: ٤٥) « واقم الصلاة لذكركي » (٢٠ : ١٤) و « من لم تنه صلته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعداً » (٢) .

فـ « كم من قائم حظه من قيامه التعب والنصب » (٣) .

فماذا تفيدك صلاتك في الفاظ وافعال خاوية والقلب لاه ، وليس هذه المظاهر إلا بيانات عما في القلب ، إذاعة صوتية وصورية عن خشوع القلب وبخوعه .

ولان الخشوع في الصلاة معدود في عداد مواصفات الايمان فتركه - اذاً - خلاف الايمان حيث الايمان المستكن في القلب يتطلب خشوع القلب في معراجة .

فهو واجب من واجبات الصلاة قدر الامكان ، والمتهاون عنه متهاون بالصلاة ، فمهما صحت صلاته قلبياً لم تكن لتصح قلبياً ، وأركان أركان الصلاة هي صلاة القلب ، البارز في صلاة القلب ، و « ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها » (٤) .

« وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ » ٣ .

إعراضاً عن لغوهم واللغو من غيرهم (٥) فإعراضاً شاملاً عن اللغو

(١) و (٢) و (٣) المصدر عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) .

(٤) تفسير الفخر الرازي ٢٣ : ٧٩ وروى ايضاً مسنداً قال عليه السلام : ..

(٥) نور الثقلين ٣ : ٥٢٩ عن المجمع روي عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال =

سورة المؤمنون / آية ١ - ١١ ٢٠٥

كله أياً كان ومن أيّ كان قاله أو فعالة أم حالة «واذا مروا باللغو مروا كراماً» (٢٥ : ٧٢) « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه » (٢٨ : ٥٥) .

واللغو - ككل - هو ما لا يعتد به ولا يعنى حيث يورد لا عن رؤية ولا فكرة فيجري مجرى اللغا وهو صوت العصافير حيث لا نفهم منه شيئاً وإن تفهم هي وتعني ما تعنيه ، ولكنه لا يخص الصوت ، بل يعم كل حركة وسكون في مثلث الأحوال والأقوال والأفعال ، منك ومن سواك ، فتعيش حياة تعني الحيوة الإنسانية الإيمانية ، دون الحيوانية اللاغية اللاهية مما لا يعنيه الايمان .

والإعراض هو حالة نفسانية ، فهو يعم الترك ، والمؤمن أياً كان يعترضه أحياناً اللمم وما فوقه فضلاً عن اللغو ، فلم يقل هنا « تاركون » كيلا يخرج هكذا مؤمنين عن « افلح المؤمنون » وانما « معرضون » مهما يعترضهم بطبيعة الحال لغو وما فوقه .

ومن حق الإيمان أن يتطلب الإعراض عن اللغو الذي يرفضه الإيمان ، ترفعاً لنفس المؤمن النفيسة عن خسيسة الأعمال وخسة الأحوال والأقوال، واعتلاء عن الإشتغال بما يمس من كرامته وشرافته ، وتعلقاً بجلال الأمور وعنائم المقاصد .

لست اعني ان المؤمن لا يتفرج ولا يمزح اذا كانا في سبيل التفريج عن التضايق ، والتخريج عن المضائق ، وانما اللغو هو ما لا يعنى لا في نفسه وفي لا غايته ، وأما ما يفيد تفرجاً عن كربته وتفرجاً عن كآبته ، مزاحاً أو لعباً اما اذا في هذه السبيل فهي سبيل الايمان وقضيته .

= - في الآية - ان يقول الرجل عليك بالباطل او يأتيك بما ليس فيك فتعرض عنه لله .

فالاستماع إلى القصص لغو^(١) كما الغناء واللهو - ككل - من ألقى اللغو^(٢) وكضابطة عامة « كل قول ليس فيه ذكر فهو لغو »^(٣) والذكر اعم من ذكر القول والحال والفعال : ألا يخلو المؤمن على اية حال عن ذكر الله ، اعراضاً عما يلهيه ويغفله عن الله ، سواء اكان لغو القول او لغو الفعل او لغو الاهتمام .

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾^٤ .

هنا « للزكاة فاعلون » وفي سواها من آيات الزكاة « يؤتون الزكاة » اتراهما على سواء ؟ كلا ! حيث العبارة الصحيحة والأخصر عنها « والمزكون » وليس القرآن مما يفدي المعنى رعاية اللفظ ، فلا تعني « للزكاة فاعلون » سجعاً ووزناً اللهم على ميزان خاص للمعنى .

وحقاً ان « للزكاة فاعلون » تحلق على كافة الإهتمامات في سبيل الزكاة ، من سعي ينتج مال الزكاة ثم إيتاءها ، ودعاية للآخرين سعيّاً ينتج الزكاة ودعاية لإيتاء الزكاة ، ودعوة لجبايتها بنفسه ومن سواه .

ثم « الزكاة » لا تنحصر في زكاة المال ، إنحصاراً عن زكاة الحال من عقل وعلم وأية طاقة بالإمكان إنفاقها في سبيل الله ، فالؤمن حركة دائبة لتحصيل الزائد عما يلزمه في حياته ، لكي يزكيه لمن ينقصه مالاً وحالاً ،

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٢٩ في اعتقادات الامامية للصدوق وشمل عليه السلام عن القصص ايجل الاستماع لهم ؟ فقال : لا .

(٢) المصدر في عيون الاخبار باسناده الى محمد بن أبي عباد وكان مشتهراً بالسماع وشرب النبيذ قال : سألت الرضا (عليه السلام) عن السماع ؟ فقال : لأهل الحجر رأي فيه وهو في حيز الباطل واللهو اما سمعت الله عز وجل يقول : وإذا مروا باللغو مروا كراماً ، وفي المجمع في رواية انه الغناء والملاهي .

(٣) المصدر في ارشاد المفيد كلام طويل لأمر المؤمنين (عليه السلام) : ...

عقلاً وفكراً وعلماً وقوة ، وكما في الحديث زكاة العلم تعليمه . . .

ذلك ، ومن الزكاة هنا تزكية النفس فقد تكون مصدراً تشملها وسائر الزكاة ، فهي - إذا - زكاة ذات بعدين نفسي وغيري والأخير يعم كل إنفاق حالي ومالي .

اجل انهم فاعلون للزكاتين ، تطهيراً للقلب من كل شح واستعلاء على حب الذات ، وانتصاراً على وساوس الشيطان ، ثم وتطهيراً للمال وسائر الحال انفاقاً لها في سبيل الله ، صيانة جماعية بعد الفردية عن التفكك والخلل الذي ينشئه العوز في ناحية ، والترف في أخرى .

والزكاة كما الصلاة هي مما شرعت منذ العهد المكي كما تدل على ذلك آيات منها^(١) مهما كانت الاكثرية الساحقة من آياتها مدنيات ، وعلى تلك القلة هي قضية جو الضيق في العهد المكي ، وهذه الثالثة قضية السعة في الجو المدني ، فليس - إذا - « فاعلون » لأن الزكاة ما كانت مشرعة بعد في مكة المكرمة .

بل و « فاعلون » في مكة تتبني مختلف الوان الزكاة في الطول التاريخي والعرض الجغرافي الاسلامي ، فحتى لو لم تكن مشرعة في مكة فلا بد من ذكرها فيها لانها بداية العهد من هذه الشرعة، وكما تشير بعض آياتها الى القتال ولم يؤذن فيه بعد حتى الهجرة الى المدينة المنورة .

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾

كل من الذكور والاناث يحفظ فرجه عن النظر واللمس وعمل الجنس أم إفراغ النطفة ، وكل ما يخص الفرج من المشتبهات الجنسية ، كل

(١) كالأية ٧: ١٥٦ - ٧٣: ٢٧ - ٣: ٢٧ - ٣٩: ٣٠ - ٤: ٣١ - ٧: ٤١ .

بالنسبة لجنسه وسواه ، فهذه ضابطة عامة ان الفرج محفوظ بعامة الحفظ
وخاصته في ذلك المربع وأضرابه من مرتقيات الجنس .

إذا فلا تحمل أية محاولة شهوانية جنسية بالفروج ، ذكرأنا مع ذكران
وأنحسه اللواط ، ام انثأ مع أناث وأنحسه المساحقة ، ام كل مع الآخر
على أية حال ، اللهم :

﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾^١ .

« أزواجهم » تعم الزوجين دائماً ومنقطعاً ، كما البيع يعم القاطع الدائم
والمشروط المؤقت ، اللهم الا بقريضة قاطعة كالأزواج في أحكام الميراث
والنفقات وأضرابها من اختصاصات النكاح الدائم .

وقولة القائل ان الزواج المنقطع ليس بزواج ، قولة قاحلة جاهلة ،
حيث الوطئ إما نكاح أو سفاح ولا ثالث بينهما ، فهل الزواج المنقطع سفاح
إذ ليس نكاحاً ، والضرورة القاطعة الإسلامية حاكمة أن النبي (صلى الله
عليه وآله وسلم) سمح في النكاح المنقطع ، مهما اختلف المسلمون في
نسخه واستمراره ، فهل انه سمح في السفاح ردحاً من زمن رسالته ثم
نسخ السفاح ، وهو محرم على أية حال وإنه كان فاحشة وساء سبيلاً ! .

هذا ولا ينافيه اشتراط العفاف في النكاح والزواج فان « أزواجهم » لا
تعني إلا الزواج الصحيح بشروطه المسرودة في الكتاب والسنة^(١) .

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٣١ في الكافي عن احمد بن محمد عن العباس بن موسى عن
اسحاق بن ابي سارة قال : سألت ابا عبد الله (عليه السلام) عنها يعني المتعة فقال لي
حلال فلا تتزوج الا عفيفة ان الله عز وجل يقول «والذين هم لفروجهم حافظون » فلا
تضع فرجك حيث لا تأمن على درهمك .

ولا حرمة الوقاع في حالات خاصة فانها مستثناة عن قاعدة الحل .

وعلى الجملة فكل آيات الزواج والنكاح باطلاقاتها او عموماتها تشمل القسمين القسمين ، الا بقريئة تخصها باحد الزوجين ، ولولا آية النساء « فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن فريضة » (٣٤) ولا سماح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنكاح المنقطع ، لكانت الآيات بعموماتها واطلاقاتها حجة السماح فيه ، والروايات المنقولة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في نسخه واستمراره متناقضة من جهات عدة ، فترد الى كتاب الله ، حيث يسمح له بخصوصه وعمومه ، ونهي عمر عنه مردود اليه لأنه خلاف الكتاب والسنة ، فتحريره بدعة كما ان تحليل السفاح بدعة .

ومن أسخف الهراء قوله القائل إنه سفاح سمح فيه لضرورة وقتية اقتضته ، فاذا كانت الضرورة تبيحه وهو سفاح ، فلماذا سمي في ذلك الوقت نكاحاً ، وقرر فيه ما قرر من شروطات النكاح ، ثم وتلك الضرورة دائبة على طول الخط للذين لا يجدون نكاحاً دائماً فلماذا التحريم اذا منذ الخلافة الثانية الى يوم القيامة، والضرورة فيه - احياناً - هي اقوى مما هي .

وكذلك القول بنسخ آيات السفاح بآية النساء والروايات ، وتلك الآيات لا تتحمل نسخاً ولا تخصيصاً على أية حال ، فانه فيها فاحشة وسبيل سوء، وان فاعله يلحق اثماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويُخلد فيه مهاناً .

اذاً ف « ازواجهم » تعم الزوجين دون ريب ، اللهم الا وطئاً في حالات خاصة ، ومع ما دونه في أخرى كالإحرام .

ومن حفظ الفرج - الا على ازواجهم او . . . - حفظه عن إفراغ نطفة دون جماع ، فلا يحمل الا في هذين الموردين . فإقرار نطفة غير الزوج في

رحم امرأة ، قريبة او غريبة ، لا سيما المحارم ، ذلك محظور بعموم الآية « والذين هم لفروجهم حافظون » حيث الاطلاق يعم مربع الاعمال المترتبة جنسياً من الفروج ، بل وأهمها الإستيلاد وكما في آية التحريم « حرمت عليكم امهاتكم . . . » .

والمورد الثاني ، وهو على هامش الأول « او ما ملكت أيمانهم » وهنا مربع من الصور لا يحل الا في بعضها :

فقد يملك رجل امرأة غير مزوجة ولا ممنوعة من ناحية أخرى ، او تملك امرأة رجلاً أياً كان ، او يملك رجل رجلاً او امرأة امرأة ، قد تشمل كلها « الا ما ملكت أيمانكم » في بادئ الأمر .

ولكنها المتجانسين ذكراً أو أنثى خارجان قطعاً ، حيث الأول لواط والثاني مساحقة وهما محرمان ضرورة بالكتاب والسنة ، وان طبيعة الحال اسلامياً هي الامور الجنسية بين المتخالفين في الجنس في المستثنى ، مهما شمل المستثنى منه غيرهما تحريماً ، ثم « هم » في الاصل لا يعني إلا الرجال وليس حقوق النساء بهم في « الذين آمنوا » إلا بقرينة ، وهنا القرينة ضدها .

وبنفس الحجة تخرج الصورة الثانية فلا يحل مملوك لمالكته ، وتبقى الصورة الاولى هي المستثناة من تلك الضابطة المحرمة ، اللهم إلا في حل نظره إليها ونظرها إليه كما فصلناها في آية النور: « أو ما ملكت أيمانهم » لولاها نصاً لما كان داخلاً في نطاق الإستثناء .

فما ملكت أيمان الرجال من النساء حل لهم كزوجة ، وما ملكت أيمانهم من الرجال هم حل لهم كمحرم من المحارم إلا الزوج ، على شروط مسرودة في محلها .

ثم الأصل المفهوم من « ما ملكت أيمانهم » بديل « ازواجهم » هن

النساء للرجال وكما في آياتها^(١) .

إلا « ما ملكت إيمانهم » كما في النور (٣١) والاحزاب (٥٥) فهم الرجال للنساء أو الأعم منهم .

فهنا « أو ما ملكت إيمانهم » بديل « أزواجهم » ليست لتعني إلا النساء المملوكات للرجال ، اللهم إلا المحرمات نسبياً أو سببياً أم في حالات خاصة كالحيض والنفاس والإحرام والصوم ، فالقصد من الاستثناء هو الخروج عن أصل الحرمة ولا ينافيه الموارد المستثناة كما في أزواجهم .

ولماذا « إلا على أزواجهم أو . . » دون « لأزواجهم »؟ عله اعتبار بالعلو في ذلك الحق للأزواج على زوجاتهم ، فانه ليس بمجرد حق مسموح ، بل هو حق مستعل ، مفروض عليهن التمكين في موارد الطلب حيث هي حل خارج عن مستثنيات التحريم .

فقد تحرم « أزواجهم » حالة الإحرام والصيام والحيض والنفاس ، وحين نكحت امرأة ولما تدخل عليها ثم تنكح ربيبتك منها فتحرم أمها دون طلاق ، وإن لم تصدق عليها زوجة بعد، فهي - إذن - خارجة عن نطاق الأزواج .

كما تحرم من « ما ملكت إيمانهم » المحرمات النسبية والسببية والرضاعية وأمتك وهي حامل من غيرك حتى تضع ، والمزوجة من غيرك حتى تسرح ، والتي لك فيها شريك ، والمحرمة والصائمة والحائض والنفساء .

(١) فإن خفتهم إلا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت إيمانكم ٤: ٣ والمحصنات من النساء إلا ما ملكت إيمانكم ٤: ٢٤ فمن ما ملكت إيمانكم من فتياتكم المؤمنات ٤: ٢٥ وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك ٣٣: ٥٠ ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك (٣٣: ٥٢) .

فكما في حل أصل الزواج وملك اليمن شروط ، كذلك في الحل بعد الزواج وملك اليمن شروط ، والآية انما هي في مقام البيان لأصل الضابطة تحريماً وتحليلاً، ان الحل في الفروج يختص بالازواج والمملوكات ولا ثالث لهما^(١) .

« فانهم غير ملومين » في هذين الحقلين ، مهما اختلفت الحالات والظروف معهن وجوباً واستحباً وإباحة وكراهة ، ثم هم ملومون في موارد الحرمة مثل ما في المستثنى منه .

وترى كيف يستبيح الاسلام ملك اليمن دون نكاح ، اليس في ذلك هتكا لحرمة الانسان مهما كان كافراً أن يستباح عرضه وبضعه بصورة طليقة خارجة عن شروط النكاح المشروع عند كل قوم ، مهما اختلفت صوره ؟ .

نقول : النكاح بحاجة الى سبب ، فقد يكون لفظة تقال مع رعاية الأحوال ، صيغة دائمة او مؤقتة، وأخرى معاطات كما في سائر المعاملات ، ونفس الإسترقاق بحرب وأشباهاها هو من اسباب النكاح قائماً مقام صيغة النكاح .

ثم وذلك الإستمتاع ، الملحوظ فيه تلبية الحاجة الفطرية للأسيرات أنفسهن ، يمنعهن عن التبعر ، كيلا يشبعنها من طريق الفوضى في المخالطة الجنسية .

وفيما إذا لا ترضى أمة تلبية الجنس مع مالکها قد لا تجبر على أسر

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٢١ عن جعفر بن محمد عن ابيه عن آبائه (عليهم السلام) قال قال امير المؤمنين (عليه السلام) نحل الفروج بثلاثة وجوه نكاح بميراث ونكاح بلا ميراث ونكاح بملك يمين .

الجنس هكذا، فتتزوج بمن تراه ويراه المالك صالحاً ، وعلى أية حال فهذه الإستباحة بشروطها سياج على تخلف الجنس وتحرير عن حبسه .

﴿ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ ٧ .

وذلك وراء الأزواج بالنسبة للشهوات الجنسية بأضلاعها الأربعة نظراً ولمساً ووقاعاً، واستيلاداً بإفراغ المني في الأرحام دون وقاع ، فان ذلك تجاوز عن الحق المرام وخروج عن حدود الله الملك العلام .

كما ووطئ البهائم أما ذامن غير الأزواج وماملكت إيمانهم داخل في « وراء ذلك » اللهم إلا نظراً ولمساً دون شهوة ، بل وهما عن شهوة خارجان عن المستثنى منه ، حيث الناظر الى فرج حيوان او اللامس له بغير فرجه نفسه لم يترك الحفاظ على فرجه ، فليدل على حرمتها عن شهوة دليل آخر .

فقد حصرت حرية الشهوة في هاتين بحدودها وإياهما ، فمن ابتغى وراءهما أية بغيه شهوانية فقد عدا الدائرة المباحة ووقع في المحذور واعتدى على الأعراض المحترمة المحرمة غير المستحلة بنكاح ولا جهاد ، وحينئذ تفسد النفس الراعية في غير مرعاها ، وتفسخ حرمة العائلة المشروعة المحددة ، وتفسد الجماعة المؤمنة .

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ ٨ .

والأمانات تعم أمانات الله تكويناً وتشريعاً ، وأمانات الخلق حالاً ومالاً وعرضاً أمّا هي ، وكذلك العهد الذي عاهد الله عليهم في فطرهم وعقولهم وشرعتهم او الذي عاهدوا له ، او المعاهدات بينهم انفسهم ، فالعهد كما الأمانة لزام المتعهد والمؤتمن ايأ كان ، اللهم الا أمانة أو عهد في غير مرضات الله ، كسارق يأتمنك على ما سرق، او متعهد يتعهد لك ان يقترب

إثماً ، فالأمانات والعهود الواجبة الرعاية محدودة بحدودها دون فوضى جزاف .

وهنا النص يحمل التعبير دون تفصيل عن كل امانة بـ « اماناتهم » وعن كل عهد بـ « بعهدهم » وعَلَّ الأفراد في « عهدهم » يتبنى عهد الفطرة الذي يتبناه كل عهد .

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾^١ .

الخشوع في الصلاة أمر ، والحفاظ عليها امر آخر بهما تكمل الصلاة ظاهراً وباطناً ، قلباً وقالباً ، فهنا صلاة باصلها ، وهناك خشوع فيها ، وهناك شروطها من « أوقاتها وحدودها »^(١) ومقدماتها ومقارناتها بقبلتها والطهارة عن حدث ، او خبث في الأبدان والألبسة ، وكل هذه ونظائرها داخلة في نطاق « على صلواتهم يحافظون » ، فـ « في » ناظرة الى نفس الصلاة ، و « على » تنظر الى ما يخلق على الصلاة من أوقات ومكانات ومقدمات ومقارنات .

هذا ولكن المحافظة في آية البقرة : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » (٢٣٨) وكذا الانعام (٩٢) والمعارج (٣٤) هي اعم مما هنا حيث لم تقرن بسابقتها « والذين هم في صلاتهم خاشعون »

ولماذا الأفراد للصلاة في « خاشعون » والجمع في « يحافظون » ؟ عَـلَّـه حيث الخشوع هو لزام جنس الصلاة ، والمحافظة هي على الجمع ، سواء جمع الشروط والأجزاء ، ام جمع الركعات او الصلوات عدداً لها ، ام جمع

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٣١ عن تفسير القمي في الآية قال : على اوقاتها وحدودها وعن الكافي عن ابي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : هي الفريضة و « الذين هم على صلواتهم دائمون » قال هي النافلة .

الاقوات ، فالمحافظة هي عن التبعثر والتفرق في الصلاة ، والخشوع هو قلبها على جمعها ، ثم و « في صلاتهم » هي حالة المصلي فيها و « على صلواتهم » اعم مما فيها وما قبلها وبعدها .

ولقد بدأت شروطات الايمان بخصوص الصلاة وختمت بالحفاظ عليها تدليلاً على عظيم مكانتها في بناء الإيمان ، والذي لا يحافظ على صلاته كصلة دائبة بربه لا ينتظر منه ان يحافظ على سائر صلاته ، وصلاته الصالحة تضمن صالح كل صلاته ، حياة ادبية منضبطة على آية حال .

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ ١٠ .

« هم الوارثون » شرعة الله حيث يحملونها تطبيقاً لها ودعوة ودعاية اليها بعد نبيها ، ائمة وعلماء ربانيين : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » (٣٥ : ٣٢) .

و « هم الوارثون » السلطة الزمنية إضافة إلى الروحية يوم الدولة الإسلامية العالمية : « ولقد كتبنا في الزبور أن الارض يرثها عبادي الصالحون » (٢١ : ١٠٥) .

و « هم الوارثون » بين هؤلاء وأولاء : « وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها » (٧ : ١٣٧) « ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني اسرائيل الكتاب » (٤٠ : ٥٣) .

وعلى آية حال « إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده » (٧ : ١٢٨) وطبعاً الاتقى منهم فالأتقى ولكي يحافظوا على وراثة الله .

ومهما كانت الوراثة الارضية غير تامة ولا طامة لهم اللهم إلا في الدولة الأخيرة ، لكنها خالصة لهم يوم القيامة ، فإنهم هم :

﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ١١ .

و « الفردوس » هي « اعلی الجنان »^(١) و « هي مقصورة الرحمن »^(٢) وهي « ربوة في الجنة واوسطها وافضلها »^(٣) هذه ! وفي أخرى اضيفت اليها الجنات مما يدل على اختصاصها من بينها : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً . خالدين فيها لا يبغون عنها حِوْلاً » (١٨ : ١٠٨) ويا لها من جنة « سورها نور والغرف التي فيها هي من نور رب العالمين »^(٤) وكما ان النار دركات اسفلها لمن يصلونها ايقاداً لها ، كذلك الجنة درجات اعلاها للمؤمنين القمة حسب الدرجات .

وتراهم عمن يرثون الفردوس ؟ عن الله ؟ وهو الوارث للسموات والأرض ولا يتحلل عن ملكه حتى يورث المؤمنين به ! أم عن سائر خلقه ؟ واهل الجنة منهم يدخلونها دون توريث ، واهل النار ليس لهم منها نصيب حتى يورثوه !
اهل الفردوس يرثونه عمن دونهم من المؤمنين اذ كان لهم منها نصيب

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٣ : ٨٢ روى ابو امامة عنه عليه السلام انه قال : سلوا الله الفردوس فانها اعلی الجنان وان اهل الفردوس يسمعون أطيظ العرش .
(٢) المصدر روى ابو موسى الاشعري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : الفردوس مقصورة الرحمن فيها الانهار والاشجار .

(٣) الدر المنثور ٥ : ٦ - اخرج عبد بن حميد عن انس ان الربيع بنت النضر اتت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان ابنها الحارث بن سراقه اصيب يوم بدر واصابه سهم غرب فقالت اخبرني عن حارثة فان كان اصاب الجنة احتسبت وصبرت وان كان لم يصب الجنة اجتهدت في الدعاء فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يا ام حارثة انها جنان في جنة وان ابنك اصاب الفردوس الأعلى والفردوس ربوة . .

(٤) نور الثقلين ٣ : ٥٣٢ في من لا يحضره الفقيه في خبر بلال عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يذكر فيه صفة الجنة قال الراوي فقلت لبلال : هل فيها غيرها ؟ قال : نعم جنة الفردوس ، قلت وكيف سورها ؟ قال : سورها نور قلت الغرف التي هي فيها ؟ قال : هي من نور رب العالمين .

إن كانوا كما هم ، ويرثونه عن اهل النار اذ كان لكل منها نصيب حرموا
انفسهم منه .

فكما وراثه الأرض للمؤمنين في الدولة الحقنة لم تكن الا احتلالهم في
السلطة عليها عنهم وهو حقهم بما عملوا، كذلك الجنة وأخرى : « ونودوا
ان تلکم الجنة اورثتموها بما کتتم تعملون » (٤٣ : ٧٢) وهذا لاهل الجنة
كلهم ، ولاهل الفردوس ميراثان ، عمن دونهم من المؤمنين ، وعن
الکافرين ، حيث قدر لكل نصيب لو عملوا كما عمل هؤلاء ، وكذلك
منازل النار « فيورث هؤلاء منازل هؤلاء ويورث هؤلاء منازل
هؤلاء »^(١)

هذا وكما يروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ما منکم
من احد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فاذا مات فدخل النار
ورث اهل الجنة منزله فذلك قوله : اولئك هم الوارثون »^(٢) .

مركز تحقیق کتب و تفسیر علوم اسلامی

(١) الدر المنثور ٥ : ٦ - اخرج سعید بن منصور وابن ماجه وابن جریر وابن المنذر
وابن ابی حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابی هريرة قال قال رسول الله (صلى
الله عليه وآله وسلم) : . . . اقول وقد مضى حديث حارثة انه اصاب الفردوس .

(٢) وفي نور الثقلين ٣ : ٥٢١ عن تفسير القمي حدثني ابی عن عثمان بن عيسى عن
سماعة عن ابی بصير عن ابی عبد الله (عليه السلام) قال : ما خلق الله خلقاً الا
جعل له في الجنة منزلاً وفي النار منزلاً فاذا اسكن اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى
مناد : يا اهل الجنة اشرفوا فيشرفون على اهل النار وترفع لهم منازلهم فيها ثم يقال
لهم : هذه منازلکم التي في النار لو عصيتم الله لدخلتموها ، قال : فلو ان احداً مات
فرحاً مات اهل الجنة في ذلك اليوم فرحاً لما صرف عنهم العذاب ثم ينادي مناد : يا
اهل النار ارفعوا رؤسکم فيرفعون رؤسهم فينظرون الى منازلهم في الجنة وما فيها من
النعم فيقال لهم هذه منازلکم التي لو اطعتم ربکم لدخلتموها قال : فلو ان احداً
مات حزناً مات اهل النار حزناً فيورث هؤلاء منازل هؤلاء ويورث هؤلاء منازل هؤلاء
وذلك قول الله : اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ

مِنْ طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ

خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا

الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا

ءَاخِرَ فَنَبَارِكُ اللَّهَ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٤ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ

ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ

غَافِلِينَ ۝١٧ وَأَتْرَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُقَدِّرُ فَأَسْكَنَتْهُ

فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ۝١٨

فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْتَبِ لَكُمْ فِيهَا

فَوَاكِهَ كَثِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝١٩ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ

سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ وَصَبِغٍ لَلْأَكْلِينَ ۝٢٠ وَإِنَّ لَكُمْ

فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِيُنْفِقْكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا

مَنْفَعٌ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٢١ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ

تُحْمَلُونَ ۝٢٢

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ ١٢ .

هذه واللتان بعدها هي اشمل الآيات واجمعها تفصيلاً لخلق الانسان تناسلياً .

اترى هذا « الانسان » يعم الانسان الاول وذريته ؟ وليس خلق الاول مرحلياً كذريته ! ام هو - فقط - ذريته ؟ فما هو دور الطين في مراحل الجنينية !

الانسان هو الانسان ككل ، وخلق من سلالة من طين يعم كل انسان ، ومفرق الطريق بينه وبين ذريته هو المرحلة الجنينية في نشوء وارتقاءه .

فالإنسان الاول مخلوق « من سلالة من طين » قفزة دون ان تخطو هذه المراحل ، ونسله مخلوق من سلالة من طين بهذه الخطى بعد البداية حيث المنى ينتهي الى طين .

ومهما اختلف طين الانسان الاول عن طين ذريته في التخلق كياناً فقد يشتركان في « سلالة من طين » وان كان هنالك اختلاف بين سلالة وسلالة .

واما آية السجدة « وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين »^(٨) فقد تعني ذلك البدء الخاص قفزة دون كل بدء ، فهناك بدء قريب يختص بالانسان الاول ، وهنا بدء بعيد يعم أنساله .

ف « سلالة من طين » بدء للأول هي الطين الخاص الخاص المنسل من سائر الطين ، المُقتَفِز الى خلق آدم (عليه السلام) دون مراحل ، حيث

السلالة هي النسلة المنفصلة خفية كصفوة مختارة

وقد انسل الانسان - ككل - من الطين واستخرج من صفوه وسره ،
من خلاصته وكلاسته ، حيث السلالة هي محض الشيء ومصاصه وصفوته
ولبابه .

والبشرية لم تعرف حتى الآن كيف يتسلل المني من الطين ، والنطفة
كيف تتسلل من المني ، اللهم الا إشرافاً على أشراف بعيدة من ذلك المنظر
المبين .

و « سلالة من طين » نسله ، هي الخلاصة السرية المنوية النسلة
المختارة عن صفوة المواد الطينية - أغذية واشربة - وكلها سلالات من طين ،
وهنا « سلالة من طين » تعني منياً يمني ، وهناك تعني طينة آدم النسلة عن
سائر الطين .

ف « لقد خلقنا الانسان الأول » من سلالة من طين « ثم هو الانسان
دون ان يخطو مراحل .

و « لقد خلقنا الانسان الذرية » من سلالة من طين « هو المني « ثم
جعلناه نطفة . . . » حيث النطفة مجعولة من المني ، فانها جزء من البحر
المنوي .

فالطين اذاً هو المصدر الاول المتكرر ذكره في الذكر الحكيم : « هو
الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلاً » (٦ : ٢) « انا خلقناهم من طين
لازب » (٣٧ : ١١) « وبدأ خلق الانسان من طين » (٣٢ : ٧) .

وقد يعبر عنه بالتراب وهو اصل الطين : « اكفرت بالذي خلقك من
تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً » (١٨ : ٣٧) « فانا خلقناكم من
تراب » (٢٢ : ٥) « والله خلقكم من تراب ثم من نطفة » (٣٥ : ١١)

« هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه » (٤٠ : ٦٧) .

ولان النطفة مخلوقة في المني كجزء منه ، فالمني مخلوق من طين سلاله عنه ، ولكن النطفة ليست مخلوقة ثانية مع المني ، وكل ما يحصل لها بعد المرحلة ثانية ان تجعل في قرار مكين من الرحم دون خلق لها ثان ، ولذلك .

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ ١٣ .

دون ثم خلقنا نطفة ، فانه مخلوق عند خلق المني السلاله عن الطين « الم يك نطفة من مني يمى » (٧٥ : ٣٧) « وانه خلق الزوجين الذكر والانثى . من نطفة اذا تمى » (٥٣ : ٦) فالنطفة تمى مع مني يمى ، اذا فليست مخلوقة منه ، بل هي كائنه فيه منذ يمى ، ثم يجعلها الله في قرار مكين .

وهكذا يقرر القرآن هذه الحقيقة الطينية للانسان ككل ليتخذها مجالاً للتدبر في صنع الله ، تاملأ في تلك النقلة البعيدة العجيبة بين الطين وذلك الانسان دون تفصيل الا انه على آية حال « سلاله من طين »

والنطفة هي نقطة منوية ، وهي خلية واحدة من ملايين الخلايا السابحات في البحر اللجي المنوي يجعلها الله « في قرار مكين » من الرحم ، محمية عن كافة الاختلاطات والاهتزازات والانصدامات وما يصيب الظهر والبطن من كدمات ورججات وتأثرات « في ظلمات ثلاث » .

وذلك « قرار مكين » مكاناً في هندسته وحرارته الخاصة ، ومكانة في حراسته وحفاظته ، فلا مكين أمكن منه وأمن واحسن تمكيناً وضيافة من ذلك المضيف المكين الامين الرزين الرصين « فتبارك الله احسن

الخالقين» (١) .

هذه النطفة التي لا تحسب بشيء في ظاهر الحساب ، الغريقة في ذلك البحر الملتطم ، انها تُجعل في قرار مكين «بما مكّنها الله ، وأمكن لها كل شروطات النمو والارتقاء ، فخالق كل شيء يجعل هذه اللاشيء في صيانة كاملة لكي يخلق منه انساناً خلق له كل شيء ، فيا لهذا الانسان النسيان من كفران بالآء الرحمن «فباي آلاء ربكما تكذبان» .

هذا الإنسان العظيم العظيم ، بكل اجزاءه الجسمية ، وبكل خصائصه الروحية ، كان مختصراً مختصراً في تلك النطفة النقطة الهندسية ، كانها لا وجود لها فلا تُبصر إلا بالمكبرات القوية ، سبحان الخلاق العظيم !

وفي التعبير عن مقر النطفة بـ «قرار» مصدراً ، إشارة الى دور الرحم بالنسبة لها ، كأنه لا شأن له إلا إيوائها ، فهو إذاً قرار لا شأن له إلا ذلك الإقرار .

ثم «مكين» تأكيد ثانية لاستقرارها في ذلك القرار ، ذي مكنة ومكانة راقية فائقة ، لا تتطرق اليها أية هجمة داخلية ام خارجية ، حيث أعمق أعماق كيان الام ، مستقر قار ، ذو مكان مكين لا يضرها فيه ضرار .

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً . . . ﴾

وهي كالدودة العالقة بجدار الرحم ، مرحلة ثانية جنينية لها التقدير الثاني من الدية اذا اسقطت ، فللنطفة عشرون وللعلة اربعون ،

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٣٤ في الكافي ابن محبوب عن رفاعة قال قال ابو عبد الله (عليه السلام) في حديث تطور الجنين : وان النطفة اذا وقعت في غير الحم لم يخلق منه شيء .

وللمضغة ستون، وللعظام ثمانون، وبعد كسوها لحماً مائة، وبعد انشاءه خلقاً آخر - هو الروح - الدية كاملة، إذا كان ذكراً فألف وان أنثى فخمسة (١).

ثم بين كل مرحلتين - الدية - بحساب الرحلة، مقدرة بقدرها (٢) «وكل شيء عنده بمقدار» وهكذا يكون دور الانسان جسدياً، ثم دوره روحياً

(١) قد استفاضت الرواية على هذه التقادير في دية الجنين بمراحله .

(٢) نور الثقلين ٣ : ٣٥٨ عن تفسير القمي في الآية الى «ثم انشأناه خلقاً آخر» فهي ستة اجزاء وستة استحالات وفي كل جزء واستحالة دية محدودة ففي النطفة عشرون ديناراً وفي العقلة اربعون ديناراً وفي المضغة ستون ديناراً وفي العظم ثمانون ديناراً وإذا كسي لحماً فمائة دينار حتى يستهل فاذا استهل فالدية كاملة فحدثني ابي بذلك عن سليمان بن خالد عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال قلت يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فان خرج في النطفة قطرة دم؟ قال : في القطرة عشر النطفة ففيها اثنان وعشرون ديناراً قلت فقطرتان؟ قال : اربعة وعشرون ديناراً قلت فثلاث قال : ستة وعشرون ديناراً قلت فاربعة قال ثمانية وعشرون ديناراً قلت فخمسة قال : ثلاثون ديناراً وما زاد على النصف فهو على هذا الحساب حتى تصير علقة فيكون فيها اربعون ديناراً قلت فان خرجت متخضضة بالدم؟ قال قد علقته ان كان ماء صافياً فيها اربعون ديناراً وان كان دماً اسود فذلك من الجوف فلا شيء عليه الا التعزيز لانه ما كان من دم صاف فذلك للولد وما كان من دم اسود فهو من الجوف قال فقال ابو شبل : فان العلقة صارت فيها شبه العروق واللحم؟ قال : اثنان واربعون ديناراً العشر قلت ان عشر الاربعين ديناراً اربعة دنائير؟ قال : لا انما هو عشر المضغة لانه انما ذهب عشرها فكلما ازدادت زيد حتى تبلغ الستين ، قلت فان رأيت في المضغة مثل العقدة عظم يابس؟ قال : ان ذلك عظم اول ما يتبدى ففيه اربعة دنائير فان زاد فزاد اربعة دنائير حتى يبلغ الثمانين ، قلت : فان كسي العظم لحماً؟ قال : كذلك الى مائة قلت : فان وكزها فقط الصبي لا يدري حياً كان او ميتاً؟ قال : هيئات يا ابا شبل اذا بلغ اربعة اشهر فقد صارت فيه الحياة وقد استوجب الدية .

واين دور من دور ، ثم لا قيمة لهذا الجسد إلا لاستعداده حلول الروح بعيداً او قريباً، وكذلك الدية طبقاً عن طبق دون فوضى جزاف .

﴿ ... ثُمَّ خَلَقْنَا الْعُلُقَةَ مُضْغَةً .. ﴾ هي اللحمة الصغيرة قدر ما يُضغ ، وكأنها ممضوقة مهشمة ، فلا هي لحمة كسائر اللحم ، ولا هي مهضومة كسائر الهضم .

﴿ ... ثُمَّ خَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَافاً .. ﴾

ناعمة كأنعمها كما تناسب الجنين لأولى النشأة العظامية ، عظاماً فيها الأسس الاولى لكل عظام الإنسان الأصلية مهما خفت وقلّت ورخت .

﴿ ... ثُمَّ كَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً .. ﴾ وهنالك تتم الصورة الجنينية دون إبقاء، وكيف هنا «كسونا» دون «خلقنا» خلاف التطورات السابقة، لان اللحم غير ثابت من العظام، وغير متحول عنها ، فخلايا العظام هي خلايا المضغة والعلقة والنطفة وليست هكذا خلايا اللحم .

وهكذا كشف العلم اليوم النقاب عن وجه هذه الحقيقة الخفية ، على ضوء تقدم علم الأجنة ، ان خلايا اللحم لا تُشاهد ولا واحدة منها إلا بعد ظهور خلايا العظام واستكمال الهيكل العظمي ، وهكذا «ثم كسونا العظام لحماً» عارضاً عليها من غيرها ، من المواد المساعدة لنشوء الجنين في الرحم .

﴿ ... ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾

عبارة ثالثة عن ذلك التطور الجنيني ، أم رابعة بجعل الجعل أولاً في «ثم جعلناه» تعابير قاصدة دقيقة المعنى المرام ، دون فوضى التعبير .

هناك جعل وليس خلقاً إذ لم يكن خلقاً إلا قبل «حيث» خلقنا الانسان . . . ومن ثم خلق في زوايا ثلاث ، كل لاحق يتبنى سابقه ، وكل تطور عن أسبقه مزيداً عليه .

ثم كسوة العظام لحماً ليس في هذه التطورات له نصيب، وأخيراً - وبعد تكملة الجنين جسماً - «انشأناه خلقاً آخر» - دون خلقناه أو جعلناه - مما يدل على أن المنشأ غير مجعول ولا مخلوق كمثلث الخلق أو مربعة.

«انشأناه» الجنين، دون «انشأنا له» فليس الخلق الآخر الروح من غير جنس الجنين، مجرد أم سواه، بل هو هو انشاء، فلم تتحول العظام المكسوة باللحم روحاً، كما تحول كل من النطفة والعلقة والمضغة تاليها ككل، وإنما «انشأناه خلقاً آخر» ليس آخر كما كانت هذه الثلاث، وإنما آخر في الحالة والخاصة الحاضرة رغم كونه من المادة الجنينية.

فكما يقال انشأت الوردة جلاباً وعطراً، وانشأت التراب الذهبي ذهباً، فالمنشأ سلالة وصفوة من المنشأ منه وليس كله، كذلك الروح منشأ من نفس المادة الجنينية وليس كلها، ولا بعضها منها كسائر أعضائها، بل هو سلالة منها مصطفاة، لها خاصتها الخاصة التي ليست لسائر أجزاء الجنين مهما اشتركا في أصل المادة، كما الذهب والتراب، وكما الثيدروجين وهي أخف وأصفى الذرات بالنسبة لأثقلها وأكدرها.

وقد تعني «ثم» المراحلة هنا - كما في «ثم جعلناه» - انفصال الروح عن البدن بعيداً من حيث الكيان، مهما كانا متحدين في الكون المادي، كما أن جعل النطفة متراخٍ عن خلقه من سلالة من طين، والفاء في الثلاثة المتوسطة دليل التقارب والتماثل.

«ثم» بعيداً عن الكثافة الجسمية الجنينية وبعيداً عن كدرتها والأكثرية الساحقة من آثارها «انشأناه»: الإنسان الميت لحد الآن «خلقاً» آخر، يختلف عن الأول في شاكلة المادة وخاصتها بحيوية شاعرة مريدة لم تكن له من ذي قبل، إلا حركات تكاملية - إن صح التعبير - هي أئوماتيكية.

ثم الإنشاء هو إيجاد الشيء وتربيته ناشئاً عن الآخر ، إذا فـ « خلقاً آخر » وهو الروح^(١) ناشئاً عن البدن نفسه ، مهما كان منفوخاً فيه « ونفخ فيه من روحه » (٣٢ : ٩) فتربية البدن تخليصاً منه - صفوة مختارة وسلالة صافية غير كدرة - هي انشاءه خلقاً آخر .

فالإنسان قبل نفخ الروح خلق وهو بعد نفخة خلق آخر ، مهما كان منشأً عن الاول ، كما أن الحطب قبل حرقه خلق ، ويعدده - حيث يتحول ناراً ودخاناً - هو خلق آخر ، والمادة نفس المادة إلا في الصورة المتحولة .

إذا فليس الروح مجرداً عن المادة ، فلا هو روحانية النشأة ولا روحانية البقاء ، بل هو جسمانية نشأة وبقاءً مهما اختلفت حالاته وتصرفاته وخاصياته عن البدن الميت .

إذا فشعوره دون البدن ، وبقائه دون البدن ، وسائر ميزاته دون البدن لا يدل على شيء إلا أنه ليس هو البدن أو جزء عادياً من البدن ، بل هو صفوة مختارة وسلالة منسلة عن البدن ، وعقل عاقله سلالة عن مخه وصدره عن صدره وقلبه عن قلبه ، وسائر أبعاضه عن سائر أعضائه حسب المناسبات والتجاوبات^(٢) .

﴿ قَبَّارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾^{١٤} .

وكيف هو احسن الخالقين وهل من خالق غير الله حتى يكون هو أحسنهم؟

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٤١ في تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى : ثم انشأنه خلقاً آخر « فهو نفخ الروح فيه .

(٢) لتفصيل البحث حول الآية وآية الروح راجع تفسير سورة الاسرى عند « يسألونك عن الروح »

عَلَّه يعني فيما يعني : لو ان هناك خالقين فهو احسن الخالقين
« اتدعون بعلاً وتذرون احسن الخالقين » (٣٧ : ١٢٥) فلو ان بعلاً خالق
فالله هو احسن الخالقين!

او يعني من جمع الخالقين خالقياته المختلفة حسب اختلاف الكائنات
فقد جعل أحسنها في الإنسان « لقد خلقنا الإنسان في احسن تقويم »
(٩٥ : ٤) « وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » (١٧ : ٧) .

أم ان الخلق في هذا الجمع اعم من حق الخلق، ومن مجازه ككل صنع،
فهو إذاً احسن الخالقين ، وقد نسب الخلق بهذا المعنى الطليق إلى الخلق
« وتخلقون افكاً » (٢٩ : ١٧) كما نُسب الى المسيح مقيداً له باذنه « واذ تخلق
من الطين كهيئة الطير باذني » (٥ : ١١٠) ^(١) .

هذا ولكن الخلق الربوبي وهو حق الخلق ، يختص برب العالمين :
« ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء » (٦ : ١٠٢) « قل الله خالق
كل شيء وهو الواحد القهار » (١٣ : ٦) « هل من خالق غير الله » (٣٥ : ٣) .

ومن الأقاويل المختلفة الزور هنا ان ذلك التعقيب مما جرى على لسان
عمر قبل ان يسمع وحيه ^(٢) .

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٤١ في كتاب التوحيد باسناده الى الفتح بن يزيد الجرجاني عن
ابي الحسن الرضا (عليه السلام) حديث طويل وفيه : قلت جعلت فداك وغير الخالق
الجليل خالق ؟ قال : ان الله تبارك وتعالى يقول : تبارك الله احسن الخالقين « منهم
عيسى بن مريم (عليه السلام) خلق من الطين كهيئة الطير باذن الله فنفخ فيه فصار
طائراً باذن الله والسامري اخرج لهم عجلاً جسداً له خوار .

(٢) الدر المنثور ٥ : ٦ - اخرج ابن ابي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن صالح ابي
الخليل قال : نزلت هذه الآية على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى قوله : ثم
انشأناه خلقاً آخر قال عمر : فتبارك الله احسن الخالقين فقال والذي نفسي بيده انها =

تفضيلاً للخليفة على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وما أكثره في أمثال هذه المختلقات الزور من روايات كاذبين مبتدعين!

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ۚ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ ١٦ .

«ثم انكم» بعد تلکم الحياة الدنيا، بانقضاء اجلها المحتوم او المعلق «بعد ذلك لميتون» انتقالاً الى حياة برزخية «ثم» بعد انقضاء البرزخ «انكم» يوم القيامة العامة «تبعثون» من اجداثكم في ارواحكم باجسادكم الاصلية التي كنتم فيها تعيشون .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ ١٧ .

هذه طرائق سبع تعني السماوات السبع واخرى في الجن تعني طرائقهم القيد المفصولة عن بعض في سبلهم الحيوية العقيدية والعملية : «وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً» (٧٢ : ١١) .

مركز تحقيق تكملة تفسير عدم سردی

= ختمت بالذي تكلمت يا عمر .

اقول وفي تفسير الفخر الرازي ٢٣ : ٨٦ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هكذا نزلت يا عمر وكان عمر يقول : وافقني ربي في اربع في الصلاة خلف المقام وفي ضرب الحجاب على النسوة وقولي لمن لتتھن او لبيدله الله خيراً منكن فنزل قوله تعالى : عسى ربه ان طلقكن ان يبدلهن ازواجاً خيراً منكن . والرابع قلت : فتبارك الله احسن الخالقين فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) هكذا انزلت وفيه روى الكلبي عن ابن عباس ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب هذه الآيات لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما انتهى الى قوله تعالى : خلقاً آخر عجب من ذلك فقال : فتبارك الله احسن الخالقين ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اكتب فهكذا انزلت فشك عبد الله وقال : ان كان محمد صادقاً فيما يقول فانه يوحى إلي كما يوحى اليه وان كان كاذباً فلا خير في دينه فهرب الى مكة فقيل انه مات على الكفر وقيل انه اسلم يوم الفتح !!! .

ولان «طرائق» هي جمع طريقة دون طريق، فكل سماء فوقنا - اذا - طريقة بالإمكان التطرق بها الى ما فوقها والى السابعة الى المسدرة المنتهى، وكما تطرقها كلها رسول الهدى (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكما يتطرق من فوقها الى تحتها والينا، فهي السبل المطروقة لبعض المقربين السابقين كالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وللملائكة « وما ننزل إلا بأمر ربك » (١٩: ٦٤) ولأمره المذبر «يتنزل الأمر بينهن» (١٢: ٦٥) «يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه» (٥: ٣٢) ولنزل الأمطار « وأنزلنا من السماء ماءً بقدر . . » (١٨) «وما كنا عن الخلق غافلين» عن هذه الرحمات الروحية وسواها المتنزلة بين الأرضين والسموات، فالكون كله بسماوته وأرضيه وحدة مدبرة من عليم حكيم، سبحانه الخلاق العظيم . !

نحن وحتى الآن - على ركب العلم السريع السير - لم نتطرق إلا بعض الأبواب من طريقة السماء الأولى ، فإني لنا السير في سائر طرقها والطرائق الست الأخرى سبحانه الخلاق العظيم !

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ ١٨ .

من هذه الطرائق السبع طريقة الماء من السماء الى الأرض ، فقد كانت ارضنا هذه محروقة عطشانة قبل حياتها والحياة عليها ، فانزل الله عليها من ماء السماء بقدر مقدر فأسكنه في الأرض نصيباً لها خاصاً ، فالأبخرة المائية الأرضية الصاعدة الى السماء ترجع كما هي ماء دون زيادة ولا نقصان ، اللهم إلا زيادة في حالات استثنائية كطوفان نوح : « وقيل يا أرض ابلغي ماءك ويا سماء أقلعي » فـ « ماءك » هو الماء النازل اليها بقدر الساكن فيها على حذر : «وانا على ذهاب به لقادرون» ذهاباً عن بكرته كما في يوم قيامتها، ام ذهاباً مؤقتاً عن قدره تجديداً كما يفعله احياناً في أرض دون اخرى، ولكي يعلموا «ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين» .

إذا فكل مياه الأرض هي من نازل السماء دون ابقاء ، كما ويؤيده التهديد في «وانا على ذهاب به لقادرون» وذلك خلافاً لما كان يزعمه الانسان الى وقت قريب ألا علاقة بين المياه الجوفية والمياه السطحية ، والقرآن يقرر العلاقة الوثيقة بينهما وأن الكل من نازل السماء .

فلا تعني «فأسكنناه في الأرض» سُكناء فيها دون صعود مؤقت، وإنما تعني ان النازل منها بقدر اليها هو نصيبها الخاص ، دون ان يصعد بأسره الى غيرها ويبقى .

ومما يلمح له «فأسكنناه» مُلْحَقاً «بذهاب به» انه لولا إسكانه فيها لما رجعت امطاراً عن الابخرة الصاعدة عنها، فان طبيعة الحال في الماء المحكوم بحرارة الشمس وسواها الصعود إلى السماء ، وقضية إسكان ماء الأرض فيها رَجْعُهُ مطراً اليها بعد تبخره : «والسما ذات الرجوع» امانات الأرض من ماء وسواه .

اجل «ماء بقدر» دون افراط ولا تفريط «وكل شيء عنده بمقدار» . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال» (٩ : ١٣) «وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم» (٢١ : ١٥) .

فهناك في النطفة «فجعلناه في قرار مكين» بغية تحوله الى جنين، وهنا «فأسكنناه في الأرض» كذلك الأمر، حيث الماء كنطفة والأرض قرار مكين بغية حياتها بإنشاء مختلف النبات :

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاحِشٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^{١٩} .

فكما هناك في نهاية المطاف للأطوار الجنينية «ثم أنشأناه خلقاً آخر» حياتاً بعد ممات ، كذلك هنا «فأنشأنا لكم به جنات» . «حياة بعد ممات واين حياة من حياة هي في احسن تقويم !

وعَلَّ تَخْصِيصِ «نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ» بالذكر بين «فواكه كثيرة» لأنها طعام وإدام وفاكهة رطباً ويابساً دون سائر الفاكهة، وإن منافعها تحلّق على سائر المنافع كما:

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلْأَكْلِينَ﴾^{٢٠}.

وهي الزيتون وعلّها في أصلها خارجة من طور سيناء ثم انتشرت في غيره، أم هي فيه أطيب من غيره، أم أكثر وأوفر، والقصد «من طور سيناء» المحيط الشرق الأوسطي الأقرب إلى الطور فالأقرب، ومن ميزاتهما بين سائر الشجر أنها «تنبت بالدهن وصبغ للأكلين» وعلّ الباء هنا سببية فهي تنبت بسبب الدهن، حيث الأصل النابت عليه هو الحصى التي تحمل الدهن، وكذلك هي تعدية تنبت دهناً، أم ومعية، وبالدهن حال لـ «تنبت» فهي تنبت مع الدهن، وهذه هي الشجرة الوحيدة بين الشجر حيث تنبت بالدهن، وكذلك «صبغ للأكلين» يصبغون به خبزهم وطعامهم فتصبح سابعة طيبة الطعام، سريعة الهضم، كما وتصبغ أمعاءهم.

فالزيتونة هي ضوء وإدام وطعام وشفاء من داء، فهي منقطعة النظير بين سائر الشجر ولقد جاءت الرواية عن خير البشر: «الزيت شجرة مباركة فائتموا منه وأدهنوا»^(١).

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^{٢١} وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ^{٢٢}.

هنا «مما في بطونها» وفي النحل «مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين»^(٢٢) ولقد فصلنا القول فيه فيها فلا نعيد.

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٤٣. في المجمع في الآية وقد روي عن النبي (صل الله عليه وآله وسلم) : ...

« وعليها » : الأنعام الركوب والفرش أما بالامكان ان يُركب « وعلى الفلك » ايا كان « تحملون » وذلك جمع بين حمل البر والبحر بنعمة الله .

وان لكم فيها لعبرة لمن القى السمع وهو شهيد ، لمن ينظر بعين عقله ويبصر ببصيرته ، عبرة يعبر بها الى خالقها الكبير المتعال ، سبحانه الخلاق العظيم .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُونَ
 اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾
 فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ
 مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضِلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ
 مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا
 رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ مَّا تَبْصُرُونَ بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ
 أَنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلَكَ
 بِأَعْيُنِنَا ووَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا
 مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
 مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أُنْزِلْنِي
مِنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ
قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَعْبُدُوا
اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ
مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِفْقَاءِ الْآخِرَةِ وَأُتْرِفْتُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ بِأَكُلِمْ
تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ
بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخٰٓئِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ
إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾
* هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٤٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ
 نَادِمِينَ ﴿٥٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمُ غُلَامًا
 فَبَعَدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا
 ءَاخَرِينَ ﴿٥٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَعِجِرُونَ ﴿٥٣﴾
 ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَرَا كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولًا كَذَّبُوهُ
 فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعَدًا لِقَوْمٍ
 لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا
 وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٥٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا
 قَوْمًا عَالِينَ ﴿٥٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا
 لَنَا عِبْدُونَ ﴿٥٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٥٨﴾
 وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٥٩﴾ وَجَعَلْنَا
 ابْنَ مَرْيَمَ وَآمَةَ ءَايَةً وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ
 وَمَعِينٍ ﴿٦٠﴾ يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا
 إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٦١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ

وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٦﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ
 زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٧﴾ فَذَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ
 حَتَّىٰ حِزْبٍ ﴿٥٨﴾ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ مِن مَّالٍ
 وَبَنِينَ ﴿٥٩﴾ تُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٠﴾

هنا انتقاله بارعة من دلائل الايمان الى واقع الايمان الذي جاء بها رسل
 الايمان ، وما واجههم الطفلة المستكبرون على مدار الزمان طول خط
 الرسالات منذ نوح الى خاتم النبيين ، وهم يحملون رسالة واحدة الى امم
 هم في الحق امة واحدة ، حيث الدعوات الرسالية صيغة واحدة في الجذور
 مهما اختلفت في بعض الصور والقشور ، قضية تختلف الظروف والابتلاءات
 في مختلف العصور .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهِ
 غَيْرِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ٢٣ .

« نوح » هو اول نبي من اولى العزم الذين دارت عليهم الرحى ولقد
 اختصت باسمه سورة تحدثنا عن مدا رسالته ودعوته الصعبة
 الصارمة ، وتصديات وعرقلات قومه العارمة ، وهذه الدعوة التوحيدية هي
 اجمال عن كل تفاصيل دعوته المفصلة في آياتها .

هنا « اعبدوا الله » وفي هود « ألا تعبدوا الا الله » (٣) والاولى لا
 يستلزم الثانية ، فانها نص في توحيد العبودية وتلك مطلقة ، وليست مقالة
 نوح لقومه الا التوحيد ، فما هو التوفيق ؟

المشركون كانوا ولا يزالون يعبدون غير الله ولا يعبدون الله لا توحيداً ولا اشراكاً ، واطلاق الاشراك على عبادتهم لا يعني الجمع بين العبوديتين ، وانما لانهم يعبدون من لا يستحق ، كانه الله الذي يُعبد ، فهي اذاً إشراك في اصل استحقاق العبادة لا من حيث واقع الشراكة ، فالله - في زعمهم - شريك في الاستحقاق ، وليس له نصيب العبادة في الواقع حسب الزعم انه اعظم من ان يُعبد بنفسه ، فليُعبد شركاءه : « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » فلو كان يصح عبادته لم تصح عبادة غيره .

ثم « ما لكم من آله غيره » قائم مقام ذلك الحصر « لا تعبدوا الا الله » وحق بالنسبة لمن يجمعون بين العبادتين ، كما هو واقع في آخرين من المشركين ومن مقالهم « تالله ان كنا لفي ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين » (٢٦: ٩٨) ، والشرك الاول ليس - في زعمهم - تسوية ، ثم ومن مصاديق الاشراك الواقع في العبادة رثاء الناس ، حيث المعبود الاصل فيها هو الله ، اضافة الى رعاية الناظر رثاء له « افلا تتقون » الشرك بالله ، و « لا تتقون » عذاب الله ؟ .

وهنا « ما لكم من آله غيره » برهان لا مرد له لحصر العبودية في الله اذ لا يُعبد الا الإله ولا اله الا الله ، فلا يُعبد الا اياه .

ولكن الملا المستكبرين من قومه الذين لم يناقشوا امثال هذه الحجج الباهضة الناهضة للهدى ، انهم تغافلو عنها بصورتها العامة واخلدوا الى شخصياتهم الوهمية قياساً الى شخص نوح كالسأ فالسأ في حقول البرهان :

﴿ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَاءِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ ٢٤ .

« من » هنا تبعض قومه الكافرين الى الملا المستكبرين الأشراف وسواهم ، وهذه الأقاويل ليست الا منهم الاصول دون الهوامش الأتباع

اللهم الا تبعاً لهم ولفظ قول ، ولم يؤمن احد من ذلك الملائكة وكما يحكي عنهم القرآن دون تكذيب « وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي » (٢٧: ١١) .

نقول لهؤلاء الأنكاد وحماقي الطغيان اذا كان بشر - لانه مثل سائر البشر - لا فضل له على أضرابه فكيف انتم تفضلون انفسكم - بزيادة المال والمال والقوة والأولاد وسائر زخرفات الحياة - على من يفقدها ، وهذه كلها من حيوانات الحياة ، ثم لا ترضون ان يتفضل ذوا الفضل في الروحية الانسانية - وهي اصلها وجمالها - على من يفقدها ، وليهديهم الى صراط مستقيم .

فيا له من برهان قاحل جاهل هو عليهم انفسهم قبل أن يكون على رسل الله لانهم بشر .

ثم هم يهتكون ساحة البشرية حيث لا يستأهلونها لابتعاث نبي لهم من انفسهم لحد الإحالة : « ولو شاء الله لآنزل الملائكة » احالة لإرسال اي رسول ، ثم على فرض إمكانية فليكن من الملائكة .

ثم تلحيقاً لذلك النكران النكير يستندون الى « ما سمعنا بهذا في آباءنا الاولين » وطبعاً المشركين ، وهم شرع سواء في استحالة او استبعاد ابتعاث بشر الى بشر .

يستندون في نفي التوحيد الى حقل الشرك القديم ، وهو جديده وقديمه على سواء في كونه خواء وعراء عن اي برهان ، الا دعايات زور وغوغائيات غرور ، يرأسهم في كل ذلك الغرور ! .

ولا فحسب انهم نزلوه الى منزلة البشرية المماثلة لسواه ، غير المفضلة على من سواه ، بل ونزلوه عنها ايضاً الى حقل المجانين اسقاطاً لرايه عن

بكرته حتى لا يُسمع كبشر مثل سائر البشر :

﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ فَنَرَبُّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴾ ٢٥ .

به جنة لانه يخالف آراءنا وآباءنا الأقدمين في أصالة الشرك ، وانه يدعي ضرورة المستحيل في بعدين : ان ينزل الله شيئاً ، وان يرسل بشراً رسولاً « فتربصوا به » نظرةً علاجه عجالةً ام أجاله « حتى حين » يعافى عن جنته ، فسوف ترون انه لا يقول قوله الآن ، ام « حتى حين » يموت على جنته فنستريح من دعايته الجنونية ، ام « حتى حين » يظهر تصلبه في دعوته فتقضوا عليه في ذلك الحين ، ام « حتى حين » تظهر جنته ويظهر حقنا عليه ، حينات اربع قد تعنيها كلها « حتى حين » اذ لا برهان لواحدة منها دون أخرى حتى حين .

وهذه الدعاية النحسة هي بطبيعة الحال مؤثرة في المستضعفين العائشين تحت نير الذل ، المحتاجين الى رحمة المستكبرين ، حيث العقل هو خير ما يرام ، فمن به جنة لا يرجى منه أي خير حتى اذا كان ممكناً وهو منه متمكن فضلاً عن الدعاوي الشاردة المستحيلة غير الواردة في « آباءنا الاولين » .

إذا فأتباعه خروج عن العقلية الانسانية ، وسنة الآباء القدامى ! تحذير خطير يتحذر منه كل مسامح عن عقله ، متاجر بانسانيته الحرة البالغة .

هنا - ولما لا يجد نوح منفذاً الى هذه القلوب المتحجرة - يستنصر ربه لكي يهديه سواء السبيل :

﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ ٢٦ .

وهذه آخر المطاف من تصبره على أذاهم ، وتحمله لظاهم طول الف سنة الا خمسين عاماً ، وقد تكون اجمالاً عن تفاصيل دعواته لربه طول هذه المدة كما في آيات عدة :

« قال رب إن قومي كذبون . فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني من معي من المؤمنين » (٢٦: ١١٨) « وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً . إنك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً » (٢٧: ٧١) وذلك بعدما أخبره ربه « انه لن يؤمن من قومك الا من آمن فلا تبتس بما كانوا يفعلون » (١١: ٣٤) .

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ ٢٧ .

« اصنع الفلك باعيننا » : رقابتنا ، كما تناسب صناعة فلك النجاة عن البحر اللجي « ووحينا » فقد كانت هندسة الفلك تماماً وصناعته بوحى الله ، اذ لم يكن نوح صانع الفلك ، ولا ان مصنوع الانسان دون وحى يتمكن من الإنجاء في هذه الهلكة الشاملة، فليكن اذا صنع الفلك « باعيننا ووحينا » « وهي تجري بهم في موج كالجبال » (١١ : ٤٢) « تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر » (٥٤ : ١٤) .

اترى فلماً تصنع بأعين الله ووحيه ، وهي تجري بأعين الله ، اترها تغرق او تتكسر في موج كالجبال والله ربّانه !

« فاذا جاء امرنا » بغرقهم ودلالة عليه بإمارة عجيبة خارقة العادة كنفس الغرق الجماعي ، « وفار التنور » فوران ماء الغرق من تنور النار دون سائر التنور المؤول ، ثم وما ندرى اين هو^(١) ؟

(١) قيل انه تنور آدم وكان من ججارة فصار الى نوح واختلف في مكانه فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كنده وكان نوح (عليه السلام) عمل السفينة في وسط المسجد ، وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند . =

« فاسلك فيها من كل زوجين اثنين » و« اسلك » اهلك الا من سبق عليه القول منهم: امرأته وابنه « ولا تخاطبني في الذين ظلموا » رسالة الله وعباد الله ، سواء أكانوا من اهلك ام سواهم « انهم مغرقون » كلمة واحدة لا رجعة فيها .

ولان السلوك هو النفاذ في الطريق ، وهذه الفلك كانت طريق النجاة ، اذاً « فاسلك » لا تعني - فقط - الإدخال ، وانما التمكين والإنفاذ لكامل الإنفاذ .

ثم « من كل » تعني من كل الخليقة الا الناس ، ام كلهم لمكان الاستثناء : « الا من سبق عليه القول » الا ان « اهلك » قبلهم يؤيد الأول ، اذ كان يكفي الاستثناء دون ذكر اهله ، ان كانوا معنيين في « من كل زوجين » .

وترى « اهلك الا » هم فقط كانوا ناجين ، فلم يؤمن طيلة الف سنة إلا خمسين عاماً إلا اهله الثمانون ، الا امرأته وابنه كانا من الغابرين ؟

عله نعم حيث « ونجيناه واهله من الكرب العظيم . وجعلنا ذريته هم الباقين » (٧٦: ٣٧) « ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين » (٧٧: ٢١) .

وقد يعني « اهله » اهله نسبياً وسببياً إلا من سبق ، واهله ايمانياً كما تدل عليه « واهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل »

= ثم قيل ان التنور هو وجه الأرض عن ابن عباس ام هو تنور الشمس ونورها طلوعها عن علي (عليه السلام) ، ام هو الموضع المنخفض من السفينة الذي يسيل الماء اليه عن الحسن ولكن هذه التاثير خارجة عن التنور المعروف لغوياً ، ولو كان كل يراد لاتي بلفظه الخاص .

(١١: ٤٠) فالقلة الثمانون طول هذه المدة بين الملايين ، هم اهلهم الا من سبق ومن آمن من غير اهلهم ، اذا «فاغرقناهم اجمعين» هم ليسوا كل قومه ، بل هم - فقط - « القوم الذين كذبوا بآياتنا » .

وذلك آخر المطاف لقوم صلب صلب هم حجر عثرة في حياة الانسان وعقبة كؤودة كائنة في طريق الايمان ، ولانهم كانوا في فجر البشرية في بدايات الطريق ، فشاءت ارادة الله الإطاحة بهم من الطريق المرسوم للانسانية جمعاء ، تحطماً لهذه المتحجرات المتفجرات في وجهها ، فتحتماً من سلوك سبيلها الى النجاة ، وتسري ركب الانسانية قدماً الى الحياة المرماة .

فقد غسل الطوفان هذه التربة لتعاد بذرة الحياة السليمة من جديد : « وجعلنا ذريته هم الباقين » .

ذلك ! وقد كان بالامكان ان ينزل الله عليه فلماً من السماء ، او يصنعه هو دونه ، ولكنه شاء ان يصنع نوح فلك النجاة بيده ، لانه لا بد للانسان من الأخذ بالأسباب ، وبذل ما في طوقه ، ثم يمدده الله في الخارج عن طوقه ، والنجاة القاطعة بالفلك كانت بان يصنعها « باعيننا ووحينا » وكما هي « تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر » !

﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٢٨ ﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ٢٩ .

« فاذا استويت انت « يا نوح » ومن معك « المؤمنون والحيوان ، والاستواء هو الاستقرار : ان ياخذ كل مستقره وقواره كقرار البيت » فقل الحمد لله « كواجب الحمد لله « الذي نجانا من القوم الظالمين » من بأسهم البائس ومن الغرق معهم ، وهذه مرحلة اولى من النجاة حالة الطوفان ، ثم « وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً » نفس النزول ومكانه وزمانه ، مباركاً في زواياها الثلاث « وانت خير المنزلين » - « اللهم انزلنا منزلاً مباركاً وانت

خير المتزلين»^(١) .

هنا « انت ومن معك » فلماذا « فقل - وقل » وهم عدة ؟ عله لأنه إمامهم ، فقله قولهم وكلما يقوله بأمر الله فهم قائلوه وقائلون به قضية الإمامة المحلقة على كل قالٍ وحالٍ وفعالٍ، ولا سيما في هذه الحالة الخطرة والرحمة العطرة المستوجبة لقالة الحمد والدعاء والاستدعاء .

فَقَطَّعْ دَابِرَ الظَّالِمِينَ يَتَطَلَّبُ الْحَمْدُ لَهُ مِنَ الْمَظْلُومِينَ، بَلِ وَاللَّهِ يَقُولُهَا تَعْلِيماً لَهُمْ وَتَأْذِيماً « فَقَطَّعْ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » (٤٥:٦) .

ونرى كيف أصبح الإستواء على الفلك نجاة لما تنزل منزلاً مباركاً ؟ لأنها صنعت بعين الله ووحى الله ، وهم ركبوها باسم الله : « وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها » (١١:٤١) وهي « تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر » (١٤:٥٤) أفيبقى بعد هذا من شك في النجاة ؟!

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ ٣٠

« إن » مخففة عن مثقلة تعني تأكيد مدخولها وكذلك اللام، تأكيدان اثنان انه تعالى يتبلي عباده بالوان البلاء ، ابتلاء لنوح ومن آمن معه بالصبر والشكر ، تمحيصاً للشكر والتوجه والتأديب والاجر والتقويم، وابتلاء للذين كفروا بازدياد الكفر والكفران والنكران والى مصير النيران .

ف « ان في ذلك » العظيم العظيم في تاريخ الرسالات ولفجرها وبزوغها « لآيات » تدل المستدلين على علمه وحلمه وحكمته وقدرته ،

(١) نورالثقلين ٢ : ٥٤٤ في الفقيه قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) يا علي اذا نزلت منزلاً فقل :

وواقع وعده للمؤمنين وعلى الكافرين « يا ايها الناس ان الله قد اعاذكم من ان يجور عليكم ولم يعذكم من ان يتليكم وقد قال : ان في ذلك لآيات وإن كنا لمبتلين »^(١) . و « كنا » هنا تضرب إلى اعماق الماضي الضارب الى مثلث الزمن كسنة آهية يوم الدنيا .

﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ ٣١ .

وهم ذرية نوح حيث « وجعلنا ذريته هم الباقين » وتراهم ذرية النسب ؟ فما شأن المؤمنين الآخرين ! عليهم اهله الناجون حيث تعم ذرية النسب وذرية الإيمان بغير النسب ، بل هم ذرية الإيمان ككل في نسب او سبب ام غير سبب ولا نسب ، وقد تلمح له سابقتها : « ونسجيناها واهله من الكرب العظيم . وجعلنا ذريته هم الباقين » مع العلم ان اهله اعم من اهله الخصوص كما دلت عليه آية هود « واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن » (٤٠) .

واما ان نوحاً هو الاب الثاني للبشر، فهو ان كان ثابتاً فليس يستغرق كل البشر ، وانما - على اكثر تقدير - الاكثرية الساحقة اللاحقة من البشر حيث انتسلوا من ذريته في النسب وهم ثلة ثم الآخرون هم قلة

وترى « قرناً آخرين » هم كل المتسللين من الناجين في الفلك ؟ وما كان كلهم كافرين ! ام انهم خصوص الكافرين منهم المكذبين ؟ ولا يختصهم ذلك الإنشاء الجديد !

« وجعلنا ذريته هم الباقين » هي عبارة أخرى عن « قرناً آخرين » ولكنه يقصد منهم في حقل الدعوة الرسالية من هم أضراب قوم نوح .

ومهما اختلفت الآراء في : من هم هؤلاء المكذبون ؟ الا ان في

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٤٤ وفي نهج البلاغة عن الامام علي (عليه السلام) : ...

انشاءهم بعد قوم نوح ، وارسال رسول فيهم بعد نوح ، برهان قاطع لا مرد له انهم عاد قوم هود فانهم كانوا بعد قوم نوح وكما خوطبوا « واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح » (٧ : ٦٩) كما وجاءت قصة عاد تلو قصة نوح في سورة الاعراف وهو د والشعراء وهم يُذكرون قبل ثمود فيما تجمعهما من آيات، إذا فهم « قرناً آخرين » مهما كان منهم مؤمنون :

﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ٣٢ .

وصيغة الدعوة نفس الصيغة السابقة السابقة ، حيث الرسالة واحدة وامم الرسل هم امة واحدة في هذه الدعوة التوحيدية، وكما المعارضة ضد الدعوة نفس المعارضة ، سلسلة موصولة طول تاريخ الرسالات رسلاً ومرسلاً اليهم :

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلقاءِ الْآخِرَةِ وَآتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ ٣٣ .

« وقال الملأ من قومه » وهم في ثالوثهم المنحوس « الذين كفروا - وكذبوا بقاء الآخرة - واطرفناهم في الحياة الدنيا » قالوا قيلتهم في نكران الاصل الثالث : الوحي والرسالة : « ما هذا الا بشر مثلكم » فانه « ياكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون » آخذين المائلة في حيونة البشرية وحاجياتها المادية دليل المائلة المطلقة بين بشر وبشر ، متغافلين متجاهلين عن رحمت روحية وان الله يمن على من يشاء من عباده، فمقياسهم الاول والاخير هو المادة والمادة فقط « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم » (٤٧ : ١٢)

والإتراف - وهو التوسيع في النعم فوق الحاجة - انه يحجب الفطرة ،

ويغلط المشاعر ، ويغلط الشعور ، ويسد المنافذ وتفقد القلوب حساسيتها المرهفة ، فالمترفون كالعفن يفسدون الجو الذي فيه يعيشون ، ولا سيما اذا كانوا كافرين بالله ويوم لقاء الله .

ثم هم يمحورون المماثلة في البشرية لإبطال الطاعة وهم يطيع بعضهم بعضاً والمماثلة نفس المماثلة ، لأنهم يُمحورون فضل المادة والترف اصلاً اصيلاً وحيداً في التفضيل :

﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴾ ٣٤ .

حيث المماثل يجعل من طاعته لمماثله ترجيحاً بلا مرجح ، لأن الرجحان عندهم هو فقط في ميزات الحيوان ، متغافلين عن اتسانية الانسان .

وترى اذا كانت طاعة المماثل في البشرية خساراً ، فلماذا هم انفسهم يحملون طاعتهم على من دونهم ؟ لأنهم - فقط - بشر وسواهم حيوان ؟ أم هم مناقضون في قيلاتهم الويلات ، وذلك هو الملاحظ فيها عند كل حاقي الطغيان ، ثم وهم باتباعهم يعبدون احجاراً واخشاباً واين الجماد من الانسان ؟

ومنهم من هم يحتجون على نكران رسالة البشر انهم واياهم في اصل البشرية سواء وفي فضلها المادي لا سواء « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » (٤٣ : ٣١) وهؤلاء اقل من اولاء خطأ مهما هم كلهم مخطئون .

ذلك ! ومن ثم يحاولون إحالة رسالة هذا الرسول البشر لدعواه البعيدة عندهم كحجة اخرى على دحضه بمحضه :

﴿ أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴾ ٣٥ هِنَهَات

هَيَّاتِ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٣٦﴾

« إذا متم » زوالاً للحياة « وكنتم تراباً . . . » زوالاً للجساد « أنكم مخرجون » من اجسادكم بارواحكم واجسادكم ، فيا له مُراماً ما أبعده « هيهات هيهات » بعيداً بعيداً لحد الإستحالة « لما توعدون » : « أنكم مخرجون » وهم بهذه الحجب الثلاث عن واقع المرام وعن الحق المرام ، هم مرتكسون ركسة الحيونة الرذيلة ، متكسون اليها عن كل فضيلة ، وقد هدرت ميزات الانسانية فيهم فـ « أولئك كالانعام بل هم اضل أولئك هم الغافلون » !

ثم هم بعد هذه الدعاية والدعوى يحصرون الحياة في حياتهم الدنيا ليست الا :

﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ ٣٧ .

ذلك وكما قال نظرائهم : « إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين » (٢٩: ٦) « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » (٢٤: ٤٥)

وعلى الآخرين - فقط - هم دهريون كما قد تشهد ما قبلها : « افرايت من اتخذ إلهه هواه . . . » .

وتراهم حين يحصرون حياتهم في الحياة الدنيا ، كيف يقدمون « نموت » على « نحى » والحياة بعد الموت هي الحياة الأخرى ، تناقضاً صارحاً صارخاً ينقض دعوهم الاولى ؟ .

قد تعني « نموت » جماعة مثلنا نحن الأحياء ثم لا نبعث « ونحيا » جماعة اخرى لما يمحيوا ، وهم - كما نحن - يموتون ثم لا يعيشون ، ويجمع عدم بعثهم احياة وامواتاً « وما نحن بمبعوثين » سواء الأحياء الحاضرون الذين

يموتون ، او الذين سوف يموتون ثم يموتون .

ام ان « تموت » تعني ما تعنيه « نحى » مقالة التناسخية ، فكل من يموت عن جسده يحى في آخر حتى تنتهي الحياة الدنيا ثم لا حياة بعدها .

ام انه بيان واقع حياتهم بعد موتهم بخلاف زعمهم ، اضافة الى الأولين ، فاصبحت الآية تجمع بين هذه الثلاث ، والمجموعة صالحة دلالة ومعنوياً لتعنيها ، وما اوجلتها عبارة والطفها جمعاً بين الواجهات المعنية حقاً وزعماً .

﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ٣٨ .

وهنا اصبحوا وكلاء عن الله يذودون عن ساحته فرية الرسالة التي هي قضية ربوبية العادلة الرحيمة .

فهم - اذاً - لا يؤمنون بمدعى الرسالة قضية إيمانهم بالله ، معاكسة هارعة رأساً على عقب ، وكأنهم هم الصادقون في إيمانهم اذ لا يؤمنون بمن يفترى على الله كذباً ، فليشكرهم الله على ذلك ويشكرهم الشاكرون !

ولما وصلت حالتهم البئسة التعيسة الآية هذه المفارقة النحيسة ، حيث صمت آذان قلوبهم وعميت ابصارها .

﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴾ ٣٩ .

نصرة كما نصير نوح على قومه الظالمين مهما اختلفت صورتها ، فطمأنه ربه بالاجابة :

﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴾ ٤٠ .

وماذا تفيدهم الندامة والإيمان - لو آمنوا - عند رؤية باسهم !؟

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ خَبَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ٤١ .

« بالحق » هنا قد تعني بسبب الوعد الحق ، او مصاحبة الحق الذي رفضوه ، او الحق الذي وعدوه ، والصيحة هي التي جعلتهم كالرميم ، حيث خلّفت الريح العقيم « وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم . ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم » (٤٢: ٥١) .

والغشاء هي هشيم الأوراق : « انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر » (٣١: ٥٤) فقد عاجلهم الله بهلاك الاستئصال فطاحوا كما يطيح الغشاء اذا سال به السيل الجارف ، حيث الغشاء ما حملت السيول في عمرها من اضعاف النبات وهشيمها ، فكانهم هلكوا ولم يحس لهم اثر كما لا يحس اثر ما طاح به السيل من غشاء ، فجعلناهم كالغشاء الطافح في سرعة انجفاله وهوان فقد انه واضمحلاله « فهل ترى لهم من باقية ؟ »

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴾^{٢٢} .

كثمود قوم صالح وسائر الفراعنة والتماردة المعرّقة لمسير الرسالات .

﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾^{٢٣} .

فان اجل العذاب المهدّد محدّد بما يراه الله ، ف « ما تسبق من امة اجلها » المقدر لها ان يعجلها « وما يستأخرون » تأجيلاً لها ، فانها من الأجل المحتومة الأمية حين تستحق العذاب ولات حين مآب .

وهذه سنة الله الجارية في تاريخ الدعوات الرسالية ، كل قرن يستوفي اجله ويمضي غشاء :

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتَرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولَهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^{٢٤} .

ثم « بعد نوح الى موسى » ارسلنا رسلنا « من ولي عزم كابراهيم ام سواء كسواء » تترى « تلو بعض البعض ولصق بعض ، متواترين في

سلسلة الرسالة والدعوة دوغما انقطاع « كل ما جاء امة رسولها كذبوه » دوغما انقطاع ، وكأنهم تواصوا بينهم « فأتبعنا بعضهم بعضاً » في عذاب الاستئصال مهما اختلفت ألوانه وأطواره « وجعلناهم أحاديث » اذ لم تبق منهم على اثر فلم تكن منهم من باقية الا « احاديث » عنهم في صفحات التاريخ وألسنة الناس وبقيت العبرة ماثلة امام الناس في مصارعهم . حيث عمت العيون وعفيت الآثار فلم تبق منهم الا الآثار « فهل ترى لهم من باقية » - « فبعداً لقوم لا يؤمنون !

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ٥٥ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ٥٦ ﴾

وهنا إرسال كسائر الرسالات بآيات كسائر الايات وسلطة البرهان كسائر السلطات الرسالية ، مهما اختلفت في بنودها وقيودها ومظاهرها ، وانما يذكر هنا موسى بعد رسل تترى لانه كان يحمل ولاية العزم في اعظم رسالة إلهية وابعدها غوراً ، واعمقها طوراً ، واكثرها عراقيل ، واشدها في مواجهة الابطال ، فكانت - اذاً - قمة رسالية مرموقة ، كما ان آياتها بعد القرآن قمة منقطعة النظر .

« الى فرعون » رأس الزاوية الطاغية « وملائه » هوامش الضلالة « فاستكبروا » عن هذه الرسالة بصيغة مطردة بين المستكبرين المكذبين « وكانوا قوما عالين » في كافة القدرات الزمنية والمقدرات المادية ، وبطبيعة الحال كانوا مستعلين .

﴿ فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ٥٧ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ٥٨ ﴾

فصيغة التكذيب نفس الصيغة وهم كانوا مؤمنين لبشر مثلهم وهم له

عابدون ! كما وهلاك التكذيب نفس الهلاك مهما اختلفا امهالاً وامللاً ،
وصورة ومثالاً .

وقد يعنون بـ « وقومهما لنا عابدون » ان لنا الفضل عليهما كما عليهم
فليعبدا كما هم إيانا يعبدون ، وقد تعني العبادة الخضوع الطليق . وهذه
معاكسة مرتكسة امام الدعوة الموسوية .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾^(٤٩) .

« لعلهم » فرعون وملاءه وبني اسرائيل وسواهم من المكلفين
« يهتدون » على هديه وهو أول كتاب رسالي يحمل شرعة مفصلة رئيسية
ومن ثم القرآن العظيم الى يوم الدين .

﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ
وَمَعِينٍ ﴾^(٥٠) .

ولماذا « ابن مريم وامه آية » وهما اثنان ، وكل - إذا - آية ؟ حيث القصد من
« آية » هنا هي الآية الخارقة الرسالية ، وهما معاً يشكّلان آية الولادة دون
اب .

« وآويناها » إسكاناً مطمئناً في مأوى مريح « الى ربوة » مكان مرتفع
رابٍ من الأرض ، هي « ذات قرار » لعبشة راضية دون اضطراب
« ومعين » ماء جار .

وقد عبر عن هذه الربوة في « مريم » بـ « سرياً » : « فحملته فانتبذت به
مكاناً قصياً فأجاءها المخاض الى جذع النخلة . . فنادها من تحتها الا
تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً . وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك
رطباً جنياً . فكلي واشربي وقري عيناً . . »^(٣٦)

وقد تعني ربوة القدس الشريف ، وهو ربوة بعد ربوة ، قد تعنيها معاً

« ربوة ذات قرار » حين الولادة ، وذات قرار بعدها ، ويروى انها دمشق الشام^(١) وعلها توسعة للقدس حيث الشام كان يشمل تلك الدويلات الحاضرة من فلسطين ككل ولبنان وسوريا والأردن .

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ^١ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ^٢ فَتَقَطُّوا أُمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ^٣ ۝

« ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون . وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون ﴾ (٢١: ٩٣) : نداء عام للرسل اولاً في بُعد البشرية « كلوا من الطيبات » فليست محرمة عليهم مهما حرمها عليهم حارمون حراميون ، فلا اصل الاكل ينافي الرسالة ولا اكل الطيبات : « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » (٧: ٣٢) « فان الله طيب لا يقبل الا طيباً وانه امر المؤمنين بما امر به المرسلين »^(٢) .

ثم في بُعد الايمان « واعملوا صالحاً » فلا تضمن لكم رسالتكم صالحاً دون ان تعملوا صالحاً ، وليست الرسالة سباجاً عن عقوبات التخلفات ،

(١) الدر المنثور ٥ : ١٠ - اخرج ابن عساكر بسند ضعيف عن ابي امامة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه تلا هذه الآية قال : أتدرون اين هي ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم ، قال : هي بالشام بارض يقال لها الغوطة مدينة يقال لها دمشق هي خير مدن الشام .

(٢) نور الثقلين ٣ : ٥٤٥ في المجمع . روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان الله . . فقال : يا ايها الرسل « كلوا من الطيبات . . » وقال : « يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » .

بل والمسؤولية الرسالية تملي صالحاً أكثر .

ثم البعد الثالث « ان هذه » الامم باسرها « امتكم امة واحدة » في مسيرها ومصيرها لوحدة الرسالة فوحدة الائتعام « وانا ربكم » لا سواي « فاعبدون » لا سواي .

فالحكم الحاكم عليهم في كل دور رسالي هو شريعة من الامر تصدر عنه وتتجه اليه دون تقطع ، وليس عديد الشرائع من ذلك الامر الدين تقطيعاً لأصل الامر فانه مصدرها بامر الله « شرع لكم من الدين » ثم جعلناك على شريعة من الامر » ، ولكنهم :

« فتقطعوا امرهم بينهم زبراً » حيث جعلوا عديد الزبر للشرائع وسيلة للتقطع تحريفاً لها وتمهيقاً بها، وتحزبوا احزاباً كتابية متناحرين بحربة شرعة ضد شرعة وكتاب ضد كتاب « كل حزب » من هؤلاء المتقطعين « بما لديهم » كانه الحق وسواه باطل « فرحون » والله لا يرضى من عباده تقطعاً في أمره « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون (١٥٩: ٦) » ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم (١١٨: ١١) خلقهم لرحمة الوحدة ووحدة الرحمة على ضوء توحيد الكلمة على كلمة التوحيد في كل زمن كما يريد الله ، فلا امية في امر الله ودينه ولا رايات مختلف الكتابات السماوية ، كل ضد الأخرى ، محاربة شرعة إلهية لأخرى ! .

ففي كل دور من الادوار الخمسة الرسالية الاصلية يجب على العالمين ككل اتباع رسولها ، ثم اذا جاء دور التالي ، فعلى الكل النقلة الى التالي وللتالي الى الشرعة القرآنية التي تحلق منذ بزوغها على السطول التاريخي

والعرض الجغرافي والى يوم الدين^(١) .

ومن مصائب التحجر في ذلك التقطع ان كل قطاعة متحيزة ضد الاخرى ترى الحق معها كله والباطل مع من سواها كله ، فتمضي فرحاً مَرِحاً لا تفكر في شيء ولا يلتفت الى شيء إلا الى شيء المتقطع ، مغلقة على انفسها جميع المنافذ التي تأتيه منها أية نسمة طليقة ، او يدخل اليها منها اي شعاع مضيء ، تعيش كل في تلك الغمرة الهامة « فذرهم .. » :

﴿ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٥٤ ۞ ﴾

لقد غمرتهم واغرقتهم حيونة الجهالة وجهالة الحيونة ، والغمرة هي إزالة اثر الشيء ، وهي معظم الماء الساتر لمقرها ، وهم أزالوا آثار الانسانية كلها ، واختصوا انفسهم بآثار الحيوانية كلها بل هم اضل سبيلاً « فذرهم في غمرتهم حتى حين » يغمرهم العذاب في لجة او يأتيهم الموت قبلاً ، او حتى حين يؤذن لك في حريمهم حيث تغمرهم ، او حين ينجو منهم من ينحوا منحى النجاة .

﴿ أَلَيْسَ لَكُم مِّنْ أَمْوَالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٦ ۞ ﴾

ذلك الحسبان هو ظن الذين كفروا حيث يستمدون بمد الله لهم من اموال وبنين لتثبيت قاعدتهم وانهم - فقط - على خير ، رغم ان ذلك المد مزلة ومضلة لكثير من المؤمنين فضلاً عن الكافرين « بل لا يشعرون » شعوراً في الامور ، ودقة تميز لهم المحبور عن المحظور .

(١) راجع كتابنا « المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية » وراجع تفسير الآية الثانية في سورة الانبياء تجد فيها تفصيلاً اكثر مما هنا .

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان الله تعالى يقول :
يحزن عبدي المؤمن إذا قُتِرَ عليه شيئاً من الدنيا وذلك اقرب له مني ،
ويفرح اذا بسطت له الدنيا وذلك أبعد له مني . . . ان ذلك فتنة
لهم ^(١) .

وقال علي (عليه السلام) : « فلو رخص الله في الكبر لاحد لرخص
لأنبيائه ورسله ولكنه سبحانه كره التكابر ورضي لهم التواضع ، فألصقوا
بالأرض خدودهم ، وعفروا في التراب وجوههم ، وخفضوا اجنحتهم
للمؤمنين ، فكونوا قوماً مستضعفين قد اختبرهم الله بالمخمصه ، وابتلاهم
بالمجهدة وامتحنهم بالمخاوف ومحضهم بالمكاره ، فلا تعتبروا الرضا والسخط
بالمال والولد جهلاً بمواقع الفتنة والاختبار في موضع الغنا والإقتار فقد قال
سبحانه : « أychسبون انما نمدهم من اموال وبنين نمارع لهم في الخيرات بل
لا يشعرون » فان الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في انفسهم بأوليائه
المستضعفين في اعينهم ^(٢) .

اجل هؤلاء الحماقى لا يشعرون أن مدّ الأموال والبنين ليس مسارعة
في الخيرات ، فهم يسارعون في ذلك البلاء المبين تلوماً بمد الله لهم فيه
زعماء انه مسارعة في الخيرات ، وانما المسارع في الخيرات هم :

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٤٥ عن المجمع وروى السكوني عن ابي عبد الله عن ابيه عن
آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : . . . ثم تل هذه
الآية الى قوله : بل لا يشعرون ثم قال : ان ذلك فتنة لهم .
(٤٧) نهج البلاغة عن الامام امير المؤمنين (عليه السلام) .

هُمْ بِعَائِنَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ
 لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ
 أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ
 فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
 وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
 بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِنْ دُونِ
 ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ
 بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ
 مِنَّا لَا تَنْصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ
 عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُنْكَبِرِينَ بِهِ سَمِرًا
 تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَذَرُّوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ
 ءَابَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ
 مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ

وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ
لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ
بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ
نَعْرَاجًا نَخْرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ
لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَوِّبُوكَ ﴿٧٤﴾ * وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ
وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجَوَاءُ فِي طَغْيَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ
أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾
حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ
مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ
فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾

بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨٦﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظْمًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا
هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٨﴾ قُلْ لِمَنِ
الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ
قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٩١﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٩٢﴾
قُلْ مَنْ مَوْلَاكُمْ مَنْ يَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ
عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى
نُسْحَرُونَ ﴿٩٤﴾ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٥﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ ٥٧ .

الخشية هي للقلب ، والإشفاق عناية مختلطة بخوف زائد عليها حين
يُعَدَّى بمن كما هنا ، فالمؤمنون لانهم يخشون ربهم ، فهم مشفقون على آية
حال ، ولا سيما حال النعمة الموفرة عليهم ، فخشيتهم من ربهم تجعلهم
خائفين في الرخاء والبلاء ، ولا سيما الرخاء ان قصرُوا وغمروا فيها
غافلين ، فتبدل نعمة الله بنعمة ونعمة ، محاسبين انفسهم في صرفها دون

تهذر ، بكل حائطة ومراقبة وتحذر ، فالؤمن الخاشي اذا يجمع يجمع احساناً واشفاقاً ، وغيره يجمع دائماً إساءة وغمرة وإغراقاً ، يقول : انما اوتيته على علم عندي ولا يحسب الله حسابه ، ولا يرجو ثوابه ولا يخاف عقابه .

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ ٥٨ .

سواء فيها الآيات الأفقية والانبسية ، بل هم يعيشون كل الآيات ايماناً بها ، والكون كله آيات الرب دون ابقاء ولا استثناء فيعتبرون بضمنها كلاً من الرخاء والبلاء من آيات البلاء فيشفقون خشية من ربهم .

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ ٥٩ .

وكيف يأتي نفي الاشراك بربهم بعد الايمان والاشفاق من خشية ربهم ، وهذا السلب يتقدم كل إيجابيات الايمان ؟

علّه لانه يعني الاشراك في شؤون الربوبية ، لا - فقط - الالهية ، ومن الاشراك بالرب رثاء الناس ، والانعطاف الى غير الرب في أية زاوية من زوايا الحياة طويلة وقصيرة .

فذلك - اذا - سلب يحرف عن ايجابيات الايمان كدرتها ، وتبلور الإيمان عما يشوبه من شرك خفي قد لا يحسب بشيء .

فمثله مثل الإسلام بعد الإيمان الذي هو بعد إسلام ، فهنا سلب بعد ايجاب كان بعد سلب ، واين سلب من سلب واين ايجاب من ايجاب كـ « يا ايها الذين آمنوا آمنوا ... » .

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ ٦٠ .

« يؤتون ما آتوا » عن طاعة لله ، من مال وعلم ومعرفة ، ومن نفس

واي نفيس يمكن ايتاءه في سبيل الله و « ما آتوا » ماضياً بعد « يؤتون » دليل استمرارهم في ذلك الايتاء فهم يعيشون حياة الإعطاء والإيتاء في سبيل الله « و » الحال في ايتاءهم ان « قلوبهم وجله » عليهم مقصرون ام هم قاصرون لـ « انهم اليه راجعون » .

والوجل هو استشعار الخوف ، فهم تستشعر قلوبهم خوفاً من الهول المطلع حين يرجعون الى ربهم ، استعظاماً لقدر الله حق قدره ، واستصغاراً لأقدارهم أنفسهم بما آتوا من صالحات .

اتراهم وجله قلوبهم لمعاصيهم ومآسيهم ؟ كلا ! حيث « يؤتون ما آتوا » هو اتيان ما فرض عليهم وندب فيه اليهم : « يصوم ويتصدق ويصلي وهو مع ذلك يخاف الله ان لا يتقبل منه »^(١) .

(١) الدر المنثور ٥ : ١١ اخرج جماعة عن عائشة قال قلت يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قول الله « والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله » اهو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو مع ذلك يخاف الله ؟ قال : لا ولكن الرجل يصوم .. واخرجه مثله جماعة عن ابي هريرة عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) الا « وهو مع ذلك » وفي نور الثقلين ٣ : ٥٤٥ عن الكافي بسند متصل عن حفص بن غياث قال : سمعت ابا عبد الله (عليه السلام) يقول : ان قدرت ان لا تعرف فافعل وما عليك ان لا يثني عليك الناس وما عليك ان تكون مذموماً عند الناس اذا كنت محموداً عند الله ثم قال قال علي بن ابي طالب لا خير في العيش الا لرجلين رجل يزداد كل يوم خيراً ورجل يتدارك مَنِيَّتَهُ بالتوبة وأن له بالتوبة والله لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله تبارك وتعالى منه الا بولايتنا اهل البيت ألا ومن عرف حقنا ورجا الثواب فينا ورضي بقوته نصف مد في كل يوم وما ستر عورته وما اكن رأسه وهم في الله في ذلك خائفون وجلون ودوا انه حظهم من الدنيا وكذلك وصفهم الله عز وجل فقال : والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله انهم الى ربهم راجعون ثم قال : ما الذي آتوا والله مع الطاعة والمحبة والولاية وهم في ذلك خائفون ليس خوفهم خوف شك ولكنهم خافوا ان يكونوا مقصرين في محبتنا وطاعتنا .

وهكذا يكون المؤمن الصالح ، وجل القلب انه راجع الى ربه ، وافداً اليه من غير زاد مهما زاد فيما اتى من طاعة ربه ، وليس يعني وجلهم انهم في شك من الثواب على ما آتوا، بل هم بين خوف من تقصيرهم ورجاء لرحمة ربهم دون ان يروا استقلالاً لاعمالهم في الثواب ، بل يستقلونها لاستحقاق الثواب .

و « لو ان العباد وصفوا الحق وعملوا به ولم تعقد قلوبهم على انه الحق ما انتفعوا به »^(١) ولا ينافيه وجل قلوبهم استصغاراً لاعمالهم وعدم بلوغ تقواهم حق الثقة ، ف « ان المؤمن يعمل بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله عز وجل قاض فيه »^(٢) .

اجل وان قلباً يستشعر يد الله عليه وعين الله ترعاه ، ويحس آلاءه التي لا تحصى في كل نبضة فيستصغر ويستقل كل ما آتاه تعبداً لربه وأعطاه لخلقه في سبيله ، شاعراً بالهبة المحلقة على كيانه ككل ، مشفقاً ان يلقي الله وهو مقصر - وقطعاً هو قاصر - في حقه :

أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ .

يصارعون الشرور والأشرار ويسارعون في الخيرات مع الأخيار ، قضية تلك اليقظة والتطلع الدائب ، وعجلة سيرهم الى ذلك المصير هي عدم اشراكهم بالله وإيمانهم بآيات الله ، وخشيتهم وإشفاقهم من الله وإبتائهم ما آتوا وجلت قلوبهم في سبيل الله ، فبطبيعة الحال « أولئك يسارعون في

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٤٦ في محاسن البرقي عن زرارة عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : ...

(٢) المصدر في الكافي عن حمزة بن حمران قال سمعت ابا عبد الله (عليه السلام) يقول : ان مما حفظ من خطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : ...

الخيرات « دنياً وعقبى ، دون مسارعة في اموال وبنين إلا ما يقدمونه في سبيل الله ، « وهم لها سابقون » دون « اليها » فقط ، بل « لها » حيث ان ذلك السباق لزام حياتهم فهم غامرون فيها ليل نهار ما عاشوا ، لا يهمهم إلا ان يسبقوا الرفاق في ذلك السباق .

ام هم لاجل الخيرات سابقون في كل ميادين السباق ، دون ما يسارع لها غيرهم وهم فيها متصارعون غامرون .

﴿ وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدِينَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ٦٢ .

لا نكلفهم في سباقهم هذه الا وسعهم دون عسر ولا حرج ، فكل يعتقد حسب وسعه دون عسر ولا حرج ، وكل يعمل حسب وسعه دون عسر ولا حرج .

وكما « لا نكلف » يعم اصل التكليف الخارج عن الوسع ، كذلك الحالات الإستثنائية للاحكام الميسورة حيث تنقلب فيها التكاليف معسرة او معرجة ، كما وان « نفساً » تويد ذلك الشمول .

« ولدينا » علماً لدنياً نعلم عسرهم ويسرهم ، وسائر الشهود الرسالية والملائكية والعضوية والأرضية « كتاب » استنسخناه : « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » (٢٩ : ٤٥) « كتاب ينطق بالحق » بسبب الحق الثابت الذي حصل ، وبسبب الحق عند الله ، وبمصاحبة الحق الذي يحمله الكتاب « وهم لا يظلمون » في ذلك النطق الشهادة ، نطق القالة ونطق الصورة ونطق السيرة المستنسخة المسجلة في سجلات الأعمال والأحوال والأقوال .

ولقد كان يحمل علي بن الحسين (عليه السلام) غلماناً قائلاً « ارفعوا

اصواتكم وقولوا : يا علي بن الحسين (عليه السلام) ربك قد أحصى عليك ما عملت كما أحصيت علينا ولديه كتاب ينطق بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فاذكر ذل مقامك بين يدي ربك الذي لا يظلم مثقال ذرة وكفى بالله شهيداً ، فاعف واصفح يعف عنك المليك ..^(١)

فليس نكرانهم لانهم كُلفوا فوق السعة معرفياً .. وعملياً فهم معذرون : ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾^{٦٣} .

هذه صفات المؤمنين وحالاتهم ، وأما المسارعون في خلافها فهم معاكسون لهم تماماً « بل قلوبهم في غمرة من هذا » الذي ذكرناه لهؤلاء ، وفي « هذا » القرآن الذي يذكرهم عن غفلتهم فهم غامرون في لجج الجهالة ، خامرون عقولهم بخمر الغفلة « و » الحال ان « لهم اعمال من دون ذلك » الذي يعملهُ المؤمنون ، ومن دون ذلك الذي وصفناه لهم ، غمرة هامة خامرة ليس لهم من دونها شاعرة الا شاعرة ، اولئك هم في غمرة المسارعة في الخيرات ، وأولاء في غمرة الشهوات ، في حيرة تغمرها وغمة تسترها ، حيث الغمرة هي ما وقع الانسان فيه من امر مذهل ، وخطب موغل ، مُشبه بغمرات المياه التي تغمر الواقع فيها وتأخذ بكظم المغمور بها .

هذا ، وقد تعني ضمائر الجمع الثلاث المؤمنين انفسهم و « بل » إضراب عما ذكرت لهم من صفات تحدد مواقفهم الايمانية « بل قلوبهم في

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٤٧ في المناقب لابن شهر آشوب في مناقب زين العابدين (عليه السلام) وكان اذا دخل شهر رمضان يكتب على غلمانه ذنوبهم حتى اذا كان آخر ليلة دعاهم ثم اظهر الكتاب وقال : يا فلان فعلت كذا وكذا ولم اؤدبك ؟ فيقرون اجمع فيقوم وسطهم ويقول لهم : ارفعوا اصواتكم ...

غمرة من هذا « المذكور لهم فلا تحذو خيراتهم حدود » ولهم اعمال من دون ذلك « الذي ذكرناه » هم لها عاملون « دون » هم عاملوها « فاللام تجعل اعمالهم الصالحة لزماً لغمرتهم .

ام تعني الآية كلتا الضفتين كلاً بغمرته ، واين غمرة من غمرة واين مسارعة من مسارعة .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجَارُونَ ﴾ ٦٤ .

ولأن الضفة الشريرة المسارعة في الشهوات موصوفة من قبل به اترفناهم في الحياة الدنيا « فـ مترفيهم » هنا يقتسم الغامرین الى مترفين وسواهم ، و « حتى إذا » تنهي الغمرتين الى حين العذاب موتاً وسواه ، فالغامرة المترفة تجتر ، والغامرة المؤمنة لا تجتر ، والجؤآر هو صوت الوحش عند الفزع ، فهم الوحش مستوحشين من عذاب الله المفاجئ رجاء النصر ولكن :

﴿ لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصِرُونَ ﴾ ٦٥

ولأنه « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » فسلب النصر من عنده سلب لمطلق النصر ، وهكذا يخاطبون بعد غياب من ذكراهم ليكون اوقع في استيحاشهم تقريعا لهم وقطعا لآمالهم فانه :

﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٰ أَعْقَابِكُمْ تُنْكَصُونَ ﴾ ٦٦ .

« قد كانت » مؤكدة متواترة بينة « آياتي » المذكورة لكم عن غمرتكم « تتلى عليكم » ليل نهار « فكنتم » على طول خطها « على اعقابكم » آباءكم الاولين ، واعقابكم انفسكم مدبرين « تنكصون » ، رجوع القهقري ، مرتجفين الى جهال وجهالات ، مساعين عما عندهم من عقول وذكريات :

﴿ مُسْتَكْبِرِينَ سَامِرًا مَّهْجُرُونَ ﴾ ٦٧ .

« مستكبرين » عن سماع الآيات ، ام اذا سمعتهم فعن تدبرها

والاعتبار بها « سامراً » متحدثاً بالليل ، ليلة الجهالة والشهوة ، ليلة الحيونة والاستكبار ، ليلة التقاليد العمياء ، دون ضوء من الاضواء آفاقية وانفسية ، حال انكم « تهجرون » هذيانا هاجراً للحق ، حاجزاً عما يحق ان يسمع ويطبّق ، مُطَقِّلون ألسنتكم بهجر القول وفحشه وأنتم عَمَلِقُونَ-حول اصنامكم في سامركم - بالكعبة

فلقد كان هؤلاء يرمون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في ظلام ، ويطلقون ألسنتهم بهجر القول وفحشه في نواديهم ، وهنا القرآن لما يجأرون يذكّرههم يسمرهم الفاحش ومجرهم الطائش في الليل الأليل الدجى ، بهراء هم الهجى .

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ٦٨ .

« أ » سمعوا « فلم يدبّروا القول » حتى يعرفوا حقه الرسالي « ام » اعرضوا عنه لأنه اتي « ما لم يأت آباءهم الاولين » ؟ وقد اتاهم نفس ما اتاهم وزيادة ، فما هو بدعاً من الرسل ولا قوله الرسالي بدع من القول !

وهم محجوجون ان لم يدبّروا حيث انكروا رميةً في ظلام ، ومحجوجون ان تدبروا وانكروا بحجة انه اتي ما لم يأت آباءهم الاولين وقد اتي !

﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ ٦٩ .

« لم يعرفوه » منذ دعوته اذ لم يدبّروا قوله ام هو بدع من القول ، « ام » لم يعرفوه « رغم كافة الحجج الرسالية المحلقة عليه » فهم له منكرون « رغم هذه الحجج الدامغة البارقة ، ام لم يعرفوه قبل رسالته فقد لبث فيهم عمراً من قبله افلا يعقلون ، فقد عرفوه قبل بالامانة والصدق ، فهل الامين الصادق مع الناس يتحول الى خائن كاذب مع الله « تلك اذا قسمة ضيزى » فقد عرفوه سابقاً وفي الحال بأحواله المصدّقة لكل حاله وقاله دون

اي كذب وإدغال، ثم لما جاءهم بما ينجيهم من غمرة الجهالة انكروه .

ذلك وكما عرفه اهل الكتاب بما بُشر به بمواصفاته في كتاباتهم ، ولما جاءهم كذبوه وجنتوه : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم » (٢ : ١٤٦ و ٦ : ٢٠) .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَآكُثِرَهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ ٧٠ .

وهذه طنطنة وغوغائية دعائية هي آخر المطاف لهم في تزييف موقف الرسالة ، ان « به جنة » إذ يقول ما لا نقول به ، ويعد ما لا نعرفه ، فبيننا وبينه حجاب المعرفة ، « بل » كل ذلك دعوى بلا حقيقة ولا برهان « بل جاءهم بالحق » بكل آياته وبياناته « واكثرهم للحق كارهون » واقلهم لا يعرفونه قصوراً أو تقصيراً فهم له منكرون ، قصوراً كالمستضعفين الذين لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، فهم بُلّة لا يميزون ، وتقصيراً كمن لا يفتشون عن الحق ، بغية أريحية الحياة ، أم عرفوه ولكنهم تركوه دون كراهية له نفسه ، وانما كراهية التوبيخ من قومهم وأن يقولوا ترك دين آباءه .

هؤلاء هم منجرفون مع الهوى، منحرفون الى كل ردى ، يهوون ان يتبع الحق اهوائهم ، كأنهم آلهة بأهوائهم الطائشة . وعلى الحق ان يتبعهم حيث جعلوا آهتهم اهواءهم فآهتهم عما يعينهم :

﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ آتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ٧١ .

« لو » تخيل ذلك الاتباع المفروض المرفوض في كل الحقول عند ارباب العقول ، فلو كان الحق - المطلق ، المعصوم عن كل زلل وخطل - موافقاً لاهواءهم القاحلة الجاهلة ، لعاد كل الى ضلاله وواقع كل في بطله

وكلاله ، حيث الحق يدعو الى المحاسن والمصالح ، والاهواء تدعو الى المساويء والمقايح ، فلو اتبع الحق قائد الهوى لشمّل الفساد وعم الاختلاط وخفضت اعلام الهدى ، ورفعت اعلام الردى .

ولا تعني « اهوائهم » فقط الشريرة منها التائهة ، بل والخيرة ايضاً والعاقلة ، حيث المتبع الصالح لادارة شؤون التكوين والتشريع هو الحق المطلق ، لا الحق الخاطيء كالعقول غير المعصومة ، فضلاً عن الباطل المطلق ، فـ « الحق » هنا هو الله ، والاهواء هي من غير الله عقولاً ام اهواء سواها ، فـ « ما ينطق عن الهوى . ان هو إلا وحي يوحى » .

اجل وفي اتباع الحق لسواه- ايّ كان- اختلال كافة الموازين والمقاييس في السماوات والأرض ومن فيهن ، وكما في تعدد الآلهة المدبرة والمشرعة .

فالحق المطلق واحد ثابت لا يتقلب في تغلبه ، والاهواء عاقلة وسواها كثيرة متقلبة ، وبالحق الواحد يدبر الكون كله تكويناً وتشريعاً فلا ينحرف ناموسه لهوى تعترض ، ولا تتخلف سنته لرغبة طارئة « بل آتيناهم بذكرهم » الذي يذكرهم عن قصورهم وتقصيرهم ، عن غفلتهم وغفوتهم ، ويذكرهم لما يتوجب عليهم في صالح حياتهم « فهم » اولاء الحماقى « عن ذكرهم معرضون » !

فالقرآن ذكر جملة وتفصيلاً ، ذكر للفطر والعقول والقلوب، ذكر عما نسيه اصحابها ام تناسوه ، وذكر لما ستر عنهم من فصائل المعارف وفصائلها وهم يطلبون ان يتبع الذكر الحق وحق الذكر اهوائهم الخاملة غير الكاملة ، فحتى لو اتفقت اهوائهم العاقلة على شيء لم تكن لتأتي بالحق المطلق ، فضلاً عن اهوائهم الجاهلة ، ام المختلقة في هذه او تلك كما هي الواقع فيها على أية حال ، فالفساد - اذاً - آت من بعدين اثنين : قصور الاهواء ، وتضادها ، فليكن الحاكم المطلق هو الحق المطلق لا سواه .

﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خُرْجاً فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ ٧٢ .

« ام تسألهم خرجاً » رزقاً على أتعاب الدعوة ، وليس يسأل ، وذلك تذكار لهم أنه يدعوهم الى الله دون ان يسأل خرجاً « اتبعوا من لا سألكم اجراً وهم مهتدون » فكل الموانع في تقبل الدعوة - مادية ومعنوية - أما هي - زائلة ، وكل الدوافع لتقبلها حاصلة ماثلة :

﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ٧٣ .

« ان واللام » تأكيدان اثنان لانهصار هذه الدعوة الى صراط مستقيم ، وانهصارها عما يبعده او يميل عنه ، وقد ذكر لنا ان نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لقي رجلاً فقال له اسلم فتصعب له ذلك وكبر عليه فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أرايت لو كنت في طريق وعبر فلقيت رجلاً تعرف وجهه وتعرف نسبه فدعاك الى طريق واسع سهل اكنت تتبعه ؟ قال : نعم - قال : فوالذي نفس محمد بيده انك لفي أوعر من ذلك الطريق لو كنت فيه واني لادعوك الى اسهل من ذلك الطريق لو دعيت اليه . . . (١) .

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ ﴾ ٧٤ .

فالصراط المستقيم هو صراط المبدء والمعاد وما بين المبدء والمعاد ،

(١) الدر المنثور ٥ : ١٣ - اخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال : ما فيه عوج ذكر لنا . . . وذكر لنا ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لقي رجلاً فقال له اسلم فصعده ذلك فقال له نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ارايت فتيتك احدهما ان حدث صدقك وان امنت ادى اليك والآخر ان حدث كذبتك وان امنتته خانك قال : بلى فتاي الذي اذا حدثني صدقني واذا امنتته ادى الي قال نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كذاكم انتم عند ربكم .

فالذين لا يؤمنون بالآخرة هم ناكبون عن ذلك الصراط حيث المعاد هو مصير المبدء والرسالة ، وهما مسير المعاد ، وكما المعاد مصيرهما .

ولان الصراط صراطان: في الدنيا والآخرة، فهم ناكبون مائلون عنهما ، فساقطون فيهما الى شفا جرف هار ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُوفِ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ٧٥ .

« لو » هنا تحيل رحمة الله لهم اذ صدوا على انفسهم كل منافذها ، ثم لا يرجى منهم الهدى بكشف الضر عنهم ، بل لجوا في طغيانهم المتعرق في حياتهم يعمهون ، فلماذا نرحمهم وهي عذاب على عباد الله الذين يظنون ويضلون تحت رحمة طغيانهم العمه .

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ ٧٦ .

هؤلاء الصلّتون الصلّيون الصامدون في كفرهم لا يزحزحهم عن ضلالهم لا رحمة بكشف الضر عنهم ولا عذاب « ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم » تخضعاً^(١) له عن كبرهم « وما يتضرعون » استغفاراً

(١) في الكافي باسناده عن محمد بن مسلم قال سألت ابا جعفر (عليه السلام) عن هذه الآية فقال : الاستكانة هي الخضوع والتضرع رفع اليدين والتضرع بهما وفي المجمع وروي عن مقاتل بن حيان عن الاصمغ بن نابتة عن امير المؤمنين (عليه السلام) قال قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رفع الايدي في الاستكانة قلت وما الاستكانة ؟ قال : اما تقرأ هذه الآية « فما استكانوا لربهم وما يتضرعون » اورده الثعلبي والواحد في تفسيريهما وفيه قال ابو عبد الله (عليه السلام) الاستكانة الدعاء وفي الدر المنثور ٥ : ١٤ اخرج العسكري في المواعظ عن علي بن ابي طالب في الآية اي لم يتواضعوا في الدعاء ولم يخضعوا ولو خضعوا لله لاستجاب لهم .

عما كانوا يعملون ، والانسان اياً كان يتحول حال الرحمة والعذاب الى غير حاله ، ففريق يشكرون حال الرحمة ، وآخرون يستغفرون حال العذاب والزحمة ، واما هؤلاء المناكيد فكأنهم ليسوا من الناس ، بل هم نسناس وسواس خناس دائبون في كفرهم بالله الناس : !

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ ٧٧ .

ان ابواب العذاب اربع ، اثنان في الاولى وآخران في الاخرى ، فعذاب الاستئصال وما دونه يوم الدنيا ، واشد منه يوم الرجعة ثم اشد منهما يوم البرزخ ، ثم الاشد في الاخرى ، و « باباً ذا عذاب شديد » قد لا يعني الاولى في الاولى ، لمكان « اخذناهم بالعذاب » من ذي قبل ومواصفته بـ « شديد » والاولى ايا كان هي بجانب سائر العذاب غير شديد ، و « حتى اذا فتحننا » تضرب الى المستقبل ، ولان ضمير الجمع في « عليهم » يعم كافة الطغاة في تاريخ الرسالات فليكن العذاب الشديد يوم الرجعة (١) « اذا هم فيه مبلسون » حزناً معترضاً من شديد البأس .

واما يوم القيامة فكل ابواب العذاب مفتوحة عليهم وعلى سواهم من اهل الجحيم ، ويوم البرزخ لكل باب تناسبه ، وليس هناك باب جماهيرية تفتح على ذلك الجمع الطاغى .

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ ٧٨ .

« الافئدة » هي القلوب المتفتدة ، ذاتية بانوار الفطرة ، وعارضية بما

(٥٤) نور الثقلين ٣ : ٥٥٠ عن المجمع قال ابو جعفر (عليه السلام) : هو في الرجعة .

تستوردها بالسمع والابصار ظاهرية وباطنية من الآيات الأفقية ، والشكر على هذه النعم الثلاث هو استعمالها فيما انشأت له من مزيد المعرفة ولكن « قليلاً ما تشكرون » عِدَّة بين الجموع « وقليل من عبادي الشكور » وعدة في هذه القلة حيث لا يشكرونه كلهم كما يحق ويستطيعون ، فالشاكرون تماماً هم أقل قليل ، والشاكرون بعضاً هم القليل ، والكافرون هم الكثير .

﴿ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ٧٩ .

الذرة هو الاظهار فـ « هو الذي ذراكم » اظهركم أحياء « في الأرض » ثم يخفيكم اذ يميتكم ثم « واليه تحشرون » .

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ٨٠ .

فكما له اختلاف الليل والنهار أن يأتي كل خلف الآخر وخلفته وفي كل حكمة بالغة ، كذلك له اختلاف الإحياء والإماتة كل يأتي خلف الآخر حسب الحكمة البالغة وهي أخرى واعقل « افلا تعقلون » وما هو الفارق بين الاختلافين الا موادهما ؟ فحين نعيش اختلاف الليل والنهار لحكمة معيشية دنيوية فانية ، فهلا نعيش اختلاف الموت والحياة لحكمة معيشية اخروية باقية « افلا تعقلون » ؟!

﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ٨١ قَالُوا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَافاً أَوْنَا لَبْعَوْنُونَ ٨٢ لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاءُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ٨٣ .

انهم لم يؤمنوا بعد هذه الدلائل الباهرة والحجج الظاهرة ولم يقولوا آمنا « بل » قالوا كلمة الكفر ، ولم تكن قولتهم من عند انفسهم « بل قالوا مثل

ما قال الاولون « - يضاھئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله فأنى يؤفكون » قالوا قبلة الإستبعاد لبعثهم بعد إذ كانوا تراباً وعظاماً ، وهو الذي خلقهم اول مرة ، ثم هو يخلقهم وهو اھون عليه « لقد وعدنا نحن وآباءنا هذا » الوعد « من قبل » طول تاريخ الرسالات « ان هذا الا اساطير الاولين » وخرافات ملفقة من « الاولين »

لقد كان مشركوا العرب مضطربى العقيدة ومتناقضيها ، فهم حين لا ينكرون الله خالق الكون يشركون خلقه به ، وحين لا ينكرون انه خالق الحياة ينكرونها بعد الموت ، ولذلك هنا يستجوبهم فيما هم معترفون ، ثم يتبناه لتثبيت ما هم منكرون :

﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ^{٨٤} .

لمن هي ومن فيها ، ملكاً وملكاً وتديراً اصيلاً .

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ^{٨٥} .

افبعد ذلك الاعتراف الجاهر لا تذكرون ؟

ان مالك الكون هو - فقط - مدبره حسب الحكمة البالغة ، دون شريك ولا معين ولا مشير ، وقضية الملكية والمالكية الصالحة اصلاح الممالك وفصل القضاء بينهم فلا بد اذاً من يوم لفصل القضاء .

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ^{٨٦} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ
﴿ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ^{٨٧}

و « العرش العظيم » هو هنا عرش العلم والقدرة والتدبير والتقدير ، وبصيغة اخرى هو عرش الربوبية المحلقة على كافة شؤون السماوات السبع ومن فيهن ومن بينهن ، وارضنا منها .

« يقولون » ان هذه الربوبية « لله » مهما اعتقدوا في ربوبيات هامشية لأربابهم فانها ايضاً لله حيث هي انفسها مخلوقة لله « قل افلا تتقون » الله حيث تشركون به وتنكرون وحيه ويوم حسابه .

﴿ قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ٨٩ ﴾ .

« قل من بيده » علماً وقدره وأية سلطة « ملكوت » حقيقة الملك والمُلك لـ « كل شيء » فهو املك لكل شيء منها لانفسها ، فناصية كل شيء - وما به الشيء شيء بأسره - ليس إلا بيده لا سواه ، « وهو يجير » وينقذ كل شيء مستجيراً وسواه ، حيث الفقر هو ذات كل شيء ، والأخطار محلقة على كل شيء ، فهي بحاجة ذاتية الى إجارة من الأخطار والأضرار « ولا يجار عليه » حيث لا يجير عليه كما لا يجير له إذ لا أخطار عليه ولا يد فوق يديه .

﴿ بَلْ آتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ٩٠ ﴾

فليس هنالك قصور منا ولا تقصير في بيان الحق « بل آتيناهم بالحق » المطلق دون غبار عليه « وانهم لكاذبون » في دعاويهم ، وحتى في اعترافاتهم بهذه الحقائق فانها تضاد واتخاذهم آلهة سواه ، وعبادتهم لما سواه ، بل وتركهم إياه كأن لا إله الا ما تنهوا انفسهم عما اتخذوه آلهة سواه :

مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾
 رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ
 تُرِيْكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾ أَذْفَعَ بِأَلْنِي هِيَ أَحْسَنُ
 السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ
 هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾
 حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾
 لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا
 وَمِنْ وَرَاءِهَا يَوْمٌ نَّخْلُوعٌ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ
 فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَنْسَاءُ لُونُ ﴿١٠١﴾
 فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾
 وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
 فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا
 كَالْعِلَاقِ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ أَتِنَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا
 تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا

ضَالِّينَ ﴿١٢٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٢٧﴾
 قَالِ أَخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تَكْلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ
 عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ
 الرَّاحِمِينَ ﴿١٢٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَ بِأَحْتَى أَنْسَوَكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ
 مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١٣٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ
 هُمُ الْفَآرِزُونَ ﴿١٣١﴾ قُلْ كَذِبْتُمْ فِي الْأَرْضِ عِدَّةَ سِنِينَ ﴿١٣٢﴾
 قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَفَعَلِ الْعَادِينَ ﴿١٣٣﴾ قُلْ إِنْ
 لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٣٤﴾ أَحَسِبْتُمْ أَنَّكُمْ
 خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ لَا تَرْجِعُونَ ﴿١٣٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ
 الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١٣٦﴾
 وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ؕ فَلْيَمَّا
 حَسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ؕ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١٣٧﴾
 وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٣٨﴾

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ^{٩١} عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ^{٩٢} .

كون إله من دون الله لا يخلو من اتخاذه إلهاً من قبل الله ولداً وسواه ،
ام انه إله كما الله على سواء ، ولكن « ما اتخذ الله من ولد » اتخذاً بالولادة
اذ لم يلد ، ولا اتخذاً تشريفياً اذ لا شرف لعباد الله المقربين اشرف من
العبودية ، والمجاز مجاز اذا امكنت الحقيقة ، فلأن حقيقة الولادة الذاتية
مستحيلة في الله فكذلك مجازها تبنياً لبعض خلقه .

فالولد الحقيقي جزء من حقيقة الوالد ، فالوهمية الوالد تقتضي الوهمية
لولده ، ثم للولد التشريفي الوهمية مخولة مهياً لم تكن له ذاتية ولادية ، وهما
منفيان لأي احد تجاه الله .

وهنا تبقى الوهمية الثالثة هي ذاتية غير ولادية وكما الله ، تنفيها عن غير
الله : « وما كان معه من آله » وبرهان النقض « اذا لذهب . . . » يتمحور
الالوهية الذاتية ، وعلى هامشها الولادية ام والتشريفية .

إذا لو « كان معه من آله - لذهب كل آله بما خلق » واستقل هو
بنفسه بما خلق ، وانفصل النظام وانقسم ، فإن لكل شأناً غير شأن الآخر ،
ولكل خلق يريده سوى ما يريده الآخر ، فان انقسم الخلق بينهما ولكل
نصيب ، انقسم النظام ، وان تعارضا في كل خلق لتناقض الخلق واستحال
النظام ، ف « اذا شاء واحد ان يخلق انساناً شاء الآخر ان يخالفه فيخلق
بهيمة ، فيكون الخلق منهما على مشيئتهما واختلاف ارادتهما انساناً وبهيمة في حالة
واحدة ، فهذا من اعظم المحال غير موجود ، واذا ابطال هذا ولم يكن بينهما
اختلاف بطل الاثنان وكان واحداً ، فهذا التدبير واتصاله قوام بعضه ببعض

يدل على صانع واحد . . . (١) .

فهذه الآية تضم حججاً ثلاثاً « ما اتخذ الله من ولد » - « وما كان معه من آله اذا لذهب كل آله بما خلق » - « ولعل بعضهم على بعض » .

فالثاني لزوم ذهاب كل آله بما خلق مستقلاً بما خلقه ، يعرفه حسب ناموس خاص ، فيصبح لكل جزء من هذا الكون ، او لكل فريق من الخلق ، ناموس خاص لا يلتقي فيه بناموس عام يصرف الجميع ، وبذلك تنقسم عرى الوحدة في التدبير ويختل النظام رغم وحدة التدبير واتصاله .

والثالث لزوم علو كل على زميله استقلالاً بعرش الألوهية وقضاء على نقص الشراكة ، علواً على الوهية ذاتاً ام صفات او افعالاً ، استقلالاً بما هو قادر عليه .

والقول اننا نفرض وحدتهما في الارادة فلا يتنازعان ، يرده ان الوحدة المطلقة قضيتها الوحدة من جميع الجهات فإين الاثنان ، فحتى لو صحت وحدة الارادة لوحدة العلم والقدرة والحكمة ، نتساءل اليس بينهما اي فارق ذاتي ام صفاتي ؟ ففي فرض وجود الفارق - وهو لزوم التعدد - نقول ان كان الفارق لكل نقصاً فهما ناقصان ، وان كان لكل كمالاً فكل يفقد كمالاً يجده الآخر ، فهما - اذاً - ناقصان من وجه ثان ، فليسا آلهين اثنين .

(١) تفسير البرهان ٣ : ١١٨ عن تفسير القمي في الآية ثم رد الله عز وجل على الثنوية الذين قالوا بالهين فقال : ما اتخذ الله . . . قال قال : لو كان الهين كما زعمتم فكأننا يختلفان فيخلق هذا ولا يخلق هذا يريد هذا ولا يريد هذا وليطلب كل واحد منهما الغلبة لنفسه ولا يستبدل كل واحد بخلقه واذا اراد . . . لطلب كل واحد فيها العلو واذا شاء . . . وهو قول الله عز وجل « ما اتخذ الله . . . » وقوله « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا » .

وفي فرض عدم الفارق أيأ كان فلا تعدد أيأ كان « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » الآلهة الا الله كما « لفسدتا » السماوات والأرض « سبحان الله عما يصفون » من اي شريك بثالوثه المنحوس .

« عالم الغيب » وهو كل ما يغيب عن سواء حاضراً ام سوف يخلق « والشهادة » وهي خلافة ، ام الغيب ما لم يكن والشهادة ما قد كان ^(١) وهما له شهادة على سواء ، فلو كان معه إله لعلمه قبل خلقه ، ولو كان اتخذ ولداً ام الهاً سواء لكان يعلمه فيعلمه خلقه حتى يتخذوه معه الهاً « فتعالى عما يشركون » .

﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ ^{٩٣} رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ^{٩٤} .

دعاء يعلمها الله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حين يريه ما يوعدون ألا يجعله في القوم الظالمين ، لا ظالماً كما هم ولا معيناً لهم كما الأعوان ، ولا مشمولاً لما يوعدون كفتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة ، فهي دعاء لمفاصلة تامة بينه وبينهم في دافع الظلم وواقعه وواقعة الموعودة للظالمين .

﴿ وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيْكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴾ ^{٩٥} .

تعجيلاً لما نعدهم حتى ترى ، ام تأجيلاً لأجلك حتى تبقى فتري آجل وعدهم ، وقد يكفيك وعدنا عن رؤيته وانما عليك دفع السيئة بالتي هي

(١) تفسير البرهان ٣ : ١١٨ في معاني الاخبار ابن بابوية بسند عن ابي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : عالم الغيب ما لم يكن والشهادة ما قد كان ، اقول : ما قد كان هو شهادة له ككل لمكان حضوره وما لم يكن هو غيب عن الحضور كونياً ولكنه شهادة لحضوره علمياً .

احسن حتى ترى ما ترى ام يقع ما لا ترى :

﴿ اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ اَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ ١٦ .

« ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم »
(٤١ : ٣٤) .

فواجب الدفاع عن النفس او النفس ام راجحه ، يفرض الطريقة التي هي احسن ، فقد تكون عفواً وسماحاً فينقلب السيء حسناً ، ام تأجيلاً وانت - بينك وبين الأجل الصالح - تعامل بالتي هي احسن عله يرجع عن غيه وضلاله ، ام تستجيش كافة المحاولات الممكنة المعقولة لدفع السيئة عنك وعن يسيء اليك ام من يسيء الى سواك ام الى نفسه او الى شرعة الله ككل (١) .

وفي آخر المطاف حيث لم تبق لك باقية من الطرق الحسنى ففضاء على عامل السوء اجتثاً لمادة الفساد ان استطعت ، والا فـ « التي هي احسن التقية » (٢) .

« نحن اعلم بما يصفون » من اوصافه خارقة جارفة .

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٥١ في الكافي عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : بعث امير المؤمنين (عليه السلام) الى بشر بن عطار التيمي في كلام بلغه فمر به رسول امير المؤمنين (عليه السلام) في بني اسد واخذه فقام اليه نعيم بن دجاجة الاسدي فأفلقته فبعث اليه امير المؤمنين (عليه السلام) فأتوه به وامر به ان يضرب فقال نعيم اما والله ان المقام معك لذل وان فراقك لكفر ، قال : فلما سمع ذلك منه قال له : قد عفونا عنك ان الله عز وجل يقول « ادفع بالتي هي احسن السيئة » اما قولك : ان المقام معك لذل فيسئ اکتسبتها واما قولك : وان فراقك لكفر فحسنة اکتسبتها فهذه بهذه فأمر ان يخلى عنه .

(٢) المصدر في محاسن البرقي عن ابي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : التي ..

« ادفع » كما تستطيع بمن معك من المؤمنين همزات الشياطين ،
مستعيذاً في ذلك برب العالمين :

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ^{٩٧} وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ
يَحْضُرُونِ ^{٩٨} .

صحيح ان « ادفع - وقل » خطابان للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكنها لا يخصانه اذ ليسا من اختصاصاته كحامل الرسالة .

فهما كسائر الخطابات القرآنية يعلمان كافة المكلفين مهما توجه الى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كبداية ، ولكنه منطلق الخطابات كرسول ، الا فيما قرنت بقرينة قاطعة تخصها به كفرض صلاة الليل وسماع الزواج اكثر من الاربع واضرابها من اختصاصاته .

و « همزات » جمع همزة ، وهي شدة الدفع والهز والأز كما هي الاغتياب : « ويل لكل همزة » وقد تعنيها همزات هنا لمكان الاطلاق ، وقرنها بـ « يحضرون » فالاستعاذة اذاً تحلق على الحالتين للشياطين « غياباً » ^(١) وحضوراً ، وهم - ايضاً - اعم من الشياطين الغيب والحضور ، فان لهم دفعا الى الشرور ومنعا عن الخيرات غيباً وحضوراً .

ولقد « كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع : وبسم الله اعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون » ^(٢) « فانه لا

(١) في تفسير القمي في الآية قال : ما يقع في قلبك من وسوسة الشياطين ، اقول : فحضورهم غير ذلك الهمز مهما اشتركا في الدفع .

(٢) الدر المنثور ٥ : ١٥ - اخرج جماعة عن عمر بن شعيب عن ابيه عن حده قال كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ...

يضررك وبالحرى ان لا يضررك» (١) .

و « كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول بعد استفتاح الصلاة : لا اله الا الله ثلاثاً - الله اكبر ثلاثاً - اللهم اني اعوذ بك من همزات الشياطين همزه ونفثه ونفخه ، فقل يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما همزه ؟ قال : الموة التي تأخذ ابن آدم اي الجنون الذي يأخذ ابن آدم ، قيل فما نفثه ؟ قال : الشعر ، قيل فما نفخه قال : الكبر (٢) .

وهكذا تكون همزات الشياطين حيث تجنّ والجنون فنون تختصرها معصية الله حيث يهز الإنسان هزاً ويأزه أزاً ودفعاً إليها .

﴿ حَقٌّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ^{١٩} لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ^{٢٠} .

ترى وبما ذا تتعلق « حتى » هذه الغائبة ؟ انها متعلقة بـ « اعوذ - اعوذ » فالاستعاذة من الشيطان هي ما دام هو حي يُشيطن ويهمز ، ومتعلقة بما قبلها ما يصلح تعلقها به ، ويجمعه كفر الشياطين ونكرانهم واقاويلهم ، وان تلك الحالة النكدة دائبة لهم « حتى اذا جاء احدهم الموت . . . » .

ثم ومجيء الموت هو واقعه ، فهو يقول بعد انقباض روحه وانتقاله عن الحياة الدنيا « رب ارجعون » حيث « اذا حضر الانسان الوفاة يجمع له كل شيء بمنعه عن الحق فيحول بين عينيه فعند ذلك يقول : « رب

(١) المصدر اخرج احمد عن خالد بن الوليد انه قال يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اني اجد وحشة قال : اذا اخذت مضجعتك فقل اعوذ . . . فانه لا يضررك . . .

(٢) تفسير الفخر الرازي ٢٣ : ١١٩ قال الحسن كان عليه السلام يقول . . .

ارجعون لعلّي اعمل صالحاً فيما تركت»^(١) .

و « ارجعون » هنا حيث تعني الرجوع الى الحياة الدنيا ، دليل قاطع لا مرد له على الحياة بعد الموت ، وهي المسماة بالحياة البرزخية كما هي تصرّيحة الآية « ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » .

ولماذا « ارجعون » جمعاً والرب واحد كما هو معترف به « رب » مهما مات مشركاً ، حيث الموت يكشف كافة الحجب مهما لم ينفع المحجوب يوم الدنيا ؟

علّه خطاب للملائكة الموت بعد ندائه الرب : « ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق » (٨ : ٥٠) .

« قال رب ارجعون لعلّي اعمل صالحاً فيما تركت . . » وقد يخاطب الرب نفسه : « فارجعنا نعمل صالحاً » (٣٢ : ١٢) « ربنا اخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أو لم نعملكم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير » (٣٥ : ٣٧) .

« لعلّي » ترجياً لإصلاح ما فات « اعمل صالحاً فيما تركت » من حياة التكليف « صالحاً غير الذي كنا نعمل » فليس « فيما تركت » فقط الصالحات المتروكة ، حيث الطالحات المفعولة لها دور اخطر ، وخطر اكثر ، ولا تشملها « فيما تركت » .

« صالحاً » هو صالح الفعل وصالح الترك بديلاً عن الطالح فيهما فيما تركت من حياة التكليف ، وكما تعنيه - ايضاً - « نعمل صالحاً غير الذي كنا

(١) الدر المنثور ٥ : ١٥ - اخرج الديلمي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : . . .

نعمل ، حيث تعم عمل الواجبات وترك المحرمات فكل عمل مهمما مختلفا سلباً وإيجاباً .

وقد يعني « فيما تركت » الفرصة التي تركها ، والمال والبنين والمنال وكل حال من الاحوال ، ام « فيما تركت » من التكاليف سلبية وإيجابية اما هيه مما ترك .

والجواب كلمة واحدة « كلا » بكل تقريع « انها كلمة هو قائلها » ليس وراءها واقع لا من قائلها لو أرجع ، ولا من الله حيث لن يرجعه ، وكل ما في الأمر « ومن ورائهم » بعد الموت « برزخ » بين الحياة الاولى والاخرى فهو الحياة الوسطى « الى يوم يبعثون » بأرواحهم واجسادهم عن اجداثهم .

وَيَ كَأَن الْمَشْهَدَ مَعْرُوضَ بِنَفْسِهِ الْآنَ كَالْعَيَانِ ، مشهد الاحتضار والانتصار للرجوع، ثم الرد القارع كانه يسمع الآن « انها كلمة هو قائلها » لا مدلول وراءها ، كلمة تقال في لحظة الضيق ، ليس لها في القلب اي رصيد « ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه » (٦ : ٢٨) ولا من الله اية اجابة الا عذاب شديد !.

ولماذا « من وراءهم » والبرزخ أمامهم حيث يستقبل الموتى ؟ علّ الوراة كناية عن الحيلة البرزخية بهم كما « كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » (١٨ : ٧٩) اضافة الى انهم لا يستقبلون ذلك البرزخ خيرة منهم ولذلك يقولون « رب ارجعون » اذا فالبرزخ هو الذي يلحقهم كمن يطلب الفأر من وراءه ، وهو لاحقه وهم عنه مدبرون .

وقد يعني البرزخ-فيما عناه من حياة وسطى- الحاجز المانع ، فهو في هذا البين محجوز عن الرجوع إلى الحياة الدنيا ، كما هو محجوز عن البعث إلا في يومه .

وترى « كلاً » نعم كل الموق؟ فاين الرجعة يومها؟ الراجعون المؤمنون يوم الرجعة لا تشملهم الآية حيث تخص الكافرين واضراهم من المجرمين ، والراجعون الكافرون هم بعضهم ولا تنفعهم تلك الرجعة بل وتضرهم ، ولا تعني « كلاً » عدم الرجوع مطلقاً ، وانما رجوعاً فيه « اعمل صالحاً فيما تركت » ثم « كلا » وان كانت عامة أو مطلقة فهي مخصصة أو مقيدة بمن يرجعون حسب آيات وروايات .

فالبرزخ البرزخ وما ادراك ما البرزخ ؟ « هو امر بين امرين وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة ، وهو قول الصادق (عليه السلام) : والله ما اخاف عليكم إلا البرزخ ، واما اذا صار الأمر إلينا فنحن أولى بكم »^(١) و « ان القبر إما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار »^(٢) .

فيالله انهم « سلكوا في بطون البرزخ سيلاً سلطت الأرض عليهم فيه ، فاكلت لحومهم وشربت من دماهم فاصبحوا في فجوات قبورهم جماداً لا ينمون ، وضماراً لا يوجدون ، لا يفزعهم ورود الاهوال ، ولا

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٥٣ في تفسير القمي قال قال : البرزخ ... وفيه عن الصادق (عليه السلام) البرزخ هو القبر وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة والدليل على ذلك قول العالم (عليه السلام) والله ما نخاف عليكم إلا البرزخ وفيه عن الكافي عن عمر بن يزيد قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) اني سمعتك وانت تقول : كل شيعتنا في الجنة على ما كان فيهم ؟ قال : صدقتك كلهم والله في الجنة ، قال قلت جعلت فداك ان الذنوب كثيرة كبار فقال : اما في القيامة فكلكم في الجنة بشفاعتي النبي المطاع او وصي النبي ولكني والله اتخوف عليكم في البرزخ قلت : وما البرزخ ؟ فقال : القبر منذ حين موته الى يوم القيامة .

(٢) المصدر عنه وقال علي بن الحسين عليهما السلام ...

يخزنهم تنكر الاحوال ، ولا يحفلون بالرواجف ولا ياذنون للقواصف ، غُيباً لا ينتظرون وشهوداً لا يحضرون ، وانما كانوا جميعاً فتشتوا والأفساً فافترقوا ، وما عن طول عهدهم ولا بعد محلهم ، عميت اخبارهم وصمت ديارهم ، ولكنهم سقوا كأساً بذلاً بم بالنطق خرساً ، وبالسَّمع صمماً ، وبالحركات سكوناً ، فكانهم في ارتجال الصفة صرعى سبات ، جيران لا يتأنسون وأحباء لا يتزاورون ، بليت بينهم عرى التعارف ، وانقطعت منهم اسباب الإخاء ، فكلهم وحيد وهم جميع ، وبجانب الهجر وهم أخلأ ، لا يتعارفون لليل صباحاً ولا لنهار مساء ، اي الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمداً ، شاهدوا من أخطار دارهم افزع مما خافوا ورأوا من آياتها اعظم مما قدروا ، فكل الغائتين بدت لهم الى مباءة ، فأنت مبالغ الخوف والرجاء ، فلو كانوا ينطقون بها لعيوا بصفة ما شاهدوا وما عاينوا^(١) .

وهذه صفتهم في أجسادهم دون ارواحهم بابدانهم المثالية فانهم فيها احياء ، « ولو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً مجتمعين يتحدثون »^(٢) ف « ان الارواح في صفة الاجساد في شجرة في الجنة تتعارف وتتساءل »^(٣) .

(١) المصدر عن نهج البلاغة عن الإمام علي (عليه السلام)

(٢) نور الثقلين ٣ : ٥٥٧ عن الكافي بسند متصل عن حبة العربي قال : خرجت مع امير المؤمنين (عليه السلام) الى الظهر فوقف بواد السلام كأنه مخاطب لاقوام فقامت لقيامه حتى اعيت ثم جلست حتى مللت ثم قامت حتى نالني مثل ما نالني اولاً ثم جلست حتى مللت ثم قامت وجمعت ردائي فقلت يا امير المؤمنين (عليه السلام) اني قد اشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة ، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه فقال لي : يا حبة ان هم الا محادثة او مؤانسة قال قلت يا امير المؤمنين وانهم لكذلك ؟ قال : نعم ولو كشف . . . فقلت ا- سام ام ارواح فقال ارواح وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض الا قيل لروحه الحق بوادي السلام وانها لبقعة من جنة عدن .

(٣) المصدر عن الكافي عن ابي بصير عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال ان

انهم يعيشون في البرزخ « في ابدان كابدانهم »^(١) « في روضة كهيئة الاجساد في الجنة »^(٢) « في قالب كقالبه في الدنيا »^(٣) والمؤمنون « في

= الارواح . . فاذا قدمت الروح على الارواح تقول : دعوها فانها قد اقبلت من هول عظيم ثم يسألونها ما فعل فلان وما فعل فلان فان قالت لهم : تركته حياً ارتجوه وان قالت لهم : قد هلك قالوا قد هوى هوى .

وفي البحار ٦ : ٢٣٤ عن المحاسن ابن محبوب عن ابراهيم بن اسحاق الجازي قال قلت لابي عبد الله (عليه السلام) اين ارواح المؤمنين ؟ فقال : ارواح المؤمنين في حجرات في الجنة ياكلون من طعامها ويشربون من شرابها ويتزاورون فيها ويقولون ربنا اقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا قال قلت فاين ارواح الكفار ؟ فقال : في حجرات النار ياكلون من طعامها ويشربون من شرابها ويتزاورون فيها ويقولون ربنا لا تقم لنا الساعة لتنجز لنا ما وعدتنا .

(١) في البحار ٦ : ٢٦٨ الكافي عن ابي عبد الله (عليه السلام) جواباً عما يروون ان ارواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش فقال : لا - المؤمن اكرم على الله من ان يجعل روحه في حوصلة طير لكن في ابدان كابدانهم .

(٢) نور الثقلين ٣ : ٥٥٩ ح ١٣٩ عن الصادق (عليه السلام) رداً على من قال ارواح المؤمنين في حواصل طيور وفي البحار ٦ : ٢٦٩ عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : ان الارواح في صفة الاجساد في شجرة في الجنة تعارف وتسال . .

(٣) المصدر عن الكافي عن يونس بن ظبيان قال كنت عند ابي عبد الله (عليه السلام) فقال :

ما يقول الناس في ارواح المؤمنين ؟ فقلت : يقولون تكون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش فقال ابو عبد الله (عليه السلام) سبحان الله المؤمن اكرم على الله من ان يجعل روحه في حوصلة طير يا يونس اذا كان ذلك اتاه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي وفاطمة والحسن والحسين والملائكة المقربون عليهم السلام فاذا قبضه الله عز وجل صير تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا ، فياكلون ويشربون فاذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا اقول والاخبار الدالة على الاجساد المثالية كثيرة ومن مظاهرها في بحار الانوار في باب احتجاج امير المؤمنين على ابي بكر وفي باب غضب الخلافة وفي ابواب المعجزات من اراد تفصيلاً اكثر فليراجعها

قوالب من نور»^(١) فالكافرون في قوالب من ظلمة .

«والروح جسم رقيق قد البس قالباً كثيفاً»^(٢) ثم يلبس بعد الموت قالباً خفيفاً يسمى البدن البرزخي ، او الروح المجسم ام الجسم المروح وهو الجسم الذي يطير به الروح ويسير في الرؤي

﴿ فَإِذَا تَفَخَّ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾^{١٠١} .

(١) البحار ٦: ٢٣٧ البرسي في مشارق الانوار عن الفضل بن شاذان من كتاب صحائف الابرار ان امير المؤمنين (عليه السلام) اضطجع في نجف الكوفة على الحصى فقال قنبر يا مولاي الا افترض لك ثوباً تحتك ؟ فقال : لا إن هي الا تربة مؤمن او مزاحمة في مجلسه ، فقال الاصبغ بن نباتة اما تربة مؤمن فقد علمنا انها كانت او ستكون فما معنى مزاحمة في مجلسه ؟ فقال : يا بن نباتة ان في هذا الظاهر ارواح كل مؤمن ومؤمنة في قوالب من نور على منابر من نور .

(٢) المصدر عن الكافي في حديث الزنديقي الذي سأل الصادق (عليه السلام) عن مسائل الى ان قال اخبرني عن السراج اذا انطفأ اين يذهب نوره قال : يذهب فلا يعود ، قال : فما انكرت ان يكون الانسان مثل ذلك اذا مات وفارق الروح البدن لم يرجع اليه ابدأ كما لا يرجع ضوء السراج اليه اذا انطفأ؟ قال : لم تصب القياس ان النار في الاجسام كامنة والاجسام قائمة باعيانها كالخجر والحديد فاذا ضرب احدهما بالآخر سطعت من بينهما نار تفتس منها سراج له الضوء فالنار ثابتة في اجسامها والضوء ذاهب والروح جسم رقيق قد البس قالباً كثيفاً ليس بمنزلة السراج الذي ذكرت ، ان الذي خلق في الرحم جنيناً من ماء صاف وركب فيه ضروباً مختلفة من عروق وعصب واسنان وشعر وعظام وغير ذلك هو يحيه بعد موته ويعيده بعد فناءه ، قال : فاين الروح قال : في بطن الارض حيث مصرع البدن الى وقت البعث ، قال : فمن صلب اين روحه؟ قال : في كف الملك الذي قبضها حتى يودعها الأرض ، قال : افيتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه ام هو باق؟ قال : بل هو باق الى وقت يتفخ في الصور فعند ذلك تبطل الاشياء وتنفى فلا حس ولا محسوس ثم اعيدت الاشياء كما بدأها مدبرها وذلك اربعمائة سنة تسبت فيها الخلق وذلك بين النفختين .

وهذه هي نفخة الاحياء - وقبلها نفخة الامائة . « فلا انساب بينهم يومئذ » اذ لا تنفع الانساب ولا الاسباب ولا الاحباب الا نسب الايمان وسببه « ولا يتساءلون » هم عن انسابهم اذ لا تنفع اللهم الا نسب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وصهره وكما يروى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان الانساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسبيي وصهري ^(١) وطبعاً على شريطة الايمان فيصبح نوراً على نور ، « وان كان النسب مقطوعاً الا ما وصله الله بالاسلام » ^(٢) .

(١) الدر المنثور ٥: ١٥ - اخرج احمد والطبراني والحاكم والبيهقي في سننه عن المسور بن مخرمة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ... واخرج البزاز والطبراني والحاكم والبيهقي والضياء في المختارة عن عمر بن الخطاب سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الا سبيي ونسبي واخرج ابن عساكر عن ابن عمر قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة الا نسبي وصهري وفي نور الثقلين ٣ : ٥٦٢ عن تفسير القمي حدثني ابي عن حنان بن سدير عن ابيه عن ابي جعفر (عليه السلام) ان صفية بنت عبد المطلب ، مات ابن لها فاقبلت فقال لها عمر : غطي قرطك فان قرابتك من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تنفك شيئاً ، فقالت له : هل رأيت لي قرطاً يا ابن اللخناء ، ثم دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخبرته بذلك ويكت فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنادى الصلاة فاجتمع الناس فقال : ما بال اقوام يزعمون ان قرابتي لا تنفع لو قد قمت المقام المحمود لشفعت في خارجكم .

اقول عجباً لابن الخطاب كيف ينكر ذلك وهو من رواة حديث النسب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) !

(٢) نور الثقلين ٣ : ٥٦٤ في اصول الكافي عن امير المؤمنين (عليه السلام) جواب لرسالة طلحة والزبير اليه وفيه : زعمتم انكم اخواني في الدين وابنا عمي في النسب ، فاما السبب فلا أنكره ، وان كان النسب مقطوعاً إلا ما وصله الله بالإسلام .

﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ١٠٣ ﴾ .

والموازين هناك هي موازين الايمان والعمل الصالح ، موازين العلم والمعرفة والنية الصالحة وعلى حد ما يروى عن صادق آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الموازين هي موازين الانسانية .

واما العوان بين اولاء وهؤلاء الذين ثقلت بعض موازينهم وخفت الاخرى ، فلا هم مفلحون تماماً ، ولا هم خالدون في النار تماماً ، وانما لهم عوان الجزاء ثواباً وعقاباً كعوان الموازين ولا يظلمون فتيلاً .

وكضابطة شاملة ما يروى ان « الحسنات ثقل الميزان والسيئات خفة الميزان » فلا وزن اذاً للسيئات « فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً » (١٨: ١٠٥) وانما هو للحسنات . مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

فيا « ايها الناس ان العربية ليست بأب والد وانما هو لسان ناطق فمن تكلم به فهو عربي ، ألا إنكم ولد آدم وآدم من تراب واكمركم عند الله اتقاكم والدليل على ذلك قول الله : « فلماذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه « بالأعمال الحسنة » فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه « من تلك الأعمال الحسنة » فأولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون » (١) .

(١) المصدر عن تفسير القمي قال الصادق (عليه السلام) لا يتقدم يوم القيامة احد الا بالأعمال والدليل على ذلك قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

ان نسب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مما يثقل الميزان شريطة الحسنات ، وإنها الأصل الأصل « والله لا ينفعك غداً إلا مقدمة تقدمها من عمل صالح^(١) » إلا ان الصالح من نسب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) انور الثقلين ٣ : ٥٦٣ في كتاب المناقب في مناقب زين العابدين (عليه السلام) طاوس الفقيه : رأيت يطوف من العشاء الى السحر ويتعبد فلما لم ير احداً رمق الى السماء بطرفه وقال : الهي غارت نجوم سمواتك ، وهجعت عيون أنامك وأبوابك مفتحات للسائلين جئتكم لتغفر لي وترحمني وتريني وجه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في عرصات القيامة ثم بكى وقال : وعزتك ، وجلالك ما اردت بمعصيتي مخالفتك ، وما عصيتك اذ عصيتك وانا بك شاك ، ولا بنكالك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ، ولكن سؤلت لي نفسي واعانني على ذلك سترك المرخي به علي فانا الآن من عذابك من يستنقذني ، ويحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني فواسواته غداً من الوقوف بين يديك اذا قيل للمخفيين جوزوا ، وللمثقلين حطوا ، ام مع المخفيين أجوز ، ام مع المثقلين أحط ؟ وبلى كلما طال عمري كثرت خطاياي ولم اتب ، اما أن لي ان استحي من ربي ثم بكى وانشاء يقول : يا رب زدني علماً

انحرقني بالنار يا غاية المني فاين رجائي ثم ابن محبتي اتيت بأعمال قباح رديئة وما في الوري خلق جنى كجنايتي

ثم بكى وقال : سبحانه نعصى كأنك لا ترى وتعلم كأنك لم تعص ، تتودد الى خلقك بحسن الصنيع كأن لك الحاجة اليهم ، وانت يا سيدي الغني عنهم ، ثم خر الى الارض ساجداً قال : فدنوت منه وشللت رأسه فوضعتني على ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي على خده فاستوى جالساً وقال : من الذي اشغلني عن ذكر ربي ؟ فقلت له : انا طاوس يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما هذا الجزع والفرع ؟ ونحن يلزمنا ان نفعل مثل هذا ونحن عاصون جافون ؟ ابوك الحسين بن علي (عليه السلام) وامك فاطمة الزهراء وجدك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : فالتفت الي وقال : هيهات هيهات يا طاوس دع عني حديث ابي وامي وجدي خلق الله الجنة لمن اطاع واحسن ولو كان عبدا حبشياً وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولداً قرشياً اما سمعت قول الله تعالى : « فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » والله ...

واله وسلم) اصلح كما السطالح منه اطلع كما تدل على ذلك آيات من الأحزاب^(١) .

﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ^{١٠٤} أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ^{١٠٥} ﴾ .

هؤلاء هم ائمة الكفر وقادة الضلالة^(٢) كما ان من ثقلت موازينه هم ائمة الايمان وقادة الهداية .

واللفح هو شديد النفخ السام ، والكُلوح هو تقلص الشفتين عن الأسنان حتى تبدو ، فقد يصيب وجوههم لهب النار بفتحها لحد تقلص شفاههم وتبدو اسنانهم كالرؤوس المقشرة المشوية ، « مفتوح الفم ، متربدي الوجوه »^(٣) تلفحهم لفحة فتسيل لحومهم على اعصابهم^(٤)

(١) وهي : يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن ...

(٢) نور الثقلين ٣ : ٥٦٥ في الاحتجاج للطبرسي عن امير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل يذكر فيه احوال القيامة وفيه : ومنهم ائمة الكفر وقادة الضلالة فاولئك لا يقيم لهم يوم القيامة وزناً ولا يعثو بهم لأنهم لم يعثوا بامرهم ونهيهم فهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالخون .

(٣) نور الثقلين ، ٣ : ٥٦٦ في تفسير القمي في الآية قال : تلهب عليهم فتحرقهم « وهم فيها طالحون » اي ..

(٤) الدر المنثور ٥ : ١٦ - اخرج ابن مردويه والضياء في صفة النار عن ابي الدرداء قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في قوله : تلفح وجوههم النار قال : .. وفيه عن ابي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ان جهنم لما سيق اليها اهلها تلفتهم بعنق فلفحتهم لفحة فلم تدع لحماً على عظم الا القته على العرقوب ، وفيه عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الآية قال : تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته .

فيقال لهم قوله قارعة ضارعة « لم تكن آياتي تتلى عليكم » تلاوة البيان من كتاب الشرعة التدوين ، وتلاوة العيان من كتاب الافاق التكوين « فكنتم » على طول خطوطها وبكل خيوطها « بها تكذبون » في قال وحال وفعال على آية حال .

وهنا الاعتراف الصارخ القارح ، اعتذاراً بغلب الشقوة علّه يخفف عن وطأة العذاب، وكما كان الاعتراف بالذنب من شروط استجابة الدعوة يوم الدنيا :

﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شَقَوَاتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾ ١٠٦ .

ما كنا غالبين اذ كذبنا بآياتك بل كنا مغلوبين تحت وطأة الشقوة والضلالة ، ولكن من اين جاءت الشقوة وحلت الضلالة الا من انفسكم تخيراً لها وتسييراً فهم « باعمالهم شقوا »^(١) فقد كان غلباً مختاراً لا يعذرهم فيها كذبتهم ، ولكنهم على زعمهم القاحل يتطلبون الرجعة الى حياة التكليف :

﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ ١٠٧

وعلى ذلك آخر المطاف في سؤالهم المستجدي لعله يجدي وكما يروى

(١) نور الثقلين ٣ : ٥٦٦ في كتاب التوحيد باسناده الى علي بن ابي حمزة عن ابي بصير عن ابي عبد الله (عليه السلام) في الآية قال : باعمالهم شقوا وفيه عن كتاب الاحتجاج عن امير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل يذكر فيه احوال المحشر يقول فيه وقد ذكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ويشهد على منافقي قومه وامته وكفارهم بالحادهم وعنادهم ونقضهم عهوده وتغييرهم سنته واعتدائهم على اهل بيته وانقلابهم على اعقابهم وارتدادهم على ادبارهم واحتدائهم في ذلك سنة من تقدمهم من الامم الظالمة الخائنة لانبياؤها فيقولون باجمعهم « ربنا غلبت علينا شقوتنا » .

عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . . . فيقولون ادعوا ربكم فلا احد خير من ربكم فيقولون : « ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون » فيجيئهم : « قال اخسثوا فيها ولا تكلمون . . »^(١) وقد تعني « عدنا » عوداً الى التكذيب وعوداً الى حياة الحساب بنفس الحالة ، وعوداً الى الجحيم بنفس التصميم .

وي كأنهم لم يكونوا من قبل ظالمين في غلب الشقوة والضلالة ، وان الله ادخلهم النار دون ظلم منهم ! ولذلك الهراء القاحل ، والاعتذار الجاهل يستحقون خطاب الكلاب :

﴿ قَالَ اخْسَثُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ ﴾^{١٠٨}

« اخسثوا فيها » خسأ الكلاب - وهم أضل سبيلاً من الكلاب - « ولا تكلمون » فذلك إذا آخر المجال لكلامهم المستغيث فيظلون خرساً

مركز تحقيق كتاب تيسر علوم اسلامی

(١) الدر المنثور ٥ : ١٦ - اخرج ابن ابي شيبة والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابي الدرداء قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يلقي على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثوا بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يميزون الغصص في الدنيا بالشراب ، فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلايب الحديد فاذا دنوا من وجوههم شوت وجوههم واذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم فيدعون خزنة جهنم ان ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون : اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قال فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال فيقولون ادعوا مالكم فيدعون مالكم فيقولون يا مالكم ليقض علينا ربك فيجيئهم انكم ماكنون فيقولون ادعوا ربكم . . .

لا يكلمون ، اللهم إلا مع بعضهم البعض متلاومين .

ولان الخسأ هو زجر الكلب مستهيناً به ، ولا يُخسأ الا الكلب الهراش الضاري ، كذلك هم يخسئون بكذبهم فيها وما كانوا يكذبون^(١) .

﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ١٠٩ فَاتَّخَذْتَهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّى أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ١١٠ إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ١١١ ﴾

هم كانوا يستغفرونني بسناد الايمان يوماً فيه مناص ، وانتم تستغفرونني بسناد الشقوة والضلالة زعم العاذرة فيها ولات حين مناص اذ قد مضى يوم خلاص .

وانتم اتخذتموهم سخرياً ساخرين الله ورسوله واهل الايمان « حتى أنسوكم ذكري » وهنا ينسب الإنساء الى المؤمنين اذ لولاهم لما كانت سخرية ولا نسيان ذكر ، فهم من اسباب نسيان الذكر دون تقصير ، وهم بشقوتهم وضلالهم سخروا منهم عامدين بكل تقصير، فنسوا بذلك ذكر الله ، واصبحت قلوبهم قاحلة عن ذكره الى مليء من ذكر الشيطان ، وذلك كمثّل قوله تعالى : « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً » (٢ : ١٠) .

« اني جزيتهم اليوم بما صبروا » على ما كتتم منهم تسخرون وعليهم تضحكون ، دون تزعزع من ايمانهم ولا تلكع فيما يعملون ، « جزيتهم أنهم

(١) الدر المنثور ٥ : ١٧ - اخرج ابن ابي الدنيا في صفة النار عن حذيفة ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ان الله اذا قال لاهل النار : اخسئوا فيها ولا تكلمون ، عادت وجوههم قطعة لحم ليس فيها افواه ولا مناخير تردد النفس في اجوافهم .

هم الفائزون « ففوزهم اليوم ككل هو جزاءهم بما صبروا .

﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ (١١٢).

وترى كيف تتناسب « لا تكلمون » وذلك السؤال حيث يتطلب كلاماً في الجواب ؟ علّه يعني لا تكلمون دون اذن أوامر : « يوم يأت لا تكلم نفس الا بأذنه » (١٠٥ : ١١) .

هذا ، ولان الكلام الممنوع هو المرجو منه الفائدة ، واما الكلام العذاب فهو عذاب فوق العذاب .

وهذا السؤال تقريع لهم وتبكيث تثبيتاً لإجرامهم القاصد على فسحة من زمن التكليف : « كم لبثتم في الأرض عدد سنين » ورغم ان السؤال يؤكد لبث سنين ، هم يحولونها الى يوم او بعض يوم :

﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِ الْعَادِّينَ ﴾ ١١٣ .

وعلمهم هكذا يجنّون في الجواب لعظيم الهول المرهف الذي أنساهم عدد مكثهم ، فيحولون الجواب الى العادين الذين هم في ذكر من عدد السنين الى يوم الدين .

﴿ قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ١١٤ .

وطبعاً « قليلاً » بجنب الآخرة لا لأداء التكليف ، وهم طول هذا القليل في غفلة الشهوة وشهوة الغفلة دون ان يقدموا لأنفسهم .

و « في الأرض » هنا كما في البعض مما سواها تقصد الحياة الأرضية دنيوية وبرزخية، وكما اجابهم الله في اخرى « لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث » (٣٠ : ٥٦) وحقاً ان زمن اللبث قليل بجنب الآخرة لامور عدة ذكرناها في طه وسواها .

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ ١١٥ .

فحيث لا بعث ولا رجوع الى الله للحساب والجزاء فساخلق - اذا - عبث عبث الظلم ، فان خلق الخلق دون فصل القضاء ظلم ، وعبث اللأغاية الصالحة - حيث الحياة الدنيا بنفسها - بهذه الظلمات والحرمانات - ليست غاية صالحة ، والرجوع الى الله يجعل الخلق صالحاً ذا غاية صالحة ، فالخلق دون بعث عبث ، سبحانه وتعالى عما يصفون .

ويأ لها من آية تقرير على الغافلين المتجاهلين وقد قال رسول الهدى (صلى الله عليه وآله وسلم) : والذي نفسي بيده لو ان رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال ^(١) .

ويقول جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) في جواب من سأله : لم خلق الله الخلق ؟ ان الله تبارك وتعالى لم يخلق الخلق عبثاً ولم يتركهم سدى ، بل خلقهم لآظهار قدرته ، وليكلفهم طاعته ، فيستوجبوا بذلك رضوانه ، وما خلقهم ليطلب منهم منفعة ولا ليدفع بهم مضرة ، بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم الى نعيم ^(٢) .

﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ ١١٦ .

(١) الدر المنثور ٥ : ١٧ - اخرج جماعة عن ابن مسعود انه قرء في أذن مصاب ، افحسبتم انما خلقناكم عبثاً حتى ختم السورة فبرأ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاذا قرأت في اذنه فاخبره فقال . . . وفيه اخرج ابن السني وابن منده وابو نعيم في المعرفة بسند حسن من طريق محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن ابيه قال بعثنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في سرية وامرنا ان نقول اذا نحن أمسينا واصبحنا افحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون فقرأناها فغنمنا وسلمنا .

(٢) نور الثقلين ٣ : ٥٦٦ في علل الشرايع باسناده الى جعفر بن محمد بن عمارة عن ابيه قال : سألت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فقلت له : . . .

« فتعالى الله - الملك - الحق » عن العبث بالخلق ، وعن ان يكون له شريك في الملك او ولي من الذل ، او ان يترك خلقه سدى دون هدى بالوحي « لا اله الا هو رب العرش » عرش الربوبية والتدبير ، في التكوين والتشريع « الكريم » عرش لا تضيق فيه ، بل هو كريم واسع الرحمة .

﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ ١١٧ .

« لا برهان له به » قد تكون جزاء الشرط نكراناً لاي برهان على إله آخر ، ام وصفاً لـ « إلهاً آخر » مماشة ، ان لو كان هنالك برهان له لكان مقبولاً ، ام قيداً توضيحياً حيث الإله الآخر لا برهان له ، فهذه الدعوة والدعوى الباطلة دون اي برهان ولا إمكانه هو من أضل الضلال وأظلم الظلم « فانما حسابه عند ربه » يوم القيامة الكبرى « انه لا يفلح الكافرون » لا برهاناً ولا واقعاً متخلفاً عن برهان ، لا في الاولى ولا الاخرى ، مهما ارعدوا وابرقوا في هذه الادنى ، اذا فكل دعوى دون اي برهان فيه حساب عند الله دون اي افلاح لصاحبها ، فذلك محرم شرعياً كما هو محرم عقلياً وفطرياً ، حيث الانسان العاقل والمتشعر هو ابن البرهان جملة وتفصيلاً ، وفيما يجب عليه التقليد لعجز عن الاجتهاد ، فلا يجوز التقليد - كما الاجتهاد - دون اي برهان .

ويا لها من سورة بدايتها تبشير للمؤمنين « قد افلح المؤمنون » ومن نهايتها انذار الكافرين « انه لا يفلح الكافرون » ثم ختامها الاستغفار والاسترحام للمؤمنين :

﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ١١٨ .

« رب اغفر » لي عما يهاجمني من دوائر السوء التي تعرقل دون رسالتي « وارحم » في هذه السبيل الشائكة المليئة بالأشلاء والدماء .

سورة المؤمنون / آية ٩١- ١١٨ ٢٩٧

ثم « اغفر » للمؤمنين عما تعرضهم من خطايا او تعرضهم « وارحم »
المؤمنين « وانت خير الراحمين » فالغفر من مصاديق الرحمة الرحيمية ،
فخير الراحمين هو خير الغافرين .



مرکز تحقیقات کتب و تفسیر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفهرس

الموضوع	الصفحة
« سورة الحج » أدب المجادلة في الله ؟	١٦ - ١٣
مراحل خلق الإنسان برهان معاده	٢٤ - ١٦
« من يعبد الله على حرف » : أعبدني يا رب حتى أعبدك !	٣٢ - ٢٦
« .. فلميدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع .. » ؟	٣٦ - ٣٢
هل الصابئون والمجوس من المشركين ؟	٣٨ - ٣٧
ما هي سجدة من في السموات ومن في الأرض ؟	٤١ - ٣٨
« .. سواء العاكف فيه والباد » من هما وما هو السواء ؟	٥٤ - ٤٨
فرض الحج راجلاً على من يستطيعه وموقف الزاد والراحلة، حكم في الحج	٧٣ - ٥٨
الطواف الواجب وحدوده وشروطه	٨٩ - ٧٩
شعائر الله	١٠٠ - ٩٥
الأضحية الواجبة وحدودها ، وحرمة الذبح المبذر أو المسرف ..	١٢١ - ١٠٦
بداية أمر القتال في العهد المدني	١٣٣ - ١٢٦
ما هو تمني الرسل الملقى فيه الشيطان ؟	١٥٦ - ١٤٧
« هو اجتباكم » في بشارات	١٩٤ - ١٨٥
« سورة المؤمنون » أوصاف المؤمنين السبعة	٢١٤ - ٢٠٠
مراحل الجنين - « ثم أنشأناه خلقاً آخر » من ادلة عدم تجرد الروح	٢٢٦ - ٢١٩
كل مياه الأرض من السماء	٢٣٠ - ٢٢٩

الموضوع _____ الصفحة

وحدة الأمم والرسالات	٢٥١ - ٢٥٣
« .. إذا لذهب كل إله بما خلق » من براهين التوحيد	٢٧٥ - ٢٧٧
« ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون » من أدلة الحياة البرزخية	٢٨٠ - ٢٨٦
« فلا أنساب بينهم .. » ثقل الموازين وخفتها ؟	٢٨٦ - ٢٩٠



مركز تحقيق كتاب توحيد علوم اسلامی

